فرقة بحث أعلام الحضنة والذاكرة الوطنية
مخبر الموروث العلمي والثقافي
لمنطقة تامنغاست

تاريخ العلوم والحرف والصنائع بالمغرب الأوسط

في الوسيط والحديث

الجزء الثاني

تنسيق وإشراف
الأستاذ الدكتور محمد موشموش

تقديم
الأستاذ الدكتور عبد الغني حروز

دار أحلام للنشر
MAISON D'EDITION AHLEM

تاريخ العلوم والحرف والصنائع بالمغرب الأوسط
الجزء الثاني
تنسيق وإشراف
الأستاذ الدكتور محمد موشموش
دار أحلام للنشر
MAISON D'EDITION AHLEM

مما لا شك فيه أن الحرف والحرفيين قد لعبوا دورا اقتصاديا في بلاد المغرب الإسلامي في ظل الدول التي حكمته، وذلك من خلال تبيان مدى أهمية الحرف والصناعات في مجتمع المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، إذ أن جل الدراسات قد ركزت على الجوانب السياسية والعسكرية والجوانب الحضارية، وأغفلت عن جوانب أخرى لذلك وجب البحث في هذا الجانب لتقديم ولو دراسات علمية عنه نظرا لأهمية التاريخ الاقتصادي بحكم أن له تأثيرا على الأوضاع السياسية والاجتماعية بالإضافة إلى العسكرية التي كانت تعيشها الدولة

من تقديم الكتاب

ISBN:978-9969-582-23-9

دار أحلام للنشر
MAISON D'EDITION AHLEM

شهادة نشر كتاب

دار أحلام للنشر
MAISON D'EDITION AHLEM

تتشرف دار أحلام للنشر وعلى رأسها المديرة العامة (سنجاسني أسماء) بنشر كتاب:

تاريخ العلوم والحرف والصنائع بالمغرب الأوسط في الوسيط والحديث

الجزء الثاني

والذي يحمل رقم الإيداع القانوني التالي: ISBN: 978-9969-582-23-9

تنسيق وإشراف الأستاذ الدكتور محمد موشموش
تقديم الأستاذ الدكتور عبد الغني حروز

سلمت هذه الشهادة للمعني لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون

سنجاسني أسماء
مسيرة

عن دار أحلام للنشر
وذلك في: أفريل 2025
حرر في: 09 أفريل 2025

تاريخ العلوم والحرف والصنائع بالمغرب الأوسط

في الوسيط والحديث

الجزء الثاني

الطبعة الأولى
إصدارات دار أحلام 2025
ISBN:978-9969-582-23-9
الإيداع القانوني: أفريل 2025
الكاتب: الأستاذ الدكتور مومـوش محمد
عنوان الكتاب:
تاريخ العلوم والحرف والصنائع بالمغرب الأوسط
في الوسيط والحديث
الجزء الثاني
تصميم الغلاف والإخراج الفني: أحمد محمد عزوز
المدير العام: أسماء سنجاسني
الناشر: دار أحلام للنشر
إيميل:editionahlem@gmail,com
هاتف:0794813011/0698370013
شارع الإخوة بوحجة بلدية أولاد شبل بئر توتة الجزائر العاصمة

جميع الحقوق محفوظة ©لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقيا أو إلكترونيا أو أية وسائط أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر. تستثنى منه الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

فرقة بحث أعلام الحضنة والذاكرة الوطنية
مخبر الموروث العلمي والثقافي
لمنطقة تامنغاست

تاريخ العلوم والحرف والصنائع بالمغرب الأوسط

في الوسيط والحديث

الجزء الثاني

وقف مؤبد لروح أساتذتنا

- الأستاذ الدكتور صالح بن قربة
- الأستاذ الدكتور علي حملاوي
- الأستاذ الدكتور عبد العزيز لعرج

رحمهم الله تعالى وجعلهم من أهل جنة الفردوس الأعلى

آمين

دار أحلام للنشر
MAISON D'EDITION AHLEM

رئيس اللجنة العلمية: عبد الغني حروز

أعضاء اللجنة العلمية

الرقم	الاسم واللقب	مؤسسة الانتماء
1.	الأستاذ الدكتور عبد الكريم عزوق	معهد الآثار، جامعة الجزائر2
2.	الأستاذة الدكتورة خيرة بن بلة	معهد الآثار، جامعة الجزائر2
3.	الأستاذة الدكتورة عائشة حنفي	معهد الآثار، جامعة الجزائر2
4.	الأستاذة الدكتورة هجيرة تمليكشت	معهد الآثار، جامعة الجزائر2
5.	الأستاذ الدكتور مرزوق بتة	قسم التاريخ،جامعة المسيلة
6.	الأستاذ الدكتور حليم سرحان	قسم التاريخ،جامعة المسيلة
7.	الأستاذ الدكتور محمد موشموش	قسم التاريخ،جامعة المسيلة
8.	الأستاذ الدكتور نور الدين بن عبد الله	قسم التاريخ، جامعة أدرار
9.	الأستاذ الدكتور تيجاني مياطة	قسم التاريخ، جامعة وادي سوف
10.	الدكتور عبد الحميد بودرواز	قسم التاريخ، جامعة المسيلة
11.	الدكتور عبد المالك بوقزولة	قسم التاريخ، جامعة المسيلة
12.	الدكتور النذير قوادرية	قسم التاريخ، جامعة المسيلة
13.	الدكتور محمد عياش	قسم التاريخ والآثار، جامعة شلف
14.	الدكتورة نصيرة تتبيرت	قسم التاريخ والآثار، جامعة شلف
15.	الدكتورة مليكة بناجي	قسم التاريخ والآثار، جامعة شلف
16.	الدكتور محمد مزراق	شعبة آثار، جامعة تمنغست
17.	الدكتور محمد ساقني	شعبة آثار، جامعة تمنغست
18.	الدكتور علي كرزيكا	شعبة آثار، جامعة تمنغست
19.	الدكتور عبد العزيز حسونة	قسم التاريخ والآثار، جامعة جلفة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

وبه نستعين والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، ثم أما بعد:

إنّه من دواعي سروري أن أقوم بتقديم للجزء الثاني من كتاب تاريخ العلوم والحرف خلال العصر الوسيط والحديث، فبعد طبع أعمال الجزء الأول الخاص بتاريخ العلوم بالمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط والحديث، ها هو الجزء الثاني من الكتاب الخاص بالحرف والحرفيين بالمغرب الإسلامي خلال عصري الوسيط والحديث يرى النور.

مما لا شك فيه أن الحرف والحرفيين قد لعبوا دورا اقتصاديا في بلاد المغرب الإسلامي في ظل الدول التي حكمته، وذلك من خلال تبيان مدى أهمية الحرف والصناعات في مجتمع المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، إذ أن جل الدراسات قد ركزت على الجوانب السياسية والعسكرية والجوانب الحضارية، وأغفلت عن جوانب أخرى لذلك وجب البحث في هذا الجانب لتقديم ولو دراسات علمية عنه نظرا لأهمية التاريخ الاقتصادي بحكم أن له تأثيرا على الأوضاع السياسية والاجتماعية بالإضافة إلى العسكرية التي كانت تعيشها الدولة

سيما وأن هذا الكتاب اشتمل مداخلات علمية خطتها أقلام عرف أصحابها بالدقة والنزاهة العلمية، جاءت هذه المداخلات متنوعة بتنوع المجالات والاختصاصات والاهتمامات العلمية، ومتنوع بتنوع جغرافية أصحابها، حيث شارك في هذا الكتاب نخبة من الأساتذة والباحثين الجزائريين من جامعاتنا الوطنية العامرة بالعلم والمعرفة بمداخلاتهم العلمية.

نسجت المداخلات ضمن محاور متنوعة، وأملنا أن يجد كل باحث وقارئ ضالته ضمن هذا المؤلف، وأُقر في الأخير أن المجهود الكبير في استقبال المداخلات، وتصفيفها ومراجعتها وتدقيقها قد بذله الباحث الجاد الأستاذ الدكتور مُحَمَّد موشموش، فله منا كل الشكر والتقدير، وجعل الله سبحانه وتعالى ذلك في ميزان حسناته، كما لا يفوتني رفقة أخي الأستاذ الدكتور مُحَمَّد موشموش أن نثني ونشكر كل من شارك في انجاز هذا الكتاب تأليفا ومراجعة.

ندعوا الله جل شأنه أن يكون هذا العمل صدقة جارية، ولبنة علمية تثري المكتبة الجزائرية والمكتبة العربية، ومرجعا علميا مفيدا لطلابنا الأعزاء ولكل الباحثين الجزائريين والعرب.

حمام الضلعة – المسيلة في يوم الجمعة: 04 جمادى الآخر 1446هـ

الموافق لـ 06 ديسمبر 2024م

الأستاذ الدكتور عبد الغني حروز

قسم التاريخ جامعة مُحَمَّد بوضياف المسيلة.

المؤسسات الثقافية التعليمة

في المغرب الاوسط خلال العصر الوسيط "حاضرة تلمسان الزيانية نموذجا"

الاستاذة الدكتورة: مطروح أم الخير

مديرة بحث

المركز الوطني للبحث في علم الاثار

مقدمة

لقد شهد المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا ازدهارا علميا كبيرا برز فيه النشاط الفكري والثقافي وإبداعا حضاريا في مختلف المجالات، وذلك بفضل وحدة اللغة والعقيدة في إطار الإسلام الذي حث على التطور والتحضر في جميع الميادين خاصة الميدان الفكري العلمي، وبسبب هذا الازدهار شهدت حواضره نضجا فكريا لا مثيل له. كما تميزت الحياة الفكرية والعلمية في المغرب الإسلامي بالنشاط والاستقرار والازدهار فكانت ذات طابع ديني في أغلب الأحيان، هذا ما جعلها تنتشر وتأخذ مجالا واسعا، بالإضافة إلى المجهودات الكبيرة التي بذلها الائمة في نشر العلم بعدما أدركوا أهمية المؤسسات التعليمية في ترسيخ معالم الشريعة الإسلامية والمبادئ المذهبية.

إنّ ازدهار الثقافة وتطور التعليم ساهم في ظهور جيل من العلماء[1] الذين قادوا المسيرة العلمية إلى الأمام من اجل نشر العلم والمعرفة في بلد المغرب الأوسط، الأمر الذي انعكس على تطور الحركة الثقافية، وهنا يظهر دور الكتاتيب والزوايا

1) – عثمان سعدي، عروية" :**الجزائر عبر التاريخ**"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 م، ص9 .

والمساجد والمدارس، بإعتبار أن إحدى هذه الأماكن كانت بمثابة المنبع الذي يستقي منه طلبة العلم سواء الذين كانو مقيمين أو وافين من الاقطار الأخرى للتحصيل العلمي [1].

ونظرا لأهمية موضوع المراكز والمؤسسات التعليمية بالمغرب الأوسط الذي يعد من المواضيع الهامة في الحقل الثقافي والتعليمي على الخصوص، والمعماري بصفة عامة، لا بد من إستعراض وبيان حدود المغرب الأوسط بصفته حاضن هذه المؤسسات، ثم نتطرق الى أهمية كل مؤسسة كان لها الحضور القوي في حاضرة تلمسان الزيانية كالأتي:

1-الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الاوسط:

يعتبر المغرب الأوسط قسما من أقسام المغرب الاسلامي، وحلقة وصل بين المغربين الاقصى والادنى، أي بين الحفصيين في الشرق والمرنيين في الغرب فانعكس ذلك على حدودها وسعة مساحتها التي كانت بين المد والجزر تبعا لقوة ملوكها أو ضعفهم وحسب قوة جيرانها شرقا وغربا، مما صعب ضبط حدوده ضمن خارطة المغرب الإسلامي[2] وذلك راجع لعدم استقرار حدوده على وضع معين بفعل ديمومة حركة القبائل البربرية والعربية، وحالة القوة والضعف للدول التي كانت تعاقبت على حكمه. والجانب الثاني كون مفاهيم السيادة والحدود بالنسبة لتلك الفترة، كما لا يمكن آنذاك الاهتمام بضبط الحدود الجغرافية بين الدول بصورة مدققة

1) – عبد الحميد حاجيات وآخرون" :**الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**"، ج3، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغايا 1986م، ص136 .

2) – هي البلاد الإسلامية الواقعة من حدود برقة شرقا حتى ساحل المحيط الأطلسي غربا، وقسمت إلى ثلاثة أقسام :المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى بالإضافة إلى الأندلس. انظر **حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ط1، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، 1992 م، ص24 .

ومتواصلة،[1]كما أن لفظة (أوسط) ظهر ابتداء من القرن(5هـ /11م) فقط، وذلك عندما دعت الحاجة بالمسلمين لتمييز بين أقاليم المغرب الواسع،[2]فكان ظهور مصطلح المغرب الأوسط ونعني به البلاد الجزائرية حالية مع اختلاف وتداخل بسيط في الحدود الشرقية والغربية[3]وعلى اعتبار أن المغرب الأوسط جزءا لا يتجزأ من فضاء واسع يشمل بلاد المغرب الإسلامي[4]ككل فإنّ تحديد معالمه الجغرافية قد تضاربت حوله آراء كثيرة نستقيها من كتب الرحالة الجغرافيين لرسم حدود قريبة من واقع بلاد المغرب الأوسط، من امثال :

- **اليعقوبي احمد بن أبي يعقوب:** ذكر أن مدينة أوربة هي: " أخر مدن الزاب مما يلي المغرب آخر عمل بني الأغلب"، [5]بينما ابن حوقل قسم بلاد المغرب إلى قسمين: شرقي يمتد من برقة إلى نواحي إفريقيا، وغربا يمتد من افريقية إلى المحيط.

---

1) - روبار برنشفيك: **تاريخ افريقية في العهد الحفصي**، ترجمة حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ج1، ص 313.

2) -أطلق على بلاد المغرب منذ القديم عدة أسماء، فقد أطلق الفينيقيون على السكان الذين سكنوا حول مدن أوتيكا وقرطاجنة اسم افري، واخذ عنهم اليونان هذه التسمية، وتمتد هذه المنطقة من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي، ومن افري اشتق اسم افريقية؛ عبد الواحد ذنون طه وآخرون: **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الاسلامي، ط1، بيروت، لبنان،2004م، ص11.

3) - يوسف أحمد حوالة، **الحياة العلمية في افريقية، المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن 5هـ**، ج1، ط1، جامعة أم القرى، السعودية 1421هـ/2000م، ص49.

4) - تمتد حدود بلاد المغرب حسب؛ أبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت11هـ/17م) في كتابه المؤنس في أخبار افريقية وتونس « من نهر النيل بالمشرق إلى البحر المحيط من ناحية المغرب» ؛ المعروف بابن دينار: (أبو عبد الله مُحَمَّد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني): **المؤنس في أخبار افريقية وتونس** ، تحقيق : مُحَمَّد شمام ، المكتبة العتيقة ، ط3 ،تونس،1967م، ص20.

5)- أحمد بن أبي يعقوب بن واضح :**كتاب البلدان** ، مطبعة بريل ، ليدن، 1860 ، ص131.

– البكري (المتوفى 487هـ/ 1094م) هو أول من استخدم مصطلح المغرب الأوسط بعد تحديده مساحات المغرب الاسلامي، ويذكر أن تلمسان قاعدة المغرب الاوسط.[1]

أما ابن خلدون (ت 548هـ/1159م) يرى أن المغرب الأوسط كبنية جغرافية تدل على المواطن التي كانت تستقر فيها القبائل الزناتية من وادى ملوية غربا إلى وادى الشلف والزاب شرقا بالنسبة لخطوط الطول ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهرت جنوبا.

وتعتبر الأقاليم الممتدة من المغرب الأوسط غربا إلى بجاية شرقا بلاد صنهاجة[2]، أما إقليما بجاية وقسنطينة فمواطن كتامة[3]وعجيسة[4]وهوارة [5]، وما وراء قسنطينة[1] بداية حدود افريقية إلى طرابلس.[2]

---

1) – أبي عبيد الله البكري :**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص76.

2) –كانت صنهاجة في القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي تعادل بلاد المغرب الأوسط، مقابل اقليم قبائل كتامة والذي يبدأ من قسنطينة شمالا وما يليها جنوبا بشرق إلى تخوم بجاية: انظر سعد زغلول عبد الحميد :**تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين**، منشأة المعارف بالإسكندرية، القاهرة، د.ط، ج 3،1990 م، ص290 -291.

3) – فرع من فروع البرانس وأوطانها بناحية سطيف، ومن أهم مدنها :ايكيجان، سطيف، باغاية، نقاوس، بلزمة، تيجست، مليلة، جيجل، سكيكدة، القل، قسنطينة، انظر الإصطخري أبو أسحاق ابراهيم بن مُحَمَّد الفارسي: **المسالك والممالك**، مطبع بريل، ليدن،1967 م، ص 44. انظر: سعد زغلول :نفس المرجع السبق، ص 290.

4) – عجيسة قرية بالمغرب أصل التسمية عربي فهي منقولة من فعل ماض عجس، أي عجيسة، انظر ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، مج 4، 1997م، ص 487.

5) – قبيلة من قبائل البتر. الإصطخري أبو أسحاق ابراهيم:**المسالك والممالك**، مطبع بريل، ليدن، د.ط،1967 م، ص44.

– **الشريف الإدريسي**(ت560هـ/ 1164م) يذكر في كتابه الموسوم المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، أنّ المغرب الأوسط يقع في الجزء الأول من الإقليم الثالث وقاعدته بجاية فيقول: "مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد...وانّ تلمسان هي قفل بلاد المغرب".[3] ويذكر أيضا بعض مدن المغرب الأوسط مثل تنس وبرشك [4] وجزائر بني مزغنى وتدلس، [5]وبجاية وجيجل، ومليانة [6]وباغاية [7]وقسنطينة وطبنه ونقاو [8]والقلعة بني حماد والمسيلة.[9]

---

1) – مدينة قديمة بناها الرومان، وهي واقعة علي جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية وبجانبها الغربي قلعة كبيرة .حسن الوازن: **وصف افريقيا**، ترجمة :مُحَمَّد حجي، دار الغرب الاسلامى، ط 2، بيروت، لبنان، 1983 م، ج2 ص55 – 57.

2) – ابن خلدون عبد الرحمن:**العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،ج7، د.ط، 2000م، ص 17.

3)– أبو عبيد الله مُحَمَّد الحسني السبتي الشريف الإدريسي :**المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبع بريل، ليدن، د.ط، 1863م، ص 90.

4)–محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، مدينة صغيرة علي التل وعليها سور علي ضفة البحر، تحقيق :علي الرازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص 88.

5) – مدينة عتيقة بناها الأفارقة علي بعد نحو تسعة وثلاثين ميلا من شاطئ البحر المتوسط، وتحيط بها أسوار قديمة متينة .حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 42.

6)– الهادي روجي إدريس :**الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12 م**، ترجمة :حمادي الساحلي، دار الغرب، الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص 97.

7)– أبو عبد الله شمس الدين مُحَمَّد المقديسي:أحسن **التقاسيم في معرفة ألأقاليم**، دار صادر، بيروت، 1906م، ص60.

8) –مؤلف مجهول :**الاستبصار في عجائب الأمصار**، تعليق :سعد زغلول عبد الحميد، د.ط، د.ت، ص60.

9) –الشريف الادريسي :المصدر السابق، ص56.

– **ياقوت الحموي**)ت 626 هـ/ 1228م)، الذي جعل من بجاية حدا فاصلا بين إفريقية والمغرب الأقصى[1]، اي انّ المغرب الأوسط غير موجود في تقسيمه، وقد جعل مليانة آخر حدود إفريقية، وادخل الكثير من المدن المشهورة ضمن افريقية مثل باغاية وبونة، وتلمسان.[2]

– **اما أبو الفدا عماد الدين اسماعيل**)ت 732 هـ/1331م)، قسم المغرب إلى ثلاث ممالك :إفريقية، الأولى تعرف بالمغرب الأقصى من ساحل البحر المحيط إلي بتلمسان غربا، وشرقا حتى تبسة إلى مراكش ثم سجلماسة، والقسم الثاني يعرف بالمغرب الأوسط وهي شرقي وهران، تبعد عن تلمسان مسيرة يوم إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق، والقسم الثالث بشرقي إفريقية ويمتد الى حدود ديار مصر [3]، في حين نجد بن فضل الله شهاب الدين العمري (ت749هـ/ 1348م) قسم بلاد المغرب الى ثلاث مماليك هي:إفريقية التي أضيف إليها ممكة بجاية ومملكة تدلس ومملكة بر العدوة المجموع لسلطان واحد أيام أبي الحسف المريني، وهي ثلاثة مماليك اعظمها مملكة تلمسان [4]وجعل من مدن المملكة تلمسان،وجدة، وميونة، ندرومة، هنين، وهران، وتميزغران، برشك،و شرشال، مستغانم، وتنس ،والجزائر. [5]

1) –الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 403.

2) –نفسه، ج5، ص 227.

3)– أبو الفدا عماد الدين اسماعيل بن مُحَمَّد (ت 732هـ/1331م) **تقويم البلدان** ، نشره رينود و البارون ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، بيروت، 1840م ، ص 122.

4)– ابن فضل الله العمري شهاب الدين ابي العباس احمد بن يحي، **مسالك الابصار في ممالك الامصار(الممالك الاسلامية في ايمن والمغرب والاندلس وافريقيا**)، تحقيق مُحَمَّد عبد القادر خريسات وآخرون ، مركز زايد للتراث والتاريخ، الامارات العربية المتحدة، 2001م، ص 86، 107.

5)– نفسه، ص 135.

- **الحميري** (المتوفى 900هـ/ 1494م)[1] قسم بلاد المغرب إلى ثلاث أقاليم : إفريقية والمغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى، لكن الشيء الملاحظ في تحديد الحميري نجده مضطربا كونه يذكر أن بجاية قاعدة المغرب الأوسط من جهة الشرق ثم يذكر مرة أخرى أن تلمسان قاعدته أيضا.[2] و الملاحظ أن هذا الجغرافي غير واضح في تقسيمه للحدود، إذ انه نقل عن الإدريسي.

بينما جاء في كتاب الصبح الأعشى لأبي العباس القلقشندى (ت 821هـ/ 1418م)، أنّ مملكة تونس من جهة غرب جزائر بني مزغنة ، ومن الجنوب بلاد الجريد، ومن مدنها بونة والمسيلة وبسكرة [3]، اما بجاية فجعلها من مدن الغرب ومملكة تلمسان من مدن الشرق. والملاحظ من تقسيم القلقشندى تغلب عليه عدم الدقة، فتارة يجعل بجاية مستقلة وتارة يدرجها ضمن مملكة افريقية التي ذكر في البداية انها تونس، ولعل هذا يعود إلى كثرة الاقتباس عن سابقيه" من امثال البكري ولعمري.[4]

إنّ حدود المغرب الأوسط من جهة الشرق مملكة إفريقية وما أضيف إليها من ناحية الغرب ، ومن الشمال البحر الرومي، ومن الغرب مملكة فاس ومن جهة الجنوب المفاوز (الصحاري والاراضي القفار) الفاصلة بين المغرب وبلاد السودان. [5]

---

1)- هو عبد المنعم الصنهاجي الحميري رحالة وجغرافي يكنى بأبا عبد الله وعرف بابن عبد المنعم أنه من أهل سبتة ، أنظر: مُحَمَّد محمود مُحَمَّدين ، **التراث الجغرافي الإسلامي** ، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1999م. نفس المرجع ، ص193.

2) – عبد الواحد ذنون طه وآخرون: **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان،2004م.

3) – أبو العباس احمد القلقشندي (ت 821هـ/ 1418م) ، **صبح الأعشى في كتابة الانشا**، ج5، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1340هـ/ 1922م، ص 107.

4- ابو الفدا، المصدر السابق، ص 122-136.

5)- القلقشندي، المصدر السابق ، ج5 ، ص149 .

– حسن الوزان" ليون الإفريقي (جغرافي القرن 10 هـ/ 16م)[1] " الذي زار المغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني فقد قسم بلاد المغرب إلى أربعة ممالك: مراكش، فاس، تلمسان وتونس التي تضم إقليم بجاية وقسنطينة والزاب وطرابلس ثم مملكة تلمسان التي يحدها نهر ملوية غربا والواد الكبير" الصومام "وصحراء نوميديا جنوبا. [2]

مما نخلص اليه انّه لزاما علينا التطرق الى اشكالية حدود المغرب الاوسط الواردة في ضمن مصنفات الجغرافية والتاريخية قبل الشروع في دراسة موضوع المؤسسات "المراكز" التعليمية في المغرب الاوسط خلال العصر الوسيط كون هذه المؤسسات محدودة بإطار جغرافي محدد، ونقصد بالمغرب الاوسط ؛ الجزائر حاليا بحدودها الواسعة شرقا وغرابا وشمالا وجنوبا .

لقد سمي المغرب الأوسط لتوسطه المغربين الأدنى والمغرب الأقصى، وحدوده من بجاية غربا وبلاد الزاب من الشرق[3]حتى وادي ملوية وتاوريرت ووجدة وجبال تازة في الغرب وقاعدته مدينة تلمسان.[4] **(انظر الخاريطة رقم : 01 – 02)**

ثانيا: الاطار الجغرافي والتاريخي لمدينة تلمسان الزيانية :

1. تلمسان:

تعد مدينة تلمسان من بين مدن المغرب الاوسط التي لها رصيد واسع في العلم و الحضارة والعمران ، فقد أدَّى تعاقب الدول وتراكم الحضارات عليها على إثراء

---

1)– سالم بوتدارة :**تاريخ شمال إفريقيا من خلال كتابات مارمول كربخال والحسن الوازن**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس2010/ 2011م ، ص 12-13.

2) – الحسن الفاسي، المصدر السابق،ج2 ، ص 7 .

3) – حسن الوزان، المصدر السابق، ج1 ، ص32 .

(4)– عبد الواحد ذنون طه وآخرون: **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الإسلامي، ط1 ، بيروت، لبنان،2004م، ص 13.

النتاج الثقافي باختلاف مصادره ،وهو الذي أعطاها الزخم الحضاري التي تميز به بين سائر المناطق وبين سائر حواضر العالم الاسلامي.

1.1. الاطار الجغرافي:

تعتبر تلمسان إحدى الحواضر الإسلامية التي لا تقل أهمية عن باقي الحواضر فنجدها قد حظيت بالدراسات الجغرافية وقد ورد ذلك في العديد من كتب الرحالة والجغرافيين، مما جعلها استقطبت منذ القدم اهتمام الفنانين والشعراء والمؤرخين والجغرافيين وعلماء الآثار الذين استهوتهم، فدونوها وتغنوا بها، في شتى الجوانب.

تقع ولاية تلمسان في الإقليم الغربي من الوطن، وهي وأحدى ولايات القطر الجزائري، تتربع على سفح سلسلة من جبال الأطلس التّلّي، تقدر مساحتها تقدر بـ (9020كلم^2)، اما المدينة في حد ذاتها فتقع على 1'و28° ، ودائرة عرض (34°و53') وترتفع عن سطح البحر بحوالي 830م. وفلكيا على 13°2 غرب خط قرينتش، بين دائرتي عرض(35° 15' و34° 4' 30"). [1]

يحدها من الشمال البحر الآبيض المتوسط وولاية عين تموشنت، ومن الجنوب ولاية النعامة، ومن الشرق ولاية سيدي بلعباس ومن الغرب سلسلة جبال الريف التي تسير بموازاة السّهل السّاحلي من المغرب الأقصى حتى تصل إلى منطقة ضيقة قرب تلمسان، حيث اعتبرت هذه المنطقة الحد الفاصل بين المغربين الأوسط والأقصى، ممّا مكّن تلمسان التّحكم بالممرّ البرّ ي بين الدّاخل والخارج للمنطقة.[2]

---

1)- قادة لبتر ،**تأثير الرطوبة على المعالم الاثرية ،دراسة لبعض معالم مدينة تلمسان** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستير في علم الاثار والمحيط، تخصص علم الاثار والمحيط ،جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان،2006-2007م، ص 8.

2)- الحميري، المصدر السابق، ص 135. نقلا عن: - خالد بلعربي، **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55هـ-633هـ/ 675م – 1235م)**، دار الألمعية للنشر والتوزيع قسنطينة، 2011م ، ص 25.

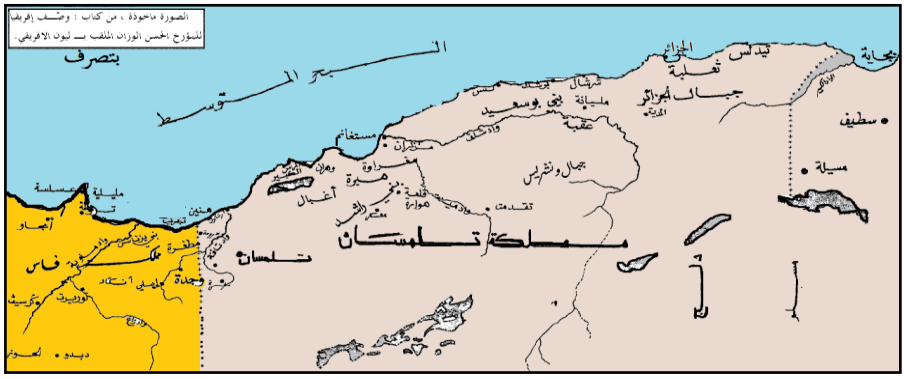

الخارطة رقم : 01
الحدود الجغرافية للمنطقة الغربية / عن حسن الوزان المصدر السابق، ج2 ، ص 6.

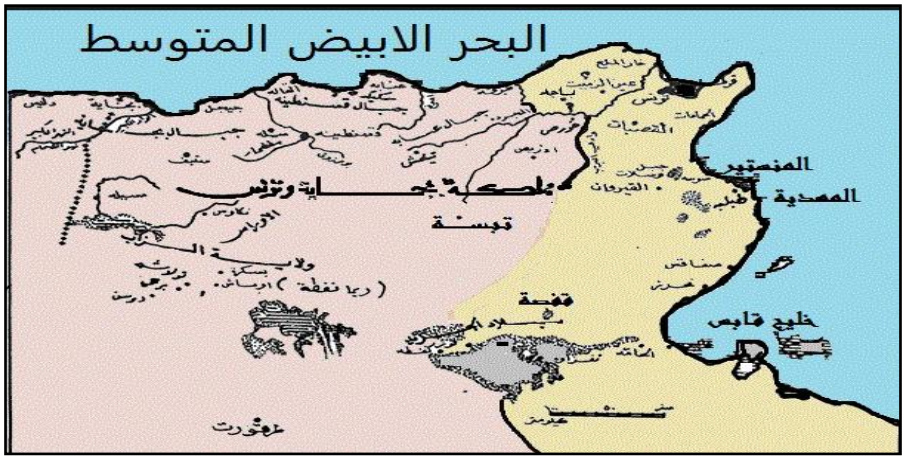

الخارطة رقم : 02
الحدود الجغرافية للمنطقة الشرقية
عن حسن الوزان، ج2، ص 270 / بتصرف .

أما بالنسبة لمدينة تلمسان مركز الولاية التي تعد محور دراسة المراكز والمؤسسات العلمية في العهد الزياني، فيحدها من الجنوب هضبة لالة ستي ومن الشمال سهول المدينة ودائرة سيدي سعيد وشتوان، أما من الناحية الغربية أطلال مدينة المنصورة المرينية)المدينة التي شيدها أبو يعقوب يوسف سنة (698هـ/1299م في الحصار الآول للمدينة)، ومن الشرق مرتفعات قرية العباد.

أما بالنسبة لموقعها الجغرافي تعتبر من أحسن مدن الشمال الإفريقي موقعا كونها تقع في ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشرق والغرب من جهة، وبين الشمال والجنوب من جهة اخرى.[1]

1. 2. الاطار التاريخي:

لقد حظيت تلمسان في عهد بني زيان بمكانة مرموقة بين حواضر بلاد المغرب[2]، واصبحت حاضرة المغرب الاوسط وارتقت الى مصاف حواضر التطور والازدهار، فنجدها نالت اهتماما من قبل كتاب ورحالة وجغرافيين المشارقة والمغاربة وذلك منذ أواسط (القرن 3 هـ/9م)، إذ ورد ذكرها في مؤلفاتهم أمثال أبو القاسم مُحَمَّد بن حوقل النصيبي واليعقوبي (القرن 4هـ/10م)، أبو عبد الله البكري (5هـ/11م)، وأبو عبد الله مُحَمَّد الشريف الإدريسي (6هـ/12م) وشهاب الدين ياقوت الحموي (7هـ/13م)، الذي يرى أن: (تلمسان بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة وبعضهم يقول تلمسان بالنون عوض اللام مدينة بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر أحدهما قديمة والأخرى حديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافزرت).[3]

اما إبن عذاري المراكشي، وابن أبي زرع الفاسي ولسان الدين بن الخطيب (8هـ/14م) في وصفها قائلين : (تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف، ووضعت في موضع شريف.كأنّها ملك على رئسه تاجه وحواليه من الدوحات، ...أعيانها، هواها المقصور بها فريد، وهواؤها الممدود صحيح عتيد، وماؤها برود صريد

---

1) – مُحَمَّد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ج1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2011م ، ص 27.

2) – حمدان خوجة، **المرآة**، تحق: مُحَمَّد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 93، 94.

3) – الحموي ، المصدر السابق، 245.

حجبتها أيدي القدرة عن الجنوب، فلا نحول فيها ولا شحوب،خزانة زرع، ومسرح ضرع، فواكهها عديدة الأنواع ومتاجرها فريدة الانتفاع، وبرانسها رقاق رفاع، إلا أنها بسبب حب الملوك مطمعة الملوك ومن أجل جمعها الصيد في جوف الفرا، مغلوبة للأمر، أهلها ليست عندهم الراحة إلا فيما قبضت عليه الراحة، ولا فلاحة، إلا لمن أقام رسم الفلاحة، ليس بها لسع العقارب إلا فيما بين الأقارب، ولا شطارة، إلا فيمن ارتكبت الخطارة) .[1]

كما تحدث عنها أبو عبيد البكري بقوله أنّها: "دار مملكة قديمة البناء ودار مملكة زناتة وأهلها موسومون بالخير من قبائل حاوزا ..والأخرى تعرف بتاجزرت بناها ملك لمتونه يوسف بن تاشفين [2]، وفي نفس السياق يضيف الشيخ مبارك المليلي قائلا :" وتلمسان مدينتان إحداهما قديمة تعرف بأغادير أسّسها بنو يفرن الإسلام والثانية أحدثها يوسف بن تاشفين سنة 474م بمعسكره المحاصر بأغادير وسمّاها تقرارت باسم المعسكر في لسانهم.[3]

وذكر الكاتب شارل (**بروسلار** (**Charles Brosselard**) بقوله: (ليست الآثار الموجودة بتلمسان وحدها بل الصّرو ح الّتي لازالت قائمة أيضا الّتي تفتح فضول الباحثين فكل دولة أو مملكة قامت بالمدينة تركت بصماتها و عبقرية صانعيها). [4]

---

1) – مبارك بن مُحَّد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ،تقديم وتصحيح مُحَّد الميلي، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1396هـ،1976، ص 447.

2)– البكري، المصدر السابق، ص 120.

3)– مبارك بن مُحَّد الميلي، المرجع السابق، ص 444-445.

4)– Charles Brosselard, **Les inscriptions arabes de Tlemcen** Revue africaine, 3emme année ,N°14 Vol3, 1858, p58.

فمن خلال التمعن في المراحل التاريخية التي مرت بها مدينة تلمسان ، نستنتج انّ للعلماء والمفكرين الذين عاشوا في تلمسان وأحوازها الفضل الكبير في نبوغ الحركة العلمية و الفكريةو الثقافية بصفة عامة. فقد تغدت الحركة الفكرية بتلمسان برافدين هامّين :رافد الأندلس و رافد المشرق...فتضاعف التّحصيل وتعمق الاقتباس، وتوسعت التّيارات الفكرية المتعددة في عقول النخبة من أهل تلمسان ، فكثرت المجالات والمناظرات الشفوية والمكتوبة بين علماء تلمسان وغيرهم ، فتطورت العلوم النقلية والعقلية، وبرز فيها علماء تلمسانيين تميزوا بعمق التّفكير، وغزارة التّحصيل، فكانت لهم مساهمات جادة في النهضة العلمية والحركة الفكرية في حواضر المغرب والأندلس والمشرق [1]ونستنتج ايضا أن تلمسان تنقسم إلى مجموعة من المواقع الأثرية، ومجموعة من المعالم التاريخية .[2] وان الرقعة الجغرافية التي حددناها لدراسة (المراكز والمؤسسات الثقافية التعليمة في العصر الوسيط بحاضرة تلمسان) تعتبر من أهم مظاهر الازدهار الثقافي في العهد الزياني بإعتبارها حاملة لمختلف العلوم والعلماء وطالبي العلم، فقد عرفت حاضرة الدولة الزيانية كغيرها من حواضر المغرب الاسلامي المؤسسات المتداولة لطلب العلم في شتى العلوم .

ثالثا: المراكز والمؤسسات التعليمية في حاضرة تلمسان الزيانية :

تعد المراكز والمؤسسات التعليمية من أهم مظاهر الازدهار الثقافي في مدينة تلمسان في العهد الزياني، التي اصبحت مراكز إشعاع ثقافي وعلمي، إهتم السلاطين بتشييدها والانفاق عليها لكونها مهدا لمختلف العلوم ومستقطبة العلماء وطالبي

1)- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني دراسة (سياسية ، عمرانية، اجتماعية و ثقافية)**، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2002 م، ص 05.

2)- زيدان عبد الكاف نقاف، **المدخل إلى علم الآثار**، الأردن، مؤسسة حمادة للدراسات والنشر والتوزيع، 2004م، ص 55.

العلم من كل الاقطار، فقد عرفت كغيرها من حواضر المغرب الاسلامي المتداولة لطلب العلم مؤسسات تعليمية علمية يمكن ذكرها فيما يلي:

1. الكتاتيب:

1.1. تعريف الكتاتيب:

(أ): **لغة:** هي جمع لكلمة كُتَّاب التي تطلق على فضاء واسع يكون بجوار المسجد، والكُتَّاب موضع تعليم الكتاب، والجمع كتاتيب، والقصد به المكان الذي يتلقى ويتعلم فيه الصبيان ويعود سبب تسميته بالكتاب ذلك ان الطفل يتعلم فيه الكتابة وقراءة القرآن الكريم [1] ومبادئ العلوم الدينية والاخلاق الحسنة التي يحبذها المجتمع في الفرد الصالح " الصدق والامانة وبر الوالدين " حيث كان المعلم يدعوهم للتحلي بها ليكونوا أفرادا صالحين في المجتمع [2].

(ب): اصطلاحاً: الكتاتيب عبارة عن حجرات مجاورة للمساجد أو بعيدة عنها بعض الشيء يعلم فيها مجموعة من الاساتذة، وفي المغرب الاسلامي هي الاماكن التي يتعلم فيها الصبيان المسلمين مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وتميزت منذ ظهورها ببساطة بنائها وأثاثها وهي تشبه بما نسيه اليوم بالمدارس الابتدائية. [3]

---

1)- عبد العزيز مُحَّد حسني" :**الحياة العلمية في الدولة الإسلامية**"، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م ، ص 36 – 33.

2) – سايح الدين، **حركة التعليم بالمغرب الاوسط خلال القرن (3 هـ / 9 م)**، رسالة ماجستير ، كلية الاداب و العلوم الانسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2010/2009م، ص 49.

3)- الفيروز آبادي مجد الدين مُحَّد بن يعقوب،(المتوفى سنة 817 هـ/ 1414م)، **القاموس المحيط**، ط 2، ج1، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م، ص 121. ومصطفى السباعي، **من روائع حضارتنا**، دار الوراق ودار السلام، القاهرة، ط1، 1418هـ/ 1998م، ص 90.

1. 2. نشأة الكتاتيب:

تعد الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمة الاولى في التاريخ الإسلامي حيث اختلف العلماءفي نشأتها، قيل عرفت عند العرب قبل الاسلام على نطاق محدود جدًا، وظهرت في عهد الرسول ﷺ وذلك في السنة الثانية من الهجرة النبوية ونشوء الدولة الاسلامية[1]، وهذا ما توضحه الرواية المشهورة التي ذكر فيها انّ النبي صلى الله عليه وسلم جعل فداء بعض أسرى بدر ممن لا مال لهم أن يعلم الواحد منهم عشرة من الغلمان النصارى الكتابة فيُخلَّى سبيله، وكان زيد بن ثابت ﷺ ممن تعلم الكتابة والقراءة من الأسرى.[2]

1. 3. وظيفتها:

تمثلت وظيفتها الأساسية في التربية الاسلامية، ثم عرفت انتشارا واسعا بعد الفتوحات الاسلامية، بحيث دخل هذا النوع من النظام التعليمي الى لبلاد المغرب مع الفاتحين الأوائل[3] وفي جميع الاقطار الاسلامية في بلاد المغرب والاندلس، وأسست على غرار نظام الكتاتيب في المشرق الاسلامي، حيث ذكر ابن حوقل [4] ان عدَّها ثلاثمائة كُتَّاب في مدينة واحدة من مدن صقلية."[5]، وكذا المغرب الأوسط بين القرنين (7-9هـ/ 13–15م) وارتبط ارتباطاً وثيقا بالتربية الاسلامية منذ نشأتها

---

1)- ابن منظور بن مكرم علي الانصاري، **لسان العرب**، ط1، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت، 2000م، ص 13 – 18.

2) - ابن كثير (ت 774هـ) **البداية والنهاية**، ج 3، مكتبة المعارف، بيروت، 1412هـ/ 1991م، ص 328.

3)- ابراهيم حركات" :**مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب حتى القرن(9 هـ / 15م)**، ج1، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، ط1، 2000 م، ص 09 – 19 .

4)- ابن حوقل : هو أبو القاسم مُحَمَّد بن حوقل (ت 350هـ) **كتاب المسالك والممالك** للإصطخري ، وتعليقه بنفس الاسم. انظر: الزركلي: الأعلام 6 ص111.

5)- مصطفى السباعي ، المرجع السابق ، ص100.

الاولى[1]حيث ساهمت في تنشيط الحياة الثقافية والفكرية ، فهي القاعدة الأساسية التي تعلم فيها العديد من الطلاب" القناديز" وتخرجوا من رحابها العديد من العلماء الاجلاء الذين حفظوا القرآن الكريم، وتعلموا قواعد القراءة والكتابة ، وتربوا على المبادئ والأخلاق الحميدة ، ثم أصبحوا بعد ذلك قادة، ومنابر، وأصحاب فكر في المجتمع يشار إليهم بالبنان في قراءة القرآن بجميع رواياته، وفي مجالات العلوم المختلفة، واعتبر بناء الكتاتيب عملا من أجلِّ الأعمال في مختلف بقاع العالم الاسلامي.[2]

1. 4. ظهورها بالمغرب الاوسط:

ظهرت الكتّاتيب كمؤسسة تعليمية وتربوية أدت دورها في جميع العصور ولعل ظهورها بالمغرب الاسلامي عامة والمغرب الاوسط خاصة كان مصاحبا لجيوش الفتح الاسلامي الذين قدموا بأسرهم في منتصف القرن الاول للهجرة / السابع الميلادي، فكان في البداية عبارة عن خيمة قبل تمصير الأمصار يصاحب العرب الفاتحين في ترحالهم ، الذين حرصوا كل الحرص على تعليم أبنائهم وأبناء المسلمين من أهل المغرب فاتخذوا لذلك كتّابا بسيطا[3]، أما في المدن فهو عبارة عن حجرات صغيرة مجاورة للمساجد، وعادة ما تكون غرفة واحدة إما تابعة إلى المسجد أو منفصلة عنه، تخصص لتعليم الصبيان الصغار بدلا من تدريسهم في المساجد المخصصة للصلاة حفاظا على طهارتها.[4]ولا زالت هذه الطريقة متداولة الى يومنا هذا والتي تعبر من اهم المؤسسات التي فتحت أبوابها لطلبة العلم و المعرفة حيث يتلقى فيها الصبيان

---

1)- محمد أسعد طلس، **التربية والتعليم في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت،ط 1 ، 1957م ، ص 66.

2)- احمد سالك معلوم، **الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي**، مكتبة لينة، المملكة العربية السعودية، ط2 ، 1993م، ص 54.

3) – بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ /10 م)**، دار المدار الاسلامي، بيروت، لبنان، 2003 ، ص36 .

4) – محمد بن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981م ،ص 87.

مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن بطريقة مميزة وهي طريقة التكرار وراء الشيخ المعلم الذي يلقب باسم"سيدي" والطالب" بالقندوز"، إذ كان سكان المغرب الأوسط والأندلس شديدي الحرص على تحفيظ القران الكريم لأولادهم، إقتداء بقوله تعالى:﴿وْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] فرغم بساطة الكتاتيب من حيث البناء والتجهيزات إلا انّها أدت دوراً كبيرا في التعليم، وعرفت مستوى رفيع من التنظيم وحظيت بالإعتناء والإهتمام من طرف الحكام والسلاطين.

2 . الزاويا:

2. 1. تعريف الزاوية لغة واصطلاحاً:

(أ). **لغة**:الزوايا مفردها زاوية وهي مشتقة من الفعل "إنزوى، ينزوي" بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للإعتكاف والتّعبد [2]، والزاوية ركن من أركان البيت ، كما أنها مأخوذة من فعل "زوى"يزوي" بمعنى إبتعد وإنعزل ولأنها جمعت قطرا منه.[3]، كما يطلق عليها في المشرق لفظ خوانق ، وهي جمع خانقات (هي تلك البيوت الملاصقة للمساجد، والتي خصصت للذكر والعبادة)، وهي كلمة فارسية تعني بيت .

(ب). **اصطلاحا**: هي مؤسسة دينية روحية إسلامية [4]، تكون بمثابة مدرسة دينية، ودارا لضيافة عابري السبيل، تؤدي رسالتها بجوار المسجد بكفاءة وإقتدارا، كما

---

1) – سورة الحشر، الاية 21 .

2) – حسن ابراهيم ،**تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج 4، دار الجبل ومكتبة النهضة المصرية، بيروت، تونس والقاهرة، ط 15، 2001م، ص401.

3)– **مرتضى الزبيدي :تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق عبد الصبور شاهين، ومراجعة مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف، منشورات التراث العربي، المجلس، الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط 1، 2001م، ج 28، ص 227.

4) – مُحَمَّد باي بلعالم، **الرحلة العلية الى منطقة توات**، ج 1، ج 2، دار الامة ، الجزائر ، 2005م ، ص 315.

أعتبر بعض المهتمين بالجانب الثقافي والديني في الجزائر على أن الزاوية هي" مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلام شيدت قبابها على أضرحة الأولياء الصالحين أو بنيت تخليدا لذكراهم ، أما عن تسمية الزاوية فهناك من يرى أنها جاءت إما لانزوائها عن المدينة باعتبار أن العديد من الزوايا كانت في مناطق قروية ، أو لأن وجودها كان دوما في أطراف المدينة أو ركن منزوي بها، وهي تشبه المدرسة أو الدير.[1]

حسب تعريف ابن مرزوق الخطيب)ت.781هـ/1319م) في كتابه،المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن « **هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين**» [2]

أما أبو القاسم سعد الله فيعرفها بأنها ملحق بأحد المساجد مخصص الإستقبال الأطفال وتعليمهم مبادئ الإسلام والقراءة والكتابة... وأنها من جهة أخرى حلت محل الرباط الذي كان في الأساس مركزا متقدما للدفاع عن الحدود ضد غارات الإعداء ، وكان الأشخاص الذين يقومون بحراسة الحدود منهم الصالحون ورجال الدين والعلماء...، فكانت مركزا للجهاد والتعليم في آن واحد.

وفي الغالب ما كانت هذه الزوايا ترتبط بإسم الرجل الصالح وبذلك أصبحت الزاوية تحتوي على ضريح وجامع صغير ومساكن للغرباء والطلبة كما عرفت الزاوية

1)-أحمد مريوش: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007 م،ص72.

2)- مُحَمَّد بن احمد بن مرزوق ابو عبد الله الخطيب: **المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، إصدارات المكتبة الوطنية . الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1401هـ 1981م، ص 413.

على أنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها يقصدونها للاستفتاء والصلح ، وكثر هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن العشر الهجري. [1]

2. 2. مفهوم الزاوية:

إنّ مفهوم ال زاوية يطلق على المكان المنعزل عن العالم الخارجي الذي يجتمع فيه المتعبدون ويؤدون طقوسهم الدينية من صلاة وعبادة وتلاوة القران الكريم ، وقد ساعدت هذه الزوايا على نشر الثقافة العربية الإسلامية، ونشر الطرائق الصوفية.كما ساهمت الى جانب المساجد في نشر الثقافة، والتعليم، وقد تغير مفهوم الزاوية من معناه القديم الذي يعني المرابطة والجهاد في الثغور إلى معنى جديد ألا وهو الانزواء والانفراد للتعبد.

لقد حظيت الزوايا باهتمام كبير من قبل السلاطين ، خاصة في ظل حكام الدولة الزيانية الذين أنفقوا أموالا طائلة عليها وإكرام شيوخها، وكسوة طلبتها، حيث كان مشايخ الزوايا محلّ إحترام الحكام وتبجيلهم لهم.

2. 3. نشأتها وتطورها:

بدأ ظهورها في بلاد المغرب الإسلامي في القرن (6هـ/ 12م) في عهد ألموحدين وسمّيت في بادئ الأمر، "بدار الكرامة".

هذه الزوايا يطلق عليها في المشرق الربط وقد انتشرت الزوايا في المغرب الاسلامي كله وفي المغرب الاوسط في عهد الدولة الزيانية [2].

2. 4. الوظيفة التربوية والتعليمية للزاوية :

---

1) – ابو القاسم سعد الله، **بحوث في التاريخ العربي الاسلامي** ، ط1، دار المعرف، بيروت، 2003م، ص 18.

2)– عبد الجليل قريان، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، جسور للنشر التوزيع ، تلمسان ، الجزائر ،2011م ،ص 77.

هي مؤسسة تربوية تعليمية تقوم بمساعدات وتبرعات المحسنين في دعم مسيرتها العلمية و التعليمية ، وهي تضم تلاميذ وطلاب وشيوخ للتدريس، ولها برامج ومناهج تعليمية خاصة تعتمدها في تكوين الطلبة ، وتعد" التربية الدينية والتوجه القرآني من أولى إهتمامات الزوايا في العملية التربوية، وذلك بغرض عدل السلوك...وتحقيق إستقرار نفوس المراهقين وتهذيبهم بالقيم القرآنية...الأمر الذي سينعكس على تصرفهم اليومي ..كما أنه في المجال التعليمي أيضا نجد أن التربية المدنية أخذت قسطا وافرا من التكوين في الزوايا، فالطالب يسير على نظام داخل الزاوية مضبوط جدا بجملة من القوانين كاحترام الوقت والمواعيد، وأداء الفرائض وتقديم الخدمات داخل الزاوية وغرس قيم العمل التطوعي وغيرها.[1]

5.2. دور الزوايا والكتاتيب في النشاط التعليمي :

لقد كانت الزوايا الدينية في الجزائر دور كبير في لم شمل المجتمع، لأنها تحمل خصوصية دينية تمثل العنصر الأساسي للاتحاد والتماسك الاجتماعي ، فأصبحت بهذه الميزة تؤثر في نفسية المواطن ولذا كان لها أتباعها ومورديها، وبخاصة في الفترة الاستعمارية التي كان لها شأن كبير باعتبار أن أغلب زعماء المقاومة الوطنية ينتمون إلى هذا الصرح الديني، وهذا ما يصرح به مارسيل سيميان قائلا":إن تلك المؤسسات الدينية غالبا ما تتحول إلى معقل الثورة ضد الأجنبي وضد الرومي المدنس لأرض الإسلا ... وإنّ الزاوية لم تعد فق مكانا لتعليم القرآن الكريم، بل أصبحت معلما للجهاد ترسم في ظلام أركانها مخططات الانتفاضات والثورات.

2. 6. زوايا حاضرة تلمسان:

من أشهر الزوايا التي إنتشرت في تلمسان خلال الفترة الزيانية ما يلي :

1)- أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 173.

1)– زاوية الأمير أبي يعقوب التي أنشاها السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني(القرن8 هـ/14م) على ضريح والده بجانب المدرسة اليعقوبية والتي تعد الأكثر شهرة، وقد نصب فيها الفقيه أبا عبد الله التنسي مُحَمَّد الشريف الحسيني للتدريس بها[1]

2) – زاوية سيدي بي الحسن التي انشأها السلطان أبو سعيد الزياني في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي بالقرب من المدرسة.[2]

3)– زاوية الامام السنوسي[3](الإمام العلامة الشيخ مُحَمَّد بن يوسف السنوسي سنة895هـ/1490م) [4]

4)– زاوية سيدي البناء[5] (أبو عبد الله مُحَمَّد بن البناء الفقيه والأديب، كاتب وشاعر المتوفى سنة 721هـ/1321م).[6]

---

1) –أبو زكريا يحي ابن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ، تحقيق الدكتور عبد الحميد حاجيات، ج 1، المكتبة الوطنية، الجزائر ، 1980م ،203 .– التنسي، المصدر السابق، ص 179-180

2)– شارل أندري جوليان : **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب : البشير بن سلامة ومُحَمَّد مزال، الدر التونسية للنشر، 1983م، ج2، ص 210 . حسين مؤنس، المرجع السابق، ج 3 ، ص 147. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1 ، ص 127.

3) أبو القاسم سعدالله، **تاريخ الجزائر الثقافي ، 1500–1830م**، ج1، دار الغرب الاسلامي، (د.ت.)، ص40 .

4) – الحاج مُحَمَّد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011م، ص 212.

5) – ابو زكريا يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص124. عليوان أسعيد : **مُحَمَّد بن يوسف السنوسي وشرحه المختصر في المنطق** ، دراسة وتحقيق ، رسالة دكتوراه ، معهد الفلسفة ، الجزائر ، 1987م ، ص 23.

6)– يحي بن خلدون، المصدر السابق ، ص 17– 124 .

3. المساجد :

3. 1. تعريف المسجد :

(أ)– **لغة:** يشتق مصطلح المسجد من الفعل سَجَدَ، يَسْجُدُ، سُجُوداً، أي وضع جبهته على الأرض[1].

قال : ابو اسحاق [2]: « السُّجود عبادة »، ومهما يكن من أمر فإنّ كلمة « مسجد » قد وردت في مواطن عديدة في القرآن الكريم، حيث ذُكرت في قوله تعالى : ﴿**وأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾[4].كما وردت كلمة مسجد في الكثير من الاحاديث النبوية، وفي حديث عن محمود بن لبيد عن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقو: «من بَنَى مسجدا لله بَنَى الله له بُنْيَاناً في الجنة مِثْلهُ ».[5]

(ب) اصطلاحاً: هو موضع السجود، أما شرعا فهو الموضع الذي يسجد فيه، والسجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه، لذا اشتق اسم المكان منه، فقيل":مسجد"ولم يقال" مركع "[6]ويمكننا القول: هو المكان الذي تؤدي فيه

---

1)– ابن منظور المصدر السابق مج 3 ، ج 22 ، باب السين ، مادة سجد (د.ط)، ص 1940.

2)– أبو اسحاق، ابراهيم بن مُحَمَّد السَّري الزَّجاج البغدادي نحوي من العصر العباسي، ولد سنة (241هـ/ 855مللمزيد من التفاصيل انظر : مُحَمَّد بن عثمان الذّهبي : "**سير أعلام اَلنُّبلاء** " تحقيق شعيب الأرنؤوطي و أكرم البوشي ، ج14 ، ط 4 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1982 ، ص 360.

3)– سورة الأعراف الاية 29.

4) – سورة الجن الاية 18.

5)– الإمام مسلم ، صحيح مسلم، ج1، باب :**فضل بناء المساجد والحثّ عنيها** ، رقم الحديث: 533.

6)– معروف بلحاج، **العمارة اَلدّينية بمنطقة وَادي ميزاب**، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2003 م، ص 167.

الصلوات الخمس جماعة، وقد يطلق على ما هو أعم من هذا فيدخل فيما يتخذه الإنسان في بيته ليصلي فيه النَّافلة أو ليصلي فيه فريضة عند العجز عن صلاته في المسجد الذي يقيم النَّاس فيه الجماعة. والمسجد هو المكان الذي تؤدي فيه الصلوات وهي الوظيفة التي ميزته دون غير من المؤسسات التعليمية الأخرى[1]، بل هو مؤسسة تربوية جامعة مانعة تهتم بتربية الفرد وأعداده لصالح المجتمع.[2]

3. 2. نشأته ودوره في المجتمع:

تعتبر المساجد من أهم المؤسسات التعليمة المعمارية للعمارة العربية الإسلامية لكونها كان ومازالت حصن اللقاء والإيمان ودُورُ الهدى والعرفان، فينهل من معينها الصّغير والكبير، والغني والفقير، فالمسجد بمثابة المعبد والمعهد والمعقل، إذ فيه تؤدى الشَّعائر والصَّلوات، وتتم فيه المدارسة، وحلقات الذِّكر والتِّلاوات، وتصدر من رحابه الفتاوى المتعلقة بالقضايا والنوازل [3]، واتخذت مراكز للعلم ومعاهد للدراسة ومراكز اجتماعية تُفضُ فيه المشاحنات والمنازعات، وتُجَيَّشُ فيه الجيو [4]، ويتعلم فيه المسلمون آداب النِّظام والتواضع والانضباط، والأخوة و حسن التَّوجه إلى الله سبحانه و تعالي و إسداء الرَّأي و المشورة لطالبها فيما يعرضه من أمور الدِّين وشؤون الدنيا.

---

1)- ابن منظور، ج 3 ، المصدر السابق، ص 204-205. مُحَمَّد بن عبد الله الزركشي: **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ،تحقيق :ابو الوفا مصطفى المارغي، مطابع الاهرام التجارية ، مصر، 1999م، ص36-39..

2)- أحمد عامر صبيح: **التَّربية فَي ٱلإسلام وَدور ٱلمسجد فَيها**، مجلة ٱلعلوم و الدراسات الانسانية ، عدد خاص، جامعة قطر، الدوحة، 1982م ، ص 68.

3) - ابن منظور ، المصدر السابق، مج 6، ج 49 ، باب : النون ، **مادة نزل**، ص 4401. وانظر فتحي زغروت: **النوازل الكبرى في التاريخ الاسلامي**،ط 1، الاندلس الجديدة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2009 م، ص 13.

4)- عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: **المسجد رَمز ٱلصُّمود وَٱلتَّحدي**، ط1 ، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2002 م، ص 107.

[1]و قد ذكر محمَّد أبو الفضل إبراهيم في تقديمه لكتاب **إعلام السَّاجد**...:" كانت المساجد على مر العصور منارة العلم، مثابة العلماء، في ساحاتها انعقدت حلقات الدَّرس، وأقيمت المناظرات وتشقّقت المذاهب الآراء، فكان لذلك أثره البعيد في تقدم العلوم والآداب والفنون ".[2]ومن اهم المساجد التي تعود للعهد، الزياني نذكر ما يلي:

اولا : مساجد حاضرة تلمسان الزيانية:

1- مسجد ابي الحسن التنسي:

- الإحداثيات الجغرافية (53 شمالا و 19 ، 1 غربا) .

يقع في وسط مدينة تلمسان، يحده من الجهتين الشرقية والجنوبية مجموعة من المحلات التجارية، ومن الجهة الشمالية الشارع الرئيسي الذي يؤدي إلى الساحة المركزية ، اما من الناحية الغربية المركز الثقافي الفرنسي، مصنف حسب القائمة المرجعية التي دونت سنة (1317هـ/1900م) ليدرج في قائمة المعالم المصنفة لمدينة تلمسان في 20 ديسمبر 1967م، وهذا ما جاء في الجريدة الرسمية رقم / 07 الصادرة بتاريخ (23 جانفي 1968م/ المرافق 1387هـ).

1.1. تأسيس المسجد:

يعتبر مسجد سيدي بلحسن التنسي من أهم وأجمل المساجد الزيانية الذي تم تأسيسه سنة (696هـ/1296م)[3]، تحت إمارة أبو سعيد عثمان و ذلك تخليدا لذكرى الأمير الزياني المتوفى أبي عامر إبراهيم ابن السلطان يحي يغمراسن بن زيان، هذا ما تشير له الكتابات التذكارية المنقوشة على لوحتين تأسيسيتين قائمتين

1)- علوي طه الصَّافي : **المساجد .ألعمارة وَالتَّاريخ وَالرِّسالة**، مجلة الفيصل ، عدد 15، تصدر عن دار الفيصل الثقافية، الرياض، رمضان ، 1398هـ / سبيتمبر 1978م، ص 100.

2)- الزَّركشي، المصدر السابق، ص3 .

3) - ابن خلدون ابو زكري يحي ، المصدر السابق ، ص 119.

في بيت الصلاة، اللوحة الاولى مثبتة في الجدار الغربي على يمين المحراب، من مادة الرخام المجزع ذو اللون الأخضر منفذة بالخط الأندلسي بحروف بارزة، تم نشرها وترجمتها (Brosselard) [1]وهي تتضمن زيادة على تاريخ التأسيس نصوص الحبوس المخصصة للمسجد ، جاء نصها فيما يلي : (بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وسلم تسليماً ، بني هذا المسجد للأمير أبي عامر إبراهيم بن السلطان أبي يحي يغمراسن بن زيان في سنة ست وتسعين وستمائة من بعد وفاته رحمه الله). [2](**صورة رقم : 01**)

أما اللوحة الثانية فقد نفذت بالخط الكوفي على لوحتين، من الجص مثبتتان على كتفي المحراب (**صورة رقم: 02**)، وهي تحمل نص اللوحة الأولى.

1(-Brosselard (C.H), **Les Inscriptions Arabes de Tlemcen**, in Rev.Afr,3èmeannée, Février, 1859, p162-163.

2)عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية ، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، ج1 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002 م، ص 146.

صورة رقم : 02
اللوحة المثبتة على يمين المحراب

اللوحة المثبتة على يسار المحراب

نفذت هذه الكتابة التاسيسية على أرضية نباتية ، قوامها فروع وأنصاف مراوح نخيلية مختلفة الأحجام، وزينت أطرافها بعقد نصف دائري متعدد الفصوص، يؤطر هذه الكتابة شريط مستطيل مزين بزخارف هندسية قوامها معينات، ثم شريط كتابي بخط أندلسي نسخي، جاء فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وسلم تسليما. ..)، ويفصل بين كل شريط كتابي زهيرات ثمانية الفصوص.

والجدير بالذكر أن هذا المسجد لا يحمل إسم مؤسسه وإنما أخذ أسم القاضي أبي الحسن علي بن يخلف التنسي، ذلك العالم الفقيه من مواليد مدينة تنس، ثم إستوطن مدينة تلمسان في عهد أبي سعيد عثمان بن يغمراسن[1]، تصدر مكانه رفيعة التي كان يحبها أخوه أبو إسحاق إبراهيم، وأقا الدروس في المسجد الذي يحمل

1) BERQUE(A), L'Algérie terre d'Art et d'Histoire, Alger, 1937, p 175.

إسمه (مسجد أبي الحسن)،[1] ويعتبر من الشخصيات الهامة التي كان لها دور في تاريخ الدولة الزيانية، وربما يرجع ذلك إلى الإهتمام الكبير الذي أولاه أمراء الدولة الزيانية للعلماء و الفقهاء و الأئمة دون الحكام و السلاطين .[2]

2. مسجد أولاد الامام :

هذا المسجد يتصدر وسط مدينة تلمسان ، بالجهة الغربية من الساحة المركزية لوسط مدينة تلمسان . في شارع معركة فلاوسن، الذي يسمى درب أولاد الإمام، يحده من الجنوب شارع معركة فلاوسن ومن الغرب مجمع سكني ، ومن الشرق حي المطمر، وشمالا الفناء التابع له وقاعة لتدريس القرآن (المدرسة سابقا).

بناؤه متواضع خال من كل بذخ وأبهة، التي كانت تتميز بها مساجد السلاطين والأمراء في تلك الفترة .

2– 1. تأسيس المسجد:

تاريخ تأسيس هذا الصرح الديني مجهول[3]، وهذا لا يمنعنا من معرفة الفترة التقريبية لبنائه الأول، بناء على التحريات التي قمنا بها مع سكان المنطقة ، يمكن القول أن هذا المسجد أنشئ خصيصا للأستاذين الأخوين، أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسي أبني الامام الفقيه التنسي أبو عبد الله مُحَمَّد الامام الذي شغل وظيفة الإرشاد والإمامة[4]، وقد ولدا الأخوين في مدينة برشك قرب مدينة شرشال، واللذين

---

1) – بورويبة رشيد، المرجع السابق، ص 77 .

2 (Marçais(G et W), Op. Cit, p 171.

3(Marçais (G), L'Architecture Musulmane d'Oeeident. P. 115-117.

4) – خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي فارس الزركلي : **الأعلام** ، دار العلم للملايين، ط15، ج 15، 2002، ص 108. ابن خلدون : العبر، المصدر السابق، ج1 ، ص 130.– عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص 165.– عبد العزيز محمود لعرج، المساجد الزيانية عمارتها وخصائصها، **حوليات جامعة الجزائر** ، مجلد 6 ، عدد1 ، (ب.ت)، ص 109.

قدما إلى تلمسان في عهد السلطان أبو حمو موسى الأول الذي بادر بإستدعائهما وإلحاقهما بخدمة وأسند لهما وظائف هامة في الدولة ،ثم بنى لهما مدرسة وأوقف لهما أرض كثيرة ليؤمن لهما العيش ومشقة الحياة [1] وكان ذلك بعد رجوعهما من رحلة المشرق التي كانت عن طريق تونسوذلك حوالي سنة (700هـ/1300م) التي كانا هدفهما فيها طلب العلم، واكتسابهما سمعة طيبة، ثم رجعا الى المغرب الأوسط ممتهنين مهنة التدريس بالجزائر وملیانة تلمسان [2]، فشيد لهما أبو حمو موسى المدرسة المعروفة باسميهما والتى تعرف بالمدرسة القديمة والحق بها مسجدا صغيرا. [3]وإحتمالا أنّ تاريخ بنائه يعود لسنة (710هـ/ 1310م)[4]. شيد ضمن مجمع علمي، إندثرت ملامحه، ولم يبقى منه غير هذا المسجد، أنها المدرسة القديمة لأولاد الإمام وهي أول مدرسة أنشئت بالمغرب الأوسط في ذلك العهد[5])**صورة رقم: 12**).

1) Dhina (Atallah),Les **Etats de L'occident Musulman au XIII**, **XIV**,**et XVé siéele**.O.P.U. ENAL Alger, p.216.

2) Marcais (G) , L'Architecteeture musulman d'Oeident,op, cit , p 172.

3)- ابن خلدون، العبر ، ج 13 ، ص 536-537.

4) -Dhina (Atallah), ,op, cit , p 216.

5) – يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص: 59.

صورة رقم : 12

الواجهة الخارجية ل مسجد اولاد الامام).

3. مسجد سيدي إبراهيم المصمودي: توفي (804هـ/ 1401م)

يعتبر مسجد سيدي إبراهيم المصمودي احدى المنشآت التي شيدها السلطان الزياني أبي حمو موسى ألثاني ، يقع في الناحية الجنوبية الغربية من المدينة ، يحده من الجهة الشرقية باب الخميس الذي يفصله عن دار الثقافة حاليا ، من الغرب بنايات سكنية قديمة بما فيها شارع سيدي أبي عبد الله ومن الجهة الشمالية الغربية قصر المشور والشمالية الجنوبية مجمعات سكنية وازقة ضيقة .وهو مصنف حسب القائمة المرجعية بتاريخ 1994م في الجريدة الرسمية رقم: 07 بتاريخ 23 من شهر جانفي 1968م الموافق لعام 1387هـ .

هذا المسجد هو جزء من المجمع المعماري المعروف بالمدرسة اليعقوبية والتي تحوي إضافة إلى المسجد مقاما وزاوية ومدرسة، وهي التي بناها السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/ 1359- 1389م) .

وذكر التنسي أنّ أبا حمو موسى الثاني كان محبا وموقرا للعلماء ، مما جعله يأمر بتشييد مجموعة من المنشآت الدينية التي إستغرق بناؤها سنوات عديدة ، فبنى زاوية ومدرسة ومسجدا سنة (763هـ/1362م)، حمل المسجد اسم الولي الصالح سيدي

إبراهيم المصمودي التلمساني، بعد ثمانين سنة تقريبا من إنشاء وتشييد المجمع السابق الذكر[1]، ووصف الجامع على أنه قمة في الجمال والتنميق الفني عبر جميع المراحل التاريخية كونه يتوسط تقريبا مدينة تلمسان الزيانية .

وذكر ذكر بارجيس أنه رأى سنة 1846 بالقرب من الجامع مدخلا ضخما مصنوع من الآجر المنحوت والآجر المطلي فتحته معقودة بعقد محدب مكتوب عليه الآيات الثلاث من سورة النصر.[2]

لقد خلد هذا العالم الجليل سيدي إبراهيم المصمودي، الذي تلقى العلم عن العبدوسي والإبلي في فاس بالمغرب الأقصى، ثم قدم الى تلمسان وحضر دروس أبا عبد الله الشريف في المدرسة اليعقوبية، خلد ورائه علماء أجلاء ومآثر دينة من مساجد ودور للعلم، وتتلمذ عنه فطاحل العلماء كأبي عبد الله بن جميل وابن مرزوق الحفيد، وتوفي فيما بين عام (804- 805هـ/1401-1402م)، ودفن بضريح الأمراء الزيانيين داخل أسوار المجمع ثمانين سنة بعد تأسيسه[3] بجانب المدرسة اليعقوبية. [4]

أما فيما يخص نفقات المسجد فقد تم وقف بعض المنشآت لصالحه استناداً إلى نص وقفي منفذ بنقش في بلاطتين رخاميتي محفوظتين بمتحف تلمسان، تحمل كل واحدة كتابة مكونة من خمسة عشر سطرا، مقاساتها (1متر وعرضها 43سنتم)

---

1) -(Omar Lachachi , **Le Prestigieux De Tlemcen** , **Ancienne Capitale du célèbre berbère ya 'ghmracen fondateur de la nation** , edition ibn khaldoun Tlemcen 2002

2) -المتحف الجهوي لمدينة تلمسان.

3)- وليام وجورج مارسيه ، **المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان**، تقديم وترجمة مراد بلعيد، وعلي مُحَمَّد بورويبة ، فلة عبد مزيام، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 ، ص424 .

4)- حاجيات عبد الحميد، **ابو حمو موسى الزياني**، ض.و.ن.، الجزائر 1974، ، ص 170. أنظر كذلك:- لعرج عبد العزيز، المرجع السابق.

وإحدى البلاطتين طرأ عليه كسر باتجاه العرض وهي تتمة لمثيلتها، وهي مكونة من إثنى عشر سطرا، إلا انّ العبارات المتبقية والمتعلقة بقرار ملكي يقضي وقف بعض الأملاك على المجمع الديني مفهومه جاء فيه ما يلي: [1]

–**اللوحة الأولى**": نقش فيها: (أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين أبي حمو ابن مولانا الأمير أبي يعقوب ابن الأمير أبي زيد ابن مولانا الأمير بن زكرياء ابن مولانا أمير المسلمين أبي يحي يغمر اسن ابن زيان وسل الله

مفاخرة وخلَّد آثاره الكريمة ومآثره على هذه الزاوية المباركة المقامة على ضريح والد المذكور برد الله ضريحه فمن ذلك ما بداخله تلمسن المحروسة جميع الطاحونة الملاصقة للزاوية ولثلاثون حانوتا المعروفة بالصناعة القديمة والكوشة التي بمنشر الجلد وحمام الطبول وفرن مقسم الما وفندق العاليا وبخارج البلاد المذكور جميع الرحا السفلى بقلعة بني معلى والنصف شايعا في روس المنية الكاينة بالرميل وزيتُون تيفدا وأرض الزيتون المذكور ثم معصرته وجميع المحبس"...). [2]

–**الوحة الثانية**" نقش فيها: (ملكه وشهره الجميع تغني على التحديد تحبِيسا تاما مطلقا عاما ووقفا ثابتا أبديا ليصرف ما يستفاد من الحبس المذكور على معلمي العلم وطالبيه وإمام ومؤذن...عام ثلاثة وستين وسبع...ماية...عام...خمسة وستين وسبع ماية"...)، كما ذكر شارل بروسلار (Charle Brosselard)عن النص معتبرًا إيَّاه وثيقة تثبت نصاً تحبيسيا خصَّصه السلطان أبو حمو موسى الثاني الذي

1)- سيدي مُحَمَّد الغوثي بسنوسي، **الزخرفة في مساجد منطقة تلمسان**، رسالة ماجستير، معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، الجزائر 1990 ، ص141 .

2)-Charle Brosselard, **Les Inscriptions Arabes de Tlemcen**, In(R)Africaine, 4emme année ,N°19, Arnolet imprimeur-libraire, Constantine ,Algérie,1860 ,p72.

حكم البلاد ما بين سنة (760هـ- 1360م/791هـ- 1391م) لفائدة المجمع الديني ككل .[1]

4. المدارس:

تعتبر المدارس منارات إشعاع علمي وأدبي، أدت دورا كبريا في بعث الثقافة والفكر الإسلامي، حيث إمتدت إشعاعاتها إلى المدن والعواصم الإسلامية الكبرى في المغرب والمشرق فالمظاهر الثقافية تمثلت في بناء المدارس العلمية التي كان لها الفضل في ظهور الأدباء والعلماء الأجلاء اللذين ذاع صيتهم في الأقطار الإسلامية المختلفة من خلال إبدعاتهم ومؤلفاتهم، كما ساهمت في نمو وازدهار الحركة العلمية بالعالم الإسلامي، فما المقصود بالمدرسة ؟ وإستكشاف معانيها اللّغوية والإصطلاحية، وماذا قدمت للحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال فترة الفترة الزيانية عنوان البحث ؟.

4. 1. تعريف المدرسة :

(أ) **لغة:** ورد في لسان العرب لابن منظور في المادة (د.ر.س) دَرَسَ الكتاب يدرسُهُ درساً ودِرَاسةً ودَارَسَه، من ذلك، كأنه عانده حتى انقاد لحفظه و قد قريء بهما : وليقولو دَرَسْتَ: وقيل قرأت كتب أهل الكتاب ودَارسَة :ذاكرتهم وقريء: دَرَسَتْ ودُرسَتْ: أي هذه أخبار قد عفت وامحَتْ ودَرُسَتْ أشد مبالغة، والمِدْارسُ والمِدْارسُ: الموضع الذي يدرس فيه، والمدْرَسُ: الكُتَّاب، ودرست الكتاب أدْرُسه دَرْساً أي ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه عليَّ [2].

فمن خلال هذا التعريف نجد أنَّ المدرسة هي موضع القراءة وألكتابة، والدرس بمعنى الحفظ والإعادة. حيث يذهب المقريزي (ت 845هـ/ 1441م) من حيث تعريفها نقلا عن ابن جنّي وابن سيّدة . أنّها مشتقة من الفعل "**درس الكتاب** "يدرسه درسًا ودراسة، إذا كرّره للتمكن منه، ودارست ودرّست، والمدرس وهو الموضع الذي

1)-eden ; p 72.

2)- ابن منظور ، المصدر السابق ج 6، ص 79.

يدرس فيه.[1]فهي منشأة من مستحدثات الإسلام لم تكن معروفة قبله، كما لم تكن معروفة في الفترة الإسلامية المبكّرة، كما إختلفت المصادر حول ظهورها فيرجحها البعض أنها ظهرت خلال من القرن الخامس الهجري (العاشر الميلادي).[2] ، ويذكر المقريزي بقوله : "المدارس ممّا حدث في الإسلام ...وإنّما حدث عملها في المائة الرابعة من سني الهجرة ، وأوّل من حفظ عنه أنّه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور التي بنيت بها المدرسة البيهقية نسبة لصاحبها أبا بكر البيقي. [3]"

(ب)اصطلاحا: هي مؤسسة من مستحدثات الاسلام "« لم يكن قيامها وليد الصدفة "وإنما كانت رحلة متقدمة في سلسلة من التطورات التي مرت بها حركة التعليم في العصر الإسلامي ، فلم تكن إبتكارا مفاجئا بقدر ما كانت تطورا منطقيا لحوادث سابقة و نضوجا لفكرة راودت أصحابها فترات طويلة، ولم ترى النور إلا بعد توفر الظروف المساعدة لوجودها إلى حين التنفيذ »[4]، وقد عرفها البعض الآخر على أنها مؤسسة أنشأها المجتمع لخدمة حاجة من حاجاته الأساسية، وهي تطبيع أفراده تطبيعا إجتماعيا، ليجعل منهم أعضاء صالحي [5]، وهي المكان الذي يجتمع فيه

---

1)- المقريزي تقي الدين، **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والأثار**،، ج3، دار التحرير للطبع والنشر، 1968م، ص 314.

2)- عبد العزيز محمود لعرج:" **المدارس الإسلامية، دواعي نشأتها وظروف تطوّرها وانتشارها**"، مجلة الدراسات الإنسانية، العدد01، 1421هـ ، 2001م. ص 113.

3) نسبة لصاحبه أبا بكر البيهقي الذي توفي سنة 454هـ/1062م ، وكان عدد فقهاء الإسلام المعدودين. المقريزي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 314. – عبد العزيز محمود لعرج : " **المرجع السابق** ، ، ص 113.

4)- أيمن شاهين سلام ،**المدارس الاسلامية في مصر في العصر الايوبي ودورها في نشر المذهب السني** ، رسالة دكتوراه في التاريخ الاسلامي ، جامعة طانطا ، مصر ، 1999م ، ص 22-23.

5)مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، عدد خاص ، الملتقى الدولي الأول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظ التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري ، ص34

طلاب العلم للقراءة والتعليم وضرورة من الضروريات الاساسية في المجتمع تعمل على تحسين الاوضاع الاجتماعية للأفراد.

أما في العهد الزياني تعد" مؤسسات تطور الحركة العلمية، التي كانت تؤطرها الحلقات الدراسية بجامع تلمسان الأعظم والمساجد المحيطة به ، و تخرج منها عدد كبير من العلماء والأعلام والفقهاء والأدباء المبرزين حتى غزت مساجدها ومدارسها معيار يقاس به نمو الحركة العلمية ومؤشرا على مدى ازدهار الثقافة والعلوم والفنون والآداب". [1]

4. 2. وظيفة المدرسة:

المدرسة تعني في المصطلح الوظيفي ؛ مؤسسة لتدريس العلوم الإنسانية ودراسة علوم الشريعة بصفة خاصة، وقد ناقش الأستاذ أحمد فكري مجمل الآراء المتداولة بين الباحثين حول وظيفة المدرسة إعتمادا على المصادر والمراجع المختلفة، وخلص إلى أنّ المدرسة اتّخذت وظيفتها الرئيسة من كونها أعدّت لسكنى فريق مختار من الطلاب والمدرسين من الفقهاء وتوفير المعيشة والراحة لهم، وأنّه لا مجال للأخذ بفكرة أنّ إنشاء المدارس كان لمناهضة الشيعة ونشر السنة، وإعداد أئمة مختصين بالوعظ فيها و هي الافكار المتداولة بين المستشرقين والباحثين الغربيين، ذلك ان المساجد والجوامع كانت كفيلة بتحقيق ذلك الغرض، وان المذاهب السنية الاربعة كانت تدرس فعلا في المساجد. [2]

1)- صالح بن قربة صالح؛ **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر** ، منشورات المركز في الحركة الوطنية ثورة اول نوفمبر ،طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، 1954، ص135.

2)- احمد فكري، **مساجد القاهرة و مدارسها** ،ج 2، العصر الايوبي ،دار المعارف بالاسكندرية ، 1962م، ص 154-160.

وإذا كان هذا صحيحًا حسبه فإنّ مناهضة المذهب الشيعي كان واحدا من تلك الوظائف،[1] ولا شك ان وظيفة المدرسة في الدولة الزيانية لم تختلف عن وظيفة المدارس الحفصية والمرينية، فقد كانت تقوم بالتعليم ونشر العلوم والمعارف على إختلاف أنواعها وخاصة العلوم الدينية على المذهب المالكي، وكان حكام بني عبد الواد يشجعون العلماء والعلم ويختارون لهذه المهمة فطاحل علماء عصرهم من امثال الامام ابي عبد الله الشريف التلمساني. [2]

أما المعنى الاصطلاحي لهذه المؤسسة التعليمية يختلف عن مدلول الأماكن التعليمية والدينية السابقة للمدارس، كالمساجد والكتّاب والرباط، وهو مفهوم رسّخته تقاليد نظام المدرسة الشرقية، التي ظهرت في مطلع القرن (5 هـ/ 11م) في خراسان، وقد تأخّر ظهورها في بلاد المغرب إلى النصف الأوّل من مطلع القرن (6هـ/ 13م)[3]، حيث سجلت المصادر أن أولى المدارس المنشأة في إفريقية هي التي أنشأها أبا زكريا الحفصي (ت 647هـ/ 1249م) [4]وعرفت باسم المدرسة الشمّاعين[5]، والتي يعود تاريخ بنائها ما بين سنة (633- 647هـ/1235- 1249م). ثم تواصل تشييد

1)-عبد العزيز لعرج: المرجع السابق ، ص 116.

2)- عبد الحميد حاجيات، **الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان**، في كتاب الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1984م، ص 436- 436.

3)- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ص 141.

4)- الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق مُحَمَّد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، ص 144.

5)- ابن ابي دينار القيرواني: **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، تحقيق مُحَمَّد شمام، المكتبة العتيقة، ط3، تونس،1967م، ص134.وكذلك: - أحمد بن يحي الونشريسي؛ **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف مُحَمَّد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1983 ج8، ص 162.

المدارس طيلة القرن (08هـ/14م)، حتى(فاق عددها في نهايته عشر مدارس[1] ولم تظهر المدارس في تلمسان إلاّ في مطلع القرن (8 هـ/ 14م) حيث ساهمت بشكل فعال في دفع الحركة التعليمية في تلمسان خلا عهد بني عبد الواد ، وكانت وظيفتها هي استقبال الطلبة لمزاولة تعليمهم. [2]

4. 3. مدارس حاضرة تلمسان في العهد الزياني :

لقد إهتم سلاطين بني زيان بتشييد المؤسسات الثقافية التربوية والتعليمة، من كتاتيب وزوايا ومساجد وبشكل خاص المدارس التي كانت معاهد عليا للتعليم على غرار المدارس النظامية بالمشرق والمغرب، وما تمّ تشييده بعدها في سائر أنحاء العالم الإسلامي [3] قال عنها إبن الأحمر بقوله: (..ونكتفي أن نذكر المدارس الخمس الكبرى التي أنشأت فيها (تلمسان) في أيام تلك الأسرة الطويلة العمر).[4] وذكرها حسن الوزان بقوله : "... وتوجد بتلمسان مساجد...وخمس مدارس حسنة، جيّدة البناء مزدانة بالفسيفساء...شيّد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس ".[5]

وحسب ما ذكره (بارجيس- BARGES)، أنّه كان يتواجد بتلمسان لوحدها العديد من المساجد الرائعة الجمال،كما كانت تضم مجموعة من المدارس

---

1)-عبد العزيز لعرج : المقال السابق ، ص 118،119.

2)- نفسه.

3) - عبد الحميد حاجيات : " **الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان** " ، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، العدد26.

4)- ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تقديم وتحقيق: هاني سلامة مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 2000، ص 48.

5)-حسن الوزان: المصدر السابق، ص 19

أنشأت من قبل ملوك تلمسان،[1] وتمثلت وظيفة هذه المؤسسات الثقافية في استقبال الطلبة لمزاولة تعليمهم قصد تخريج الإطارات التي تدعم الجهاز السياسي والإداري والمالي والقضائي والجيش ومختلف مصالح الدولة ومؤسساتها.وكان الهدف من وراء حركة تأسيس المدارس من طرف الدولة الزيانية، هو نشر التعليم والثقافة من جهة، ومن جهة أخرى توجيه الرعية لخدمة التوجه المذهبي للدولة، وهي نصرة المذهب المالكي والعمل على نشره، ولم يقتصر تشييد المدارس على الدولة الزيانية ، بل حتى بنو مرين شيدوا مدارس على التراب التلمساني. ومن أهم المدارس التي عرفتها تلمسان الزيانية نذكر كا يلي:

– مدرسة أولاد الإمام القديمة :

إستحدثت الدولة الزيانية أول مدرسة في تلمسان وهي مدرسة أولاد الإمام من طرف السلطان أبي حمو موسى الأول سنة (707-718هـ/ 1307- 1318م)، تقع بالقرب من باب إيلان[2]، الذي يسمى حي المطمر بالقرب من ضريح سيدي بوجمعة الكواش،لم يبقى منها سوى الأساسات التي عثر عليها من خلال الحفرية التي فتحت بمسجد أولاد الامام سنة 2011-2012م .(**انظر صورة 20**).

كما شكلت هذه المدرسة الحجر الأساسي في تكوين القاعدة الثقافة العلمية للدولة الزيانية، التي شيدها بنو زيان بأمر من السلطان أبي حمو موسى الأول، والهدف من إنشائها هو العمل على تأسيس المجال العلمي المخصص لتعليم، حيث تخرج منها كبار العلماء ونشرت العلم وإزدانت بالطلبة من نختلف الأعمار والأقطار[(3)]، وقد

1)-Sourdel Thomine Janine, **La mosquée et la madrasa**. In: Cahiers de civilisation médiévale. 13e année (n°50), Avril-juin 1970, pp 97-115.

2)- التنسي ، المصدر السابق ، ص 139- يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 169.

3)- قريان عبد الجليل، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، دار جسور النشر، الجزائر، 2011م، ص 116.

كان الإنتساب إلى إبني الإمام مفخرة لأهل المغرب والمشرق، وإنشائها كان إعترافا بمكانة العالمين الجليلين الفقيهين أبو زيد عبد ألرحمن(ت 743هـ/ 1342م)، وأخيه أبو موسى عيسى إبني الإمام الفقيه أبي عبد الله مُحَمَّد بن الإمام (ت 749هـ/ 1348م)[1] من أهل برشك[2]، التي سميت بإسميهما كما إختط لهما مسجد ومنزلين [3]، وعين هذان العالمان على رأس هيئة التدريس بها وإقتنع بضرورة وجود المدرسة ضمن مؤسسات الدولة .

صورة رقم :20
حفرية مسجد أولاد الامام
ارشيف المتحف

أما بالنسبة لعمارة هذه المدرسة، فإن المصادر التاريخية قليلة التي تطرقت إلى وصفها وكل ما ذكر كان عبارة عن إشارات أثناء الإشادة بأعمال السلطان أبي حمو

1)- بوزيان الدراجي ، **أدباء وشعراء من تلمسان**، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص403 .

2) – يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج 1، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر ، 1400هـ/ 1980م ، ج1 ، ص 130.

3)- عبد الرحمان بن مُحَمَّد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج 2، منشورات دار مكتبة الحياة طبعة ثانية جديدة، بيروت، 1385هـ/ 1965م ص165 – 153

موسى الأول ،فجاء التنسي بذكر عن ظروف وهدف تأسيسها بقوله: " كان محبا للعلم وأهله معتنيا به أي "أبي حمو موسى الأول" قائما لحقه...ابتني مدرسة لأبني الإمام تكريما لهما واحتفاء بهما "[1].أما المقري ذكر أنّ أبا زيان وابا حمو اختصا لإبني الإمام إلا أن اباحمو كان أشد الإعتناء بهما،[2] ومن خلال هذا النصوص يتبين أن بداية الأشغال بهذه المدرسة كانت بعد تولي ابي حمو الحكم مباشرة خلال سنة (704هـ/ 1307م)، أي خلال السنة الأولى من حكمه [3]وانتهت الاشغال في سنة (710هـ/ 1310م) [4]، وذكر ابن مريم بقوله: "وبنيت المدرسة داخل باب كشوط. " [5]، بينما إنفرد ابن خلدون بقوله أنها تقع بناحية مطمر.[6]، لكن الباحث بارجيس (Barges) استطاع تأكيد رؤية بقايا المدرسة و ذلك سنة 1873م، وتشمل نفس الموقع الذي ذكره يحي ابن خلدون داخل المدينة بالقرب من باب كشوطة. [7]، اما

1)- التنسي (مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ ت 899هـ/ 1494م) **نظم الدر والعقيان في يان شرف بني زيان** ، حققه وعلق عليه محمود بوعياد، المكتبة الوطنية، الجزائر، (د.ط.) 1405هـ/ 1985م، ص 139.

2)- المقري احمد بن مُحَمَّد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، حققه، يوسف الشيخ مُحَمَّد القاعي ، اشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م،ج6، ص 181.

3)- يحي ابن خلدون ، المصدر السابق، ج1، ص 130، التنسي المصدر السابق، ص 139.

– Louis (Abadie), Tlemcen au passé retrouvé, France, Edition Jacques Grandini, 1999, p 62.

(4)- Georges Marçais ,Note sur L'épitaphe d'une savant Tlemcenen, revue Africaine, N° 59 , Année 1918, p 119.

5)- ابن مريم أبو عبد الله، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، الجزائر، ص126 .

6)- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7 ، ص 118.

7) - Georges Marçais, Op .cit, p 119.

المستشرق الفرنسي بروسلار (Brosselar) يذكر في كتاباته بالمجلة الإفريقية "حول الكتابات العربية بتلمسان" أن الامير كان يكلف الأخوين بمهام دبلوماسية فكانا أهلا للثقة والصدق مما جعل السلطان يبني لهما مدرسة ومنزل خاص لهما ولعائلاتهما، والحق بالمدرسة مسجدا وزاوية للطلبة الأجانب وذلك في السنة الرابعة من ملكه للإمارة[1]، أما جورج مارسي ذكر أنّ المدرسة كانت تحتل مساحة بالركن الشرقي للمسجد، وأنها كانت تتألف من إيوانين كبيرين، يتلقى فيهما طلبة العلم دروسهم على يد الشيخين الجليلين إبني الإمام"أبي زيد عبد الرحمان وأبي موسى عيسى"، كما أنشأ لهما منزلين لسكنى الفقيهين، بالإضافة إلى المسجد الملحق بالمدرسة. وإستمرت هذه المدرسة في تأدية مهامها التربوية التعليمية الثقافية حتى القرن العاشر الهجري / السادس عشر ميلادي. [2] .

كما تعد مدرسة أولاد الإمام من أهم أثاره العمرانية الجديدة بالمدينة وأول مؤسسة تربوية ثقافية في حاضرة تلمسان الزيانية [3]، وقد عين السلطان كبار العلماء الذين ذاعت شهرتهم في بلاد المغرب والمشرق. [4] كما نستقي بعض المعلومات مما ذكره الاستاذ مارسيه الذي يشير إلى أنها كانت تحتل الجهة الشمالية الغربية للمسجد،

- Hadj Omar Lachachi , Le passe prestigieux de Tlemcen ancienne capital du célèbre yaghmoracen fondateur de la nation , édition ibn Khaldoun , Tlemcen. 2002 , p 192.

1)-Brosslard (Charles) : « les inscriptions arabes de Tlemcen »(revue africaine ;1859ou1862.

2) – الماوردي أبو الحسن بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق القاضي نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم ، بيروت ،لبنان، 2004، ص171.

3)- أبو العباس بن أحمد باب التنيكتي (ت 1036هـ/ 1627م) **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) ص166- 168.

(4)- نفسه.

كما يذكر أنها كانت تتألف من قاعتين كبيرتين خاصة بالطلبة[1]، ولم يبق من هذا الصرح المعماري "المدرسة " إلا المسجد الصغير بمنارته، و يعرف عند أهل تلمسان باسم " جامع أولاد لإمام".

– **المدرسة التاشفينية:** تعد المدرسة التاشفينية ثاني مؤسسة تعليمية زيانية أسست ببلاد المغرب الأوسط، خلال حكم السلطان أبو تاشفين الاول من سنة (718-737هـ/1318- 1337م).[2]

كما كان يطلق عليها أيضا المدرسة الجديدة تميزا عن المدرسة التي سبقتها " مدرسة أولاد الامام" أو المدرسة القديمة التي شيدها السّلطان الزّياني أبي حمو موسى الأول "ويطلق عليها أيضا المدرسة التاشفينية. [3]

تقع هذه المدرسة في مركز المدينةعلى بعد 25م بالجهة الجنوبية الشرقية للمسجد الجامع الكبير، يحدها من الشّمال ساحة الأمير عبد القادر والشمال الغربي المسجد الجامع الكبير ومن الجهة الغربية نهج بن عبد السلام ومسجد ابي الحسن، ومن الجنوب قلعة المشور ودرب اليهود، ومن الشرق نهج بن زرجب بن

---

1)- Marçais,G ,**Remarques sur les medrsas funéraires en berberie** « à propos de la tachfinia de Tlemcen », mélanges Gaudfroy demombynes, institut français, le Caire, 1937,p263.

2)- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 215. وكذلك:- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، ج7، ص 123 . وكذلك: - النتنسي، المصدر السابق، ص 138 – 139.

3)- المقري احمد بن مُحَمَّد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب**، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق يوسف الشيخ مُحَمَّد القاعي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الاولى، 1419هـ/ 1998م، ج 7، ص169. وكذلك:- ابن مريم أبو عبد الله مُحَمَّد المديوني، **البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت)، ص 65.

عودة والسّوق القديم المحاذي للحيّ الإفرنجي من قيسارية المدينة.[1]مساحتها تقدر بـ1400م^2.

(خريطة04: موقع المدرسة من المدينة).

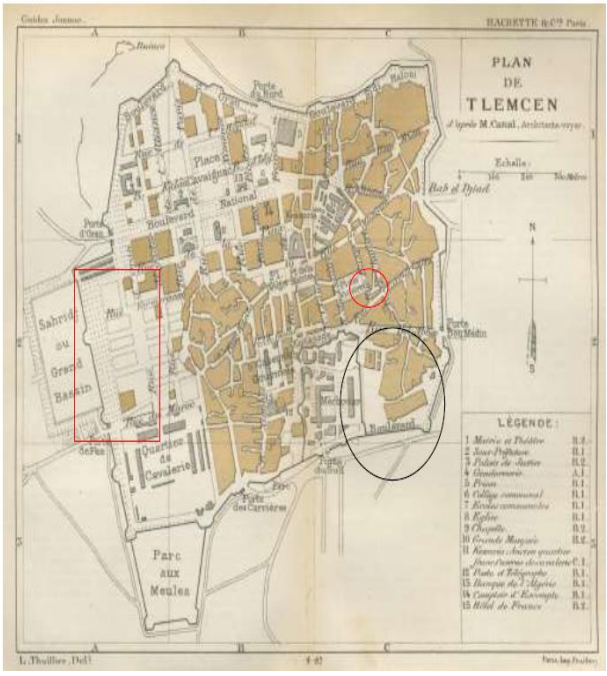

خريطة رقم : 04
موقع المدرسة من مدينة تلمسان،
رسم المهندس "كانال "
عن شرقي رزقي

ويتبين أن اختيار موضع المدرسة التاشفينية،لم يكن وليد الصدفة ، بل خضع لإعتبارات إستراتيجية تكمن في رغبة مؤسسها في الإستفادة من هذا المجال الحيوي، واستثماره كي تنجح هذه المدرسة في أداء رسالتها التعليمية الثقافية،وطموحه في إضفاء طابع الإجلال والعظمة عليها،على إعتبار أن سكان المدينة تكن تقديرا

1)- BROSSELARD (C), "Les Inscriptions Arabes De Tlemcen", **In Revue Africaine**, N° 06, 1862, p165. etM - BARGES L'ABBE (J.J.L), **Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom**, **sa topographie**, **son histoire**, **description de ses principaux monuments**,**anecdotes**,**légendes divers; souvenirs d'un voyage**, Editeurs BENJAMAIN (D) & CHALLAMEL (A), Paris, 1859, p 333.

وإحتراما كبيرا للمباني المجاورة لها. [1]وأكد التنسي على أن هذه المدرسة من مآثر السلطان أبي تاشفين الزياني حين قال: (وحسّن ذلك كله ببناء المدرسة الجليلة ،العديمة النظير، التي بناها بإزاء الجامع الأعظم،ما ترك شيئا مما اختصت به قصوره المشيدة ،إلا وشيد مثله بها شكر الله له صنعه وأجزل له عليه ثوابه)[2]، فكانت أهم مدرسة في المغرب الأوسط أضافها السلطان إلى عاصمته لينافس بها المعالم السابقة و استقكب لها العلماء من أمثال : أبي موسى المشدالي الزواوي (ت 745هـ/ 1345م) اعرف أهل عصره بمذهب الإمام مالك وأكبر الفقهاء المالكين في عصره [3] وأبي عبد الله السلاوي و مُحَمَّد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي، كما اعتنى أبو تاشفين بالمدرسة ، وأكثر عليها الأوقاف ورتب فيها الجرايات، وفي الواقع فقد سلك هذا الملك مسلك أسلافه إذ أن أبا حمو موسى الأول حينما بنى المدرسة القديمة قد استدعى للتعليم فيها كلا من أبي زيد عبد الرحمان وأبي موسى عيسى.

– المدرسة البعقوبية :

ان إنشاء هذه المدرسة لم يكن وليد الصدفة بل خضع لعدة اعتبارات تكمن في رغبة مؤسسها أبو حمو موسى الثاني في الإستفادة من المجال الفني، لكي تنجح المدرسة في أداء رسالتها التربوية والتعليمية وذلك سنة (760هـ/1359م) [4]، وقد سميت باليعقوبية تخليدا لذكرى والده أبي يعقوب يوسف، وأن انشائها على ضريح والده تكريما له. [5]

---

1)- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 144.

2)- التنسي، المصدر السابق، ص 141.

3)- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق مُحَمَّد عبد الله عنان ، مكتبة الخانكي، القاهرة، 1973، ص 223.

4) التنسي، المصدر السابق، ص 180 .

5) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج2 ، ص 283.

هذه المدرسة التي تعدّ رمزا من رموز شموخ الدولة الزيانية والتي أشاد المؤرخون برونقها وجمالها وحسن عمارتها، كان يطلق عليها أيضا اسم "مدرسة إبراهيم المصمودي" التي دفن فيها سنة(805هـ/1402م). وهذه التسميات إن دلت على شيء فإنها تدل على تكريم العلماء والأدباء،كما تدل على مكانته العلمية والفكرية الراقية في تلك الفترة. وأن إقتران هذه الأسماء بالمدرسة تدل على إهتمام بمكانتها ووظيفتها العلمية.

تقع المدرسة ضمن المركب المعماري في وسط المدينة وبالتحديد عند باب إيلان، [1] وبجوار مسجد الشيخ إبراهيم المصمودي،[2] وهي تحتل موقعا جغرافيا هاما مثل المدرسة التاشفينية، فهي تقع شمال المسجد وتبعد عنه بحوالي 60 مترا، ويحدها من الشرق مسجد ابي الحسن ومن الجنوب الغربي مجمع المشور في حي باب الحديد. ولا تكاد تنفصل عن المقبرة الملكية الزيانية المعروفة بروضة آل زيان التي اقامها أبو حمو تربة لوالده و عميه أبي سعيد عثمان وأبي ثابت ألزعيم اللذين توليا حكم مدينة

1)- نفسه، ج2 ، ص 140.

2)- إبراهيم بن مُحَمَّد المصمودي، من كبار العلماء الصلحاء بتلمسان، درس بفاس على يد الكثير من العلماء من أمثال الشيخ الابلي، وبتلمسان قرأ بالمدرسة اليعقوبية على يد أبو عبد الله الشريف التلمساني، و بعد وفاته انتقل الى المدرسة التاشفينية فتتلمذ على يد أبو سعيد العقباني ، انظر ترجمة ابن صعد التلمساني ، **كتاب النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، تحقيق بلحاج مُحَمَّد، مذكرة شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2007-2008.ج1، ص 95-96.

- ابو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، **وفيات**، تحقيق أحمد حجي ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، (د.ط)، 1396هـ/ 1976م، ص 135.

تلمسان في الفترة السابقة، وكان الهدف منها هو جعلها مقبرة خاصة (تربة) بأفراد فرع بني عبد الواد. [1]

أما عن الوظيفة التعليمية للمدرسة اليعقوبية لم تتوقف منذ تأسيسها في بداية النصف الثاني من القرن(8هـ/ 14م) إلى أن أصاب هذه المدرسة نوع من الفتور النسبي في بعض المراحل بسبب التحولات التي عرفتها البلاد التي أثرت على الحياة الفكرية ، وكذلك إهمال أوقاف المدرسة إن لم نقل ضياعها، [2]، لقد كان مصير هذه المدرسة الإندثار ولم يبقى منها سوى اللوح التأسيسي الذي يحمل تاريخ البناء الذي يعود لسنة (763هـ/ 1361م).

الخـــــاتمة

من خلال استعراضنا للمراكز والمؤسسات الثقافية التعليمة في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط بحاضرة تلمسان الزيانية، نلاحظ أن لها حضورا قويا كمؤسسات حضارية شاملة تجمع بين القوة المادية والمعنوية، من بينها الزوايا التي طغى عليها الطابع الديني ومع ذالك فإنها لم تخرج عن النمط التقليدي شكلا ومضمونا والذي تجسد بشكل خاص في وظيفتها التعليمية ،فإن الزوايا كونت طبقة فاضلة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن، كما أن وجودها مكسبا في حد ذاته لكل المجتمعات.

كما تعتبر الزاوية من أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت نشر التعليم وتنشيط الحركة الثقافية، خاصة ما تعلق بالإسلام وعلومه وفنونه، حيث كان يقرأ

---

1)- يحي بن خلدون، المصدر السابق ، ج1 ، ص 203. – التنسي ، المصدر السابق ، ص 276. – ابو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**،ج3، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الدينية الاسلامية للمملكة المغربية، 1401هـ/ 1981م، ص 175. وكذلك: -عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج 1، ص 144.

2) – المقري، المصدر السابق، ج5، ص 275.

فيها القران، ويردد فيها الطلبة الأذكار، ويسبحون ليلا ونهارا، وذلك للنظام الذي كان سائدا فيها وذلك من وجود لكل زاوية شيخ ومردّدون يلتفون حوله لتلاوة القرآن والذكر الحكيم.

لقد كانت الزاوية في بادئ الأمر تطلق على المسجد الصغير أو المصلى، ثم تطورت وأصبحت عبارة عن مجمع متكون من مسجد ومدرسة أو معهد للتعليم القرآني والتفقه في الدين، مأوى للطلبة، يعيشون فيها تلك بدون مقابل، ومكان يأوي المتجولين ودارا مجانية تطعم المسافرين، ينشؤها أهل الخير من رجال الطرق الصوفية أو كبار رجال الدولة من أموالهم الخاصة، أو جماعة ويوقفون عليها أوقافا لتغطية نفقاتها، كما كان يقوم بإدارتها ورعايتها الناظر الذي كان مهتما بتلقين أتباع الزاوية أسرار الطريقة ويقرأ معهم الأوراد الخاصة بها.

لقد سجلت الزاوية الزيانية حضورها القوي كمؤسسة حضارية شاملة تجمع بين القوة المادية والقوة المعنوية، وأصبحت معوضا حقيقيا للسلطة السياسية بفضل ترسخ إعتقاد المجتمع في شيوخها ودورهم الفعال في بعث الحركة الثقافية، وتقديم خدمات جليلة للمجتمع في المجال العلمي والتربوي، وبذلك نجحت في التجذر في أعماق المجتمع وتنظيم حياته العامة، وتحقيق التواصل مع أفراده في كل مجالات الحياة.

كما نستخلص مما تقدم أن المساجد التي شيدها الزيانيون كانت مساجد ملاحقة للمدارس والأضرحة بهدف تخليد إسم المتوفى، مثل مسجد أبى الحسن (696هـ/ 1296م)ومسجد أولاد الإمام (710هـ/ 1310م)، وسيد إبراهيم المصمودي الذي أسس حوالى (760هـ/ 1359م)، وبالتالي هذا النوع من المساجد لا تقام فيها صلاة الجمعة و إنما يختص بتأدية الصلوات الخمسة اليومية، فمن خلال المقاسات العامة لهذه المساجد الزيانية ندرك وظيفتها الثانوية .

كما يخلو تخطيطها المعماري من الصحن الأوسط الذي تتضمنه جل المساجد بإستثناء مسجد سيدي إبراهيم المصمودي الذي يوجد به صحن، مما يفسر تقليد

معمار أبو حمو موسى الثاني لجامع سيدي الحلوي، ونعتقد أن مسجد سيدي إبراهيم بهذا الحجم ليس بسبب ضيق المساجد الأخرى بالمصلين وإنما بني رغبة من أبي حمو موسي الثاني في تخليد ذكراه من خلال تخليد ذكرى متصوف إنقطع للعبادة والتدريس.

إضافة إلى ذلك بساطة التخطيط المعماري الداخلي للمساجد الزيانية التي نجدها في مسجد سيدي بلحسن وأولاد الإمام، فهذين المسجدين يتألف كل منهما من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة بينما نجد مسجد سيدي إبراهيم المصمودي البلاطات الخمسة لها نفس إتجاه بلاطات المسجدين الأولين .

إن جميع المساجد الزيانية تخلو من العقود المفصصة والعقود ذات الخطوط التحديدية المسننة ، وهي العقود التي كانت تنتشر في بيوت الصلاة والمحاريب والفتحات والدخلات الصماء، ذات الوظيفة المعمارية والزخرفية.تشكل مع التيجان التي تعلوها ثروة فنية والزخرفية على دارجة كبيرة من الرقة والرشاقة والجمال، التي نجدها في مساجد المغرب ة الأندلس في العصرين المرابطي و الموحدي .

إضافة إلى موقع المئذنة في المساجد الزيانية التي تحتل أحد أركان المسجد، مثل مئذنة جامع سيدي بلحسن الواقعة في الركنه الجنوبي الشرقي، وجامع أولاد الإمام في الركن الشمالي الشرقي وفي مسجد سيدي ابراهيم المصمودي الركن الشمالي الغربي.

إن المساجد الزيانية على قلتها كانت بسيطة تم للإبتعاد فيها عن الترف الزخرفي وفخامة البناء، ورغم ذلك بلغت تلمسان قمة الحضارة في كل المجالات، خاصة المجال الثقافي بكل فروعه في عصر الملك أبي حمو موسى الذي أضاف على ما شيّده وقدّمه أسلافه من ملوك في سبيل رفع مستوى العلموم والمعرفة في حاضرة المملكة، حتى تمكنت تلمسان من المساهمة بخط وافر في بناء صرح التمدن الإسلامي.

ومن خلال استعراضنا لمدارس تلمسان خلال الفترة الزيانية، تتأكد لنا وظيفة المدرسة كفضاء للعلم الثقافة ومركزا للنهوض بالحياة الفكرية في أي مجتمع، كما لعبتا

دورا هاما في الحركة الفكرية وذلك بمحافظتهما على حيوية التعليم السني والمالكي، فتوسعت التيارات الفكرية المتعددة كتيار الإجتهاد في إطار المذهب فالزدهرت حركة الجدل والمناظرات الشفوية والمكتوبة، بين فقهاء تلمسان وغيرها من فقهاء الأندلس المغرب وتناولت الفقه المالكي التفسير وبعض المسائل الفكرية، وزيادة حركة التأليف ونشر الكتب إقبال أهل ذالك المجتمع على طلب العلم وتشجيعه.

كما كان للمدارس دور في تطور وازدهار حقل العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين(8-9هـ) في مختلف أنواعها من علوم دينية ولغوية وعقلية ، كما ساعدت وحدة المذهب وتكفل الدولة بهذه المدارس على تجنب الصراعات، كالتي شهدتها مدارس المشرق، أين تحولت الكثير منها من طلب العلم إلى التعصب المذهبي والمشداة الكلامية .

إن انشاء معظم هذه المدارس في مواقع من المدينة تتميز بكثافة معمارية كما هو الشأن لمدرسة أولاد الإمام و المدرسة التاشفينية ، باستثناء مدرسة سيدي أبي مدين ، فقد أنشات في موضع لم يكن مزدحما بالمنشات المعمارية.

كما تعتبر المدارس الزيانية، من النماذج التي تنتمي للطراز المحلي تتشابه في تركيبها المعماري بمدارس مدينة فاس حيث أن تكوينها المعماري قائم على نواة مركزية فناء يحيط به رواق يفتح علي حجرات الطلبة، وبالجهة الجنوبية يقوم المصلى وهو قاعة الدرس نفسه.

– فهرس المصادر والمراجع

– ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان** ، تقديم وتحقيق وتعليق : هاني سلامة مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 2000م.

– ابن الخطيب لسان الدين ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تحقيق مُحَمَّد عبد اللع عنان ، مكتبة الخانكي القاهرة ، 1973 م.

- ابن خلدون عبد الرحمن: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،ج7، د.ط، 2000 م.

- ابن خلدون يحي، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/ 1980م.

- ابن فضل الله العمري، **مسالك الابصار في ممالك الامصار(الممالك الاسلامية في ايمن والمغرب والاندلس وافريقيا)**، تحقيق مُحَمَّد عبد القادر خريسات وآخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، الامارات العربية المتحدة، 2001م.

- ابن صعد التلمساني، **كتاب النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، تحقيق بلحاج مُحَمَّد، مذكرة شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2007-2008م.

- ابن كثير (ت 774هـ) **البداية والنهاية**، ج 3، مكتبة المعارف ، بيروت، 1412هـ/ 1991م.

- ابن مرزوق ابو عبد الله الخطيب: **المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، إصدارات المكتبة الوطنية . الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1401هـ 1981م.

- ابن منظور بن مكرم علي الانصاري، **لسان العرب**، ط1، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت، 2000م.

- ابن مريم ابو عبد الله مُحَمَّد المديوني، **البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط).(د.ت).

- أبو الفدا عماد الدين اسماعيل بن مُحَمَّد (ت 732هـ/1331م) **تقويم البلدان** ، نشره رينو و البارون ديسلان، دار الطباعة السلطانية ، بيروت، 1840م.

- أبو العباس احمد القلقشندي (ت 821هـ/ 1418م) ، **صبح الأعشى في كتابة الانشا**، ج5، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1340هـ/ 1922م.

- أبو عبد الله شمس الدين مُحَمَّد المقديسي:أحسن **التقاسيم في معرفة ألأقاليم**، دار صادر، بيروت، 1906 م.

– أبو عبيد الله مُحَمَّد الحسني السبتي الشريف الإدريسي :**المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبع بريل، ليدن، د.ط، 1863م.

– أبو عبد الله مُحَمَّد ابن أبي القاسم القيرواني: **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، تحقيق: مُحَمَّد شمام، المكتبة العتيقة، ط3، تونس،1967م.

– أبو عبيد الله البكري :**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.

– أحمد بن أبي يعقوب بن واضح :**كتاب البلدان** ، مطبعة بريل ، ليدن، 1860 .

– الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج1، باب :**فضل بناء المساجد والحثّ عنيها** ، رقم الحديث: 533.

– التنيكتي أبو العباس بن أحمد باب (ت 1036هـ/ 1627م) **نيل الإبت‌هاج بتطريز الديباج**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

– الإصطخري أبو أسحاق ابراهيم:**المسالك والممالك**، مطبع بريل، ليدن، د.ط، 1967م.

– التنسي، **نظم الدر العقيان** . تحقيق محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية ، 1985م.

– حمدان خوجة، **المرآة**، تحق: مُحَمَّد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

– الحموي ياقوت: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، مج 4، 1997م.

– الذّهبي مُحَمَّد بن عثمان: "**سير أعلام اَلنُّبلاء** " تحقيق شعيب الأرنؤوطي وأكرم البوشي، ط 4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م.

– **مرتضى الزبيدي :تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق عبد الصبور شاهين، ومراجعة مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف، منشورات التراث العربي، المجلس، الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط 1، 2001م.

– الزركشي مُحَمَّد: **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ،تحقيق :ابو الوفا مصطفى المارغي، مطابع الاهرام التجارية ، مصر، 1999م.

- الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** ، تحقيق مُحَّد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثانية، 1966م.

- الفيروز آبادي مجد الدين، **القاموس المحيط**، ط2 ، ج1 ، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م.

- المقريزي تقي الدين، **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والأثار**،، ج3، دار التحرير للطبع والنشر، 1968م.

- المقري احمد بن مُحَّد التلمساني: **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، حققه يوسف الشيخ مُحَّد القاعي: اشراف مكتب البحوث و الدراسات، دار الفكر، بيروت، الطبعة الاولى 1419هـ/ 1998م.

- مقديش محمود: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، مدينة صغيرة علي التل وعليها سور علي ضفة البحر، تحقيق :علي الرازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

-مؤلف مجهول :**الاستبصار في عجائب الأمصار**، تعليق :سعد زغلول عبد الحميد، د.ط، د.ت.

- الماوردي ابو الحسن بن مُحَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ،تحقيق القاضي نبيل عبد الرحمن حياوي ، دار الأرقم ، بيروت ،لبنان، 2004م.

- الوازن حسن: **وصف افريقيا**، ترجمة :مُحَّد حجي، دار الغرب الاسلامى، ط 2، بيروت، لبنان، 1983 م.

– الونشريسي ابو العباس أحمد بن يحي، **المعيار المعرب والجامع عن فتاوى أهل لإفريقية والأندلس والمغرب** ،ج3، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الدينية الاسلامية للمملكة المغربية، 1401هـ/ 1981م.

- الونشريسي ابو العباس أحمد بن يحي ، **وفيات**، تحقيق أحمد حجي ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، (د.ط)، 1396هـ/ 1976م.

- احمد سالك معلوم، **الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي**، مكتبة لينة، المملكة العربية السعودية، ط2 ، 1993م.

- برنشفيك روبار: **تاريخ افريقية في العهد الحفصي**، ترجمة حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

- بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ /10 م)**، دار المدار الاسلامي، بيروت، لبنان، 2003 م.

- بلعربي خالد، **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55هـ-633هـ/ 675م – 1235م)**، دار الألمعية للنشر والتوزيع قسنطينة، 2011م.

- بن رمضان شاوش مُحَمَّد، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2011م.

- بن سحنون مُحَمَّد ، **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981م.

– بن قريبة صالح وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر** ، منشورات المركز في الحركة الوطنية ثورة اول نوفمبر طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، 1954م.

- بوزيان الدراجي، **أدباء وشعراء من تلمسان** ، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر ، 2011م.

- الجيلالي عبد الرحمان بن مُحَمَّد، **تاريخ الجزائر العام**، منشورات دار مكتبة الحياة طبعة ثانية جديدة، بيروت، 1385هـ/ 1965م.

- حاجيات عبد الحميد وآخرون" :**الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**"، ج3، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغايا 1986م.

- حاجيات عبد الحميد، **ابو حمو موسى الزياني**، ض.و.ن.، الجزائر 1974م.

-حاجيات عبد الحميد، **الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان، الجزائر في التاريخ**، ج3، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1984م.

- حركات ابراهيم" :**مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب حتى القرن(9 هـ/15م)**، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، ط1، 2000م.

- حسن ابراهيم ،**تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**،ج 4 ، دار الجبل ومكتبة النهضة المصرية، بيروت، تونس والقاهرة، ط 15، 2001م.

- حسني عبد العزيز مُحَّد" :**الحياة العلمية في الدولة الإسلامية**"، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م.

- الزركلي خير الدين بن محمود بن مُحَّد بن علي فارس :**الأعلام**، دار العلم للملايين، ط15، ج 15، 2002م.

- زيدان عبد الكاف نقاف، **المدخل إلى علم الآثار**، الأردن، مؤسسة حمادة للدراسات والنشر والتوزيع، 2004م.

- السباعي مصطفى ، **من روائع حضارتنا**، دار الوراق ودار السلام، القاهرة، ط1، 1418هـ/ 1998م.

سعد زغلول عبد الحميد :**تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين**، منشأة المعارف بالإسكندرية، القاهرة، د.ط، ج 3،1990 م.

- سعدي عثمان، **عروبة الجزائر عبر التاريخ**"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 م.

- سعدالله أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي ، 1500-1830م**، ج1، دار الغرب الاسلامي المكتبة الشاملة الحديثة، (د.ت.).

- سعد الله ابو القاسم، **بحوث في التاريخ العربي الاسلامي** ، ط1، دار المعرف، بيروت، 2003م.

- شارل أندري جوليان : **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب : البشير بن سلامة و مُحَّد مزال، الدر التونسية للنشر، 1983م.

- فتحي زغروت: **النوازل الكبرى في التاريخ الاسلامي**،ط 1، الاندلس الجديدة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2009 م.

- فيلالي عبد العزيز: **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002 م.

- فكري احمد، **مساجد القاهرة و مدارسها** ،ج 2 العصر الايوبي ،دار المعارف بالاسكندرية ، 1962م.

- قريان عبد الجليل، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، دار جسور النشر ، الجزائر ، 2011م.

– عبد الواحد ذنون طه وآخرون: **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الاسلامي، ط1، بيروت، لبنان،2004م.

– عبد الجليل قريان، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، جسور للنشر التوزيع ، تلمسان ، الجزائر ،2011م.

– عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: **المسجد رَمز اَلصُّمود وَالتَّحدي**، ط1 ، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2002 م.

– مؤنس حسين: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ط1، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، 1992م.

– مُحَّد أسعد طلس، **التربية والتّعليم في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1957م.

– مُحَّد باي بلعالم، **الرحلة العلية الى منطقة توات**، ج 1، ج 2، دار الامة ، الجزائر ، 2005م.

– مريوش أحمد، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007 م.

– مُحَّد محمود مُحَّدين، **التراث الجغرافي الإسلامي** ، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1999م.

– الميلي مبارك بن مُحَّد، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم وتصحيح مُحَّد الميلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1396هـ-1976.

– وليام وجورج مارسيه، **المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان**، تقديم وترجمة مراد بلعيد، وعلي مُحَّد بورويبة ، فلة عبد مزيام، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 م.

– الهادي روجي إدريس **الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى 12 م**، ترجمة :حمادي الساحلي، دار الغرب، الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

– يوسف أحمد حوالة، **الحياة العلمية في افريقية، المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن 5هـ**، ج1، ط1، جامعة أم القرى، السعودية 1421هـ/2000م.

– بوتدارة سالم :**تاريخ شمال إفريقيا من خلال كتابات مارمول كربخال والحسن الوازن،** مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس2010/ 2011م.

– بلحاج معروف، **العمارة ٱلدِّينية بمَنطقة وَادي ميزاب،** رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2003 م .

– سايح الدين، **حركة التعليم بالمغرب الاوسط خلال القرن (3 هـ / 9 م)**، رسالة ماجستير ،كلية الاداب و العلوم الانسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2010/2009م.

– سيدي مُحَّد الغوثي بسنوسي، **الزخرفة في مساجد منطقة تلمسان،** رسالة ماجستير، معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، الجزائر 1990 م.

– شاهين أيمن سلام ،**المدارس الاسلامية في مصر في العصر الايوبي ودورها في نشر المذهب السني** ، رسالة دكتوراه في التاريخ الاسلامي ، جامعة طانطا ، مصر ، 1999م.

– قادة لبتر ،**تأثير الرطوبة على المعالم الاثرية ،دراسة لبعض معالم مدينة تلمسان** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستير في علم الاثار والمحيط، تخصص علم الاثار والمحيط ،جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان،2006-2007م.

– عليوان أسعيد: **مُحَّد بن يوسف السنوسي و شرحه المختصر في المنطق،** دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه ، معهد الفلسفة ، الجزائر ، 1987م.

– أحمد عامر صبيح: **التَّربية فَي ٱلإسلام وَدور ٱلمسجد فَيها،** مجلة ٱلعلوم والدراسات الانسانية، عدد خاص، جامعة قطر، 1982م.

– حاجيات عبد الحميد: " **الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان** "، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد26.

– علوي طه الصَّافي: **المساجد .ٱلعمارة وَالتَّاريخ وَالرِّسالة،** مجلة الفيصل ، عدد 15، تصدر عن دار الفيصل الثقافية، الرياض، رمضان ، 1398هـ / سيبتمبر 1978م.

– عبد القادر عثماني، الزوايا والتعليم القرآني والديني بها، **مجلة الدراسات الإسلامية،** العدد 2، الجزائر، ديسمبر 2002م.

– لعرج عبد العزيز محمود: " **المدارس الإسلامية، دواعي نشأتها وظروف تطوّرها وانتشارها**" ، مجلة الدراسات الإنسانية ، العدد01، 1421هـ ، 2001م.

- لعرج عبد العزيز محمود ، المساجد الزيانية عمارتها وخصائصها، **حوليات جامعة الجزائر** ، مجلد 6 ، عدد1 ، (ب.ت).

- BROSSELARD (C), "Les Inscriptions Arabes De Tlemcen", In: Revue Africaine, N° 06, 1862.

- BARGES L'ABBE (J.J.L), Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, sa topographie, son histoire, description de ses principaux monuments, =anecdotes, légendes divers; souvenirs d'un voyage, Editeurs BENJAMAIN (D) & CHALLAMEL (A), Paris, 1859.

-Dhina (Atallah),Les **Etats de L'occident Musulman au XIII**, **XIV**,**et XVé siéele**.O.P.U. ENAL Alger.

- Hadj Omar Lachachi , Le passe prestigieux de Tlemcen ancienne capital du célèbre yaghmoracen fondateur de la nation , édition ibn Khaldoun , Tlemcen. 2002 .

-Marçais,G ,**Remarques sur les medrsas funéraires en berberie** « à propos de la tachfinia de Tlemcen », mélanges Gaudfroy demombynes, institut français, le Caire, 1937.

- Marçais Georges ,Note sur L'épitaphe d'une savant Tlemcenen, revue Africaine, N° 59 , Année 1918, p 119.

– Louis (Abadie), Tlemcen au passé retrouvé, France, Edition Jacques Grandini, 1999.

-Omar Lachachi , **Le Prestigieux De Tlemcen** , **Ancienne Capitale du célèbre berbère ya 'ghmracen fondateur de la nation** , edition ibn khaldoun Tlemcen, 2002.

-Sourdel Thomine Janine, La mosquée et la madrasa. In: Cahiers de civilisation médiévale. 13e année (n°50), Avril-juin 1970.

-William et Georges (Marçais) : les monuments Arabes de Tlemcen, librairie Thorin, Paris, 1903.

الحرف والصناعات في العهد الحمادي

الأستاذ الدكتور: عبد الحق معزوز
معهد الآثار: جامعة الجزائر 2
Abdelhak.mazzouz@univ-alger2.dz

مقدمة

تتناول الدراسة إشكالية الصناعة والحرف في الدولة الحمادية، والتي تعتبر من المهن الرئيسة والمقومات الأساسية للنهوض بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية لأي كيان مهما كان، ومن يستطيع تحكَّم في هذه المقومات يستطيع أن يمضي قدما نحو مراتب متقدمة في سلم الرقي والازدهار الاقتصادي والاجتماعي، فضلا على ما ستوفره له من قوة تمكنه من الدفاع عن نفسه والحوض عن حماه،بل وتمكنه كذلك من فرض منطقه وقوته على أعداءه.

وانطلاقا من هذه الرؤية الإستراتيجية، عمل القائد حماد بن بلكين بن زيري مباشرة بعد تأسيس القلعة والانفصال عن الزيريين عام406هـ/1016م، على وضع الأسس والركائز التي مكنته فيما بعد،وفي وقت قصير جدا، من تشكيل كيانا سياسيا قويا عماده العلم والصناعة والتجارة، حيث استفادت القلعة من النزوح الكبير الذي عرفته القيروان جراء التخريب الذي أطالها نتيجة الزحف الهلالي على إفريقية، فوفد إليها حسب ابن خلدون الكثير من العلماء وطلاب العلم والمثقفين وأرباب الصنائع والحرف. فسمحت لحماد من تشييد الكثير من القصور والمباني والمساجد، والفنادق، وهكذا أصبحت القلعة قبلة يحج إليها التجار، وتحل بها الرحال من مختلف بلاد المشرق والمغرب.

لقد ساهمت هذه الهجرات بما حملته معها من علوم ومعارف وخبرات مهنية في تنشيط الحياة العلمية والثقافية والحرفية والصناعية بالقلعة، فكثرت بها الورشات الحرفية شملت جميع مناحي النشاطات المهنية والصناعية والتجارية، سرعان ما تطورت

إلى صناعات متقدمة، كصناعة المراكب والسفن التجارية والحربية، وصناعة المرجان والرحى، وإقامة صناعات تحولية زراعية ومعدنية، أدى في النهاية إلى ازدهار المجتمع الحمادي، وتوسعت تجارة المملكة مع دول المغرب والمشرق وبلاد السودان الغربي، فضلا عن اتساع حدودها البرية وفرض سيطرتها على البحر فأرهبت أعداءها وخاصة الفرنجة.

وعلى الرغم من شح المعلومات المتعلقة بالحرف في عهد المملكة الحمادية، إلاّ أنّ هناك بعض الإشارات والشذرات وردت في بعض المصادر والمراجع العربية مثل كتاب العبر لابن خلدون، والمشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي، والمغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكري، وكتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري وغيرهم ممن أشاروا من قريب أو بعيد لبعض الحرف والصناعات في هذه الدولة،لكنها مجرد مقتضبات لا تفي بالمطلوب ولا تبرز الحياة الحرفية والصناعية الحقيقية للدولة الحمادية.

إلى جانب ذلك فقد كشفت لنا الحفريات التي أجريت في القلعة وبجاية عن الكثير من الآثار الثابتة والمنقولة، التي دلت باليقين القاطع على وجود نشاطات جد متطورة ومتقدمة في مختلف المهن الصناعية والحرفية في المملكة تبرز بحق مدى تنوعها وتطورها.

1- تأسيس المملكة:

بدأت ملامح تأسيس الدولة الحمادية في نهاية القرن الرابع الهجري على يد حماد بن بلكين سنة (398هـ/1007م)، وتشكلت معالمها ببناء القلعة على رأس المائة الرابعة للهجري (400هـ/1010م)، وخلال فترة قصيرة استطاع حماد أن يشكل لدولته كيانا سياسيا مستقلا عن الدولة الزيرية الأم، وبالرغم من والتضييق الذي مورس على حماد من طرف بني عمومته في إفريقية والذي كاد أن يقضي على أحلامه الكبيرة، إلا أنّ من لطف الله به، أن سبقت المنية السيف، وذلك بوفاة

باديس أثناء محاصرته لحماد في قلعته بعد الهزيمة النكراء بواد الشلف، وهكذا كتب الله لحماد أن يقيم دولته.

أخذت هذه الدولة الفتية في النمو والازدهار، خاصة بعد الزحف الهلالي على إفريقية، وخراب القيروان الذي تمخض عنه هجرة أهل العلم والثقافة والحرف إلى القلعة، "فشيدت المساجد والفنادق والقصور واستبحرت في العمران واتسعت في التمدن وهجر إليها من الثغور القاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها"[1]. فأصبحت بذلك القلعة مقصد التجار وبها تحل الرحال من الحجاز والعراق ومصر والشام وسائر بلاد المغرب[2]، مما أدى إلى تنشيط الكثير من الحرف والصناعات والمهن فازدهرت على إثر ذلك الصناعة والتجارة في القلعة بداية، ثم تطور هذا النشاط بشكل سريع ونوعي في جميع المجالات شملت كل صغيرة وكبيرة زمانها منها الغريب واللطيف حسب الإدريسي[3].

2 – تعريف الحرفة:

تُعَرَّفُ الحرفة، على أنّها صناعة وَجِهَةُ الكسب، فحرفة الرجل صنعته، ويقال هو يحترف، ويكسب فهي اسلوب معيشته. وعرفها ابن منظور بقوله: ''المحترف الصانع يقال فلان حرفي أي معاملي[4]، والمحرف الذي نما ماله وصلح والاسم الحرفة.

(1) ابن خلدون (عبد الرحمن)، **كتاب العبر**، مج 6، ج11، دار الكتاب اللبناني بيروت 1981، ص350.

(2) البكري (أبو عبيد)،**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، نشر دوسلان، الجزائر، 1857م، ص49.

(3) الإدريسي (الشريف)، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، ص 88.

(4) ابن منظور، (جمال الدين)، **لسان العرب**، تحقيق :عبد الله علي الكبير مُحَّد احمد، دار المعارف، ط 3،القاهرة، 1999، باب السين، ص839.

3 –تعريف الصناعة:

عرفها ابن خلدون فقال: "اعلم أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران، بحيث تشد عن الحصر ولا يأخذها العد، منها ما هو ضروري كالفلَاحة والبناء والخياطة والتجارة والحياكة وأما الشريفة بالموضوع كالتوليد والخط والكتابة والوراقة والغناء والطب"[1]

وعرفها عز الدين موسى: أنها من أهم متطلبات الانسان الضرورية والكمالية وهي عملية تحويلية للمواد من خام الى مصنعة، أي تصنيع الإنتاج الزراعي وما يتصل به واستنباط المعادن وتصنيعها وهذا التعريف يمكن الحاقه بمفهوم الحرفة وبمفهوم الصنعة[2]. وهذا التعريف ينطبق مع التعاريف الحديثة للحرف والصناعات، وهي انوع العمل والأنشطة المتعلقة بالإنتاج وتحويل المواد والمعدنية.

وأما ما يتعلق بالحرف والصناعات في الدولة الحمادية، فهناك شح كبير بهذا الصدد، بحيث لا نكاد نجد سوى القليل من الإشارات عن هذا الموضوع في المصادر التاريخية والجغرافية. ومع ذلك سنحاول بالاعتماد على ما في طيات هذه المصادر زيادة على ما كشفته التنقيبات الأثرية أن نرفع الستار عن مختلف النشاطات الحرفية التي كانت تُزَاوَلُ وتُمَارَس في المملكة، ولا شك أنها كثيرة ومتنوعة بالنظر لحجم الدولة ومستوى تطورها اقتصاديا وتجاريا وثقافيا وعمرانيا، وما تزخر به متاحفنا من تحف تعود لتلك الفترة، وما هو قائم إلى يومنا هذا من معالم وبقايا أثرية، تنم كلها عن المستوى الراقي الذي بلغته المملكة في جميع المجالات، والتي ما كانت لتصل إلى تلك المكانة لولا توفر واجتماع مجموعة من العوامل البشرية والطبيعية والسياسية التي

---

(1) ابن خلدون (عبد الرحمن)، **المقدمة**، دار الفكر للطباعة للنشر والتوزيع بيروت، 1431هـ/2001م، ج1، ص508.

(2) عز الدين (عمر موسى)، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلَامي خلاَل القرن3 هـ**، دار الغرب الإسلَامي، ط2، بيروت 2003، ص217.

ساعدت على بعث نهضة زراعية وصناعية وثقافية وتجارية في هذه المملكة الفتية التي سنلخصها في النقاط الآتية:

4- مقومات النهضة الصناعية والتجارية في الدولة:

هناك مجموعة من العوامل لعبت دورا مهما في تشكيل وبلورة النهضة الصناعية وفي المملكة الحمادية مُلَخَّصُها في النقاط الآتية:

- الإرادة السياسية لدى القائد حماد في جعل عاصمته في مستوى الحواضر الإسلامية، ومن بعده وخلفاؤه وخاصة الناصر والمنصور ويحي والعزيز، الذين ساهموا إلى حد كبير في تطوير وازدهار المملكة بفضل أعمالهم الإنشائية والتصنيعية في القلعة وبجاية.

- توفر الثروة الزراعية والحيوانية وتنوعها في مختلف أرجاء المملكة التي ساهمت في تطوير بعض الناشطات المرتبطة بها.

- وجود مقومات النهضة الصناعية في المملكة كالمعادن والثروات الغابية والبحرية.

- سعة وشساعة أرض الدولة وتنوعها الجغرافي (البحر والتل والصحراء).

- تنوع مناخها بين الرطب في الشمال والقاري الجاف في الوسط (الهضاب العليا) والشبه الصحراوي والصحراوي في الجنوب (نواحي ورقلة).

- إعمار القلعة وهجرة المثقفين والحرفيين والصناع إليها بعد خراب القيروان فصارت محل استقطاب التجار وأرباب الصناعة الحرف وأهل العلم والثقافة من مختلف أصقاع العالم الإسلامي، خاصة بعد نقل العاصمة إلى بجاية، وما كانت تقدمه هذه المدينة من إمكانيات وفرص للتطور والازدهار، بفضل مقوماتها وقاعدتها اللوجيستية كالمرسى وأسطولها البحري ومواردها الاقتصادية والتجارية المتعددة.

هذه العوامل وغيرها، ساهمت في تسريع نشاط صناعي وزراعي متعدد الأوجه ومتنوع المشارب، جعلت الدولة تنعم بالرخاء المالي جراء المداخيل المتنوعة من التجارة

الداخلية والخارجية وما كانت تجنيه المملكة من الخراج والمكوس المفروضة على التجار والحرفيين، فضلا عن الجزية المفروضة على أهل الذمة. يقول البكري أن المكوس التي كانت تجبى عند باب من أبواب المنصورية كانت تبلغ ستة وعشرين ألف درهم[1].ونتيجة لذلك الثراء الفاحش تمادى حكام القلعة في تبذير الأموال بطريقة غير عقلانية بمناسبة غير مناسبة وخاصة في حفلات الزفاف، مثلما ما وقع في حفل زفاف أم الحلو "ففي حفل زواج السيدة أم الحلو بنت نصير الدولة أخت شرف الدولة، فنظر الناس من صنوف الجواهر والأسلاك والأمتعة النفيسة وأواني الذهب والفضة والنحاس ما لم يعمل مثلهم لا سمح لأحد من الملوك فيه".[2]

ومن مظاهر الترف التي كان عليها ملوك بني حماد لما توفيت السيدة زوجة نصير الدولة. "كُفِّنت فيما لم يذكر أن ملكا من الملوك كفن في مثله. فحكى من حضره من التجار أن قيمته مائة ألف دينار، وجُعِلَت في تابوت من عود هندي قد رُصِّع بالجواهر، وكانت مسامير التابوت بألفي دينار"[3]. وعن الخراج يضيف البكري "أن مستخلص بونة غير جباية المال عشرون ألف دينار، وجباية بلزمة عشرة آلاف دينار.[4] وكان دخل مرسى الخرز من تجارة بيع المرجان فقط عشرة آلاف دينار سنويا[5].

ومن الهدايا التي كان أمراء بني حماد يرسلونها للخليفة الفاطمي يقول البكري أن "باديس (498هـ/1105م) أرسل هدية جليلة إلى الخليفة الفاطمي شيعها بالبنود

(1) البكري (ابو عبيد)، المصدر السابق، ص351.

(2) البكري، المصدر السابق، ص393-394. وكذلك: -الطمار (مُحَمَّد)، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص185.

(3) االبكري، المصدر السابق، ص390

(4) نفسه، ص55

(5) الطمار، المرجع السابق، ص220.

والطبول، قوامها مائة فرش لها سروج محلاة شدت في ثمانية عشر حملا أقفاصا، وكان فيها ثمانية عشر جملا من الخز والسمور والمتاع السوسى المذهب النفيس"[1]. هذه إحدى مظاهر الترف والغنى الذي كان عليه أمراء بنبي حماد وهي، في نفس الوقت، تعكس الصورة الحقيقية عن الرخاء الذي كانت تنعم به هذه المملكة لا سيما بعد انتقال العاصمة إلى بجاية.

5-الحرف والصناعات المتعلقة بتحويل المواد الزراعية:

تجمع جل المصادر التاريخية والجغرافية على أن المغرب الأوسط كان يتميز بنشاط زراعي كثيف ومتنوع بتنوع مناخه وشساعة جغرافيته، (خضر،أثمار وحبوب)، يكفيه فخرا أنه كان يعتبر في العصر القديم مخزن روما وأوروبا. لقد أسعف زيري بن مناد للخليفة الفاطمي في أوقاته الشديدة، حين حاصره زيد بن كيداد الخارجي بكمية كبيرة من الزرع، قدرت بألف جمل من الحنطة[2]،فضلا عن نشاطات أخرى يدخل بعضها في الصناعات التحويلية؛ كزراعة الكتان والقطن، زيادة على وفرة الحلفاء وسعف النخيل، وهي مواد أساسية تدخل في الكثير من الحرف والصناعات التحولية، كصناعة الألبسة والأكسية والحياكة والنسيج والسلال"La Vannerie"

ولعل من أهم المواد الزراعية التي كانت تُصَنَّع في العهد الحمادي تذكر المصادر التاريخية أن الدولة الحمادية كانت تشتهر بزراعة الكتان والقطن، وفي هذا الصدد يقول الإدريسي عن زراعة هذه المادة أنه كان يزرع في مدينة بونة[3] لوفرة المياه بها. كما كان يزرع أيضا في مدينة مقرة حيث يقول: "وفي مدينة مقرة كان يزرع الكتان وهو عندهم كثير"[4]. علاوة على زراعة الكتان فقد اختصت بعض المدن بزراعة

(1) البكري، المصدر السابق،ص 375.

(2) الطمار، المرجع السابق،ص31

(3) الإدريسي، المصدر السابق، ص116.

(4) نفسه، ص93.

القطن كمدينة المسيلة حيث يجود عندهم القطن حسب البكري[1]ونفس النشاط الزراعي عرفته مدينة طبنة، يقول في ذلك الإدريسي[2]:" وطبنة... مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة، وبها صنائع وتجارات". ورغم أنّه لم يذكر هذه الصناعات والتجارات إلّا أنّنا نستشف من قوله أنّ طبنة كانت فعلا بها صناعات كثيرة ومتنوعة، لا سيما وأنها كانت من أهم حواضر المغرب الأوسط في ذلك العهد، وهو ما أدى بالضرورة لتنشيط التجارة البينية استيراد وتصدير بمفهوم هذا العصر.

وتعتبر النباتات الطبيعية من أهم المصادر الرئيسة للألياف النسيجية، والتي استخدمها الإنسان كأول مادة لصناعة النسيج، ويعد القطن من أكثر المواد استعملا في النسيج لما تمتاز به أليافه الممتازة، وكذلك استخدام الكتان الذي تتميز أليافه الطبيعية بالمتانة زيادة على دوامه ومحافظته على تصميمه لفترة أطول من القطن.

لقد ساهمت زراعة الكتان والقطن في بعث صناعة نسيجية هامة، حيث خلقت يد عاملة ماهرة متعددة، وساهمت في خلق حرفا كثيرة موازية للنسيج ومكملة لصناعة الألبسة في المملكة كصناعة الخيوط، والغزل، والنسج، والتصميم، والخياطة، والطرز، والصباغة، إلخ. فمنها صُنِعت مختلف الألبسة، وكل ما كان يحتاج إليه سكان الدولة مما يقيهم قر الشتاء وحر الصيف، وكانت العائلات الميسورة والأغنياء والأمراء يتميزون بملابسهم الفاخرة التي ترمز لمقامهم ومكانتهم الاجتماعية وجودة أذواقهم، لذلك تفنن الحرفي القلعي في صنع أكسية عالية الجودة تناسب أذواق الميسورين وعالية القوم وتلبي رغباتهم، وهو ما أكدته بعض المصادر التاريخية؛ فهذا صاحب كتاب الاستبصار يصف لنا الملابس القلعة بقوله:" وبها أكسية (القلعة)لا مثيل لها في الجودة والرقة، لا الوجدية التي تصنع بوجدة تساوي كَسًا عيد من عمل القلعة ثلاثين

(1) البكري، نفسه، ص59.

(2) الإدريسي، المصدر السابق، ص93

دينارا"،[1] وهذا تأكيد صريح لقيمة الاكسية القلعة وجودتها ليس فقط على المستوى المحلي بل على مستوى المغرب العربي وربما على مستوى المشرق كذلك.

ومما اشتهر به أيضا ملوك صنهاجة هو مبالغتهم بارتداء عمائم غالية الثمن وعالية الجودة، يصفها لنا صاحب الاستبصار فيقول:"وكان لملوك صنهاجة عمائم مذهبة يُغْلُون في أثمانها تساوي العمامة الخمسمائة دينار والستمائة دينار وأزيد، وكانوا يعممونها بأتقن صنعة، فتأتي كأنها تاجان، ببلادهم صناع لذلك، فأخذ الصانع على تعميم عمامة منها دينارين وأزيد. وكانت لهم قوالب من عود في حوانيتهم يسمونها الرؤوس يعمموا عليها تلك العمائم"[2]. وهذا السعر مرتفع جدا بالنسبة لعمامة، لكنها استمدت قيمتها من شكلها ونوعها وجودتها وبالخيوط الذهبية التي تزينها.

ونظرا لوفرة مادتي الحلفاء وسعف النخيل في السهوب والجنوب عموما، ومع أنه لم تصلنا منتجات من هذه المواد بسبب سرعة تلفها، إلا أننا لا نستبعد أن تكون هناك ورشات أقيمت في مختلف المناطق لهذه الحرفة، خاصة بين سكان أرياف المملكة نظرا لعدم تكلفتها ووجود مادتها الأولية في البراري وجنات النخيل، فلا شك أن الكثير من الرجال وحتى النساء اتخذوا من هاتين المادتين كمواد أولية لصناعة لتشكيل كل ما كانوا يحتاجون إليه مما صنعته أنامل حرفييهم من أدوات كالسلال والحصائر والبرادع والمظل، وأواني منزلية كالأطباق وكساكيس الطعام(مفرد كسكاس)، المصنوعة من الدوم ومن سعف النخل، وهي كلها أدوات ضرورية في الحياة اليومية للمجتمع الحمادي، زيادة على أنها صناعة قديمة جدا في بلادنا يرجع تاريخها حسب ما تؤكده

(1) مجهول، **وصف إفريقية من كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر:
M Alfred de Kremer , Vienne de l'imprimerie impériale royale de cour et d'etat, 1852,p58.
انظر كذلك: ياقوت (لحموي)، **معجم البلدان**، مج4/417، بيروت، دار صادر، 1397هـ/1977م.
(2) كتاب الاستبصار، ص 20.

الأبحاث الأثرية إلى عصور قديمة جدا تعود إلى ما قبل التاريخ، وهذا يؤكد مدى التواصل والاستمرار بين مختلف الأجيال والحقب التاريخية في ممارسة هذه الحرفة القديمة وغيرها.

عمائم تماثل العمائم القلعية

نموذ لعمامة قلعية لشخص (مقتدى الصدر) مرسومة على قطعة خزفية

علاوة على وجود مادتي الكتان والقطن، فقد توافرت مادتي الصوف والوبر بكثرة في جميع أنحاء الدولة وهذا بفضل تربية المواشي والإبل في الهضاب والسهوب والجنوب الكبير. وتعد مادة الصوف والوبر والشعر من أهم المواد التي تدخل في بعض الصناعات النسيجية التحويلية كصناعة الأغطية والزرابي، والطنافس والحياك والخيام والأكياس (قرارة) المصنوعة من الوبر، علاوة على الألبسة الأخرى كالبرانيس والقشاشيب، التي تعد من خاصة ملابس سكان شمال إفريقيا عموما والمغرب الأوسط خصوصا حتى أنهم عرفوا تاريخيا في كتب المصادر ببربر البرانس.

ومن ضمن ما اشتهرت به القلعة من أكسية صوفية ذكرت المصادر التاريخية ضربا منها عُرِفَ تاريخيا باسم الأكسية القلعة نسبة إلى قلعة بني حماد، يصفها الحموي بقوله[1]:" وبها الأكسية القلعية الصفيقة(الصفيقة تعني الكثيفة أو السميكة الخشنة.)النسج الحسنة المطرزة بالذهب، ولصوفها من النعومة والبصيص(بريق) بحيث

(1) الحموي، نفس المصدر،مج4،ص390.

ينزَّلُ مع الذهب بمنزلة الإبريسم".أي حسن الحرير. علاوة على صناعة تحويل الصوف والقطن والكتان، نشير أيضا إلى وجود صناعة أخرى أساسها مادة الجلود، وهي وافرة في المملكة بفضل تربية الأنعام بمختلف أشكالها من(بقر، غنم، إبل) والتي ساهمت بدورها كذلك في ظهور بعض الحرف التي تعتمد على ألبسة وأغطية الرأس فاطمية تماثل أو قريبة من الحمادية والزيرية هذه المادة كمادة أولية في صناعة الأحذية والدروع والقرب (حوايا لحفظ الماء)، والسروج الدولة بالأحجار الكريمة واللبابيد الجيدة، وهذا ما يدل على أن القلعة ومدن أخرى كانت تحوز على مصانع وورشات لصناعة النسيج في منتهى التطور والجودة، يقوم عليها حرفيون بل مهنيون ذووا كفاءة عالية يتحكمون في سر المهنة بشكل جيد كالدباغة والصباغة والصناعة والتصميم الجبد، وهذا ما يؤكده ياقوت الحموي بقوله:" ويتخذ بها(أي القلعة) لبابيد (الصفيقة تعني الكثيفة أو السميكة الخشنة.)الطيلقان جيدة غاية.[1]

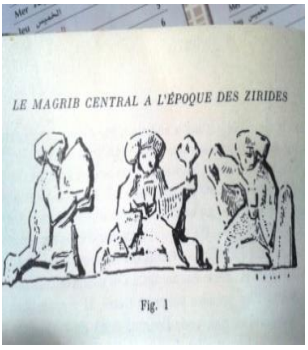

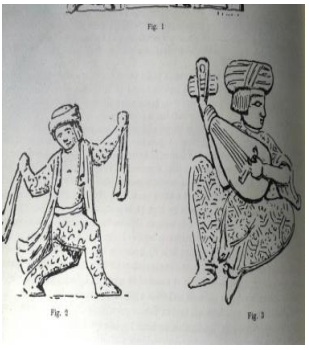

(1) الحموي، المصدر السابق، مج4،ص390.

كما اشتهرت قبيلة لمطة بصناعة الدروع التي تحمي المحارب من الأسنة والرماح والتي تعرف بالدُّرُق اللمطية نسبة لهذه القبيلة، التي انفردت بهذه الصناعة في الدولة الحمادية، وقد كانت الدرق تصنع من جلود الضباع وكانت تبطن بالحرير أو بالقطن وهما مادتان متوفرتان في المملكة الحمادية. ويذكر ابن عذارى وابن كثير وغيرهما أن ناصر الدولة باديس كان قد غنم في معركة الشلف عام 392هـ/1002م التي خسر فيها الجيش الحمادي بقيادة حماد عددا كبيرا من الدرق قدر بعشرة (10) آلاف درقة مختارة لمط[1]، ويسميها ابن كثير الكذاغندات[2]، ويعرف صانع الدوارق بالدُّرَّاق،وقد كشفت لنا إحدى الكتابات القبرية عن اسم لصاحب الشاهد اسمه ابن الدراق. ربما نسبة إلى الدرقاوة التي هي فرقة صوفية جزائرية قد تكون على علاقة بالدرق أو الدرع. ويشير النويري أن تميم استعان ببعض القبائل العربية رياح وسليم وزغبة ليحاربوا إلى جانبه ضد الناصر في معركة سبيبة "فساعدهم بالعدة والرِّفادة وأمر لهم بعشرة آلاف دينار، لكل أمير منهم ألف دينار،وألف درع وألف رمح وألف سيف مهند.

وعن الدروع الجلدية يخبرنا ابن الأثير أن العرب لما رأت عساكر صنهاجة وعبيد المعز بن باديس هالهم ذلك، وعظم عليهم فقال لهم مؤنس بن يحيى: ما هذا يوم فرار. فقالوا: أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكذاغندات[3]والمغافر (مفردها غفر ن وهي زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة. النويري، الهامش2، ص119.).

(1) الهادي (روجي إدريس)، **الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في العهد الزيري**، ترجمة حمادي الساحلي، ط1، دار المغرب الإسلامي، ج1،1992 ص150.

(2) ابن الأثير مُحَمَّد بن مُحَمَّد(ت630)، **الكامل في التاريخ**، مراجعة وتصحيح مُحَمَّد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت، 1408هـ/ 1987، ج8، ص87.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق،ج 9، ص255

ضروب من الدوارق (الدروع) العربية الجلدية
من العصر الوسيط

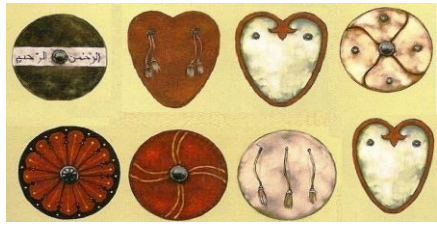

6–صناعة وتحويل المعادن:

يعد المعدن على اختلاف أنواعه من المواد الأساسية الأولية التي تقوم عليها صناعة التعدين، ويحوز المغرب الأوسط على معادن للرصاص والحديد والنحاس واللازورد وغيرهما من الثروات المعدنية التي كان الحماديون يستنبطونها ويصنعونها بأيد مهرة.

ومن أشهر المعادن التي كانت متوفرة في المغرب الأوسط تذكر بعض المصادر مادة الحديد الذي كان متوفرا في بجاية وهو من النوع الجيد[1]، وأشار الإدريسي كذلك إلى وفرة معدن الحديد في بونة.[2]

لا يمكن تجاهل معدن الحديد في صناعة الكثير مما يحتاج إليه سكان المملكة بالنظر لأهميته ووفرته، وحاجة المملكة إلى مصنعاته لسد حاجياتها منه، ولو عدنا إلى بعض المصادر التاريخية والأدبية لتجلى لنا الأمر بوضوح بخصوص تصنيع الحديد واستعمل مصنعاته في مختلف المجالات، وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية المصنعات الحديدية كالأبواب والنوافذ وأدوات أخرى بعضها يستعمل في صناعة السفن والبعض الآخر للاستعملات الخاصة في الفلاحة والتصنيع ، مثل الفؤوس والأزاميل والأوتاد وغير ذلك من ذوات الحاجة من هذا المعدن، ولنستمع للإدريسي وهو يصف لنا قصر مدينة طبنة فيقول:" ...ملاصق (أي القصر) لسور المدينة جهة القبلة عليه باب

(1) الإدريسي، المصدر السابق،ص91
(2) نفسه،ص116

حديد وهو سري وباب الفتح غربي باب حديد أيضا. إلى أن يأتي على ذكر باب تهودة فيقول: "باب تهودة قبلي عليه باب حديد وهو سري أيضا والباب الجديد حديد أيضا".[1]

ويذكر صاحب كتاب الاستبصار جمال وحسن قصور بجاية فيقول:"وبها قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الراؤون أحسن منها بناء ولا أنزه موضعا، فيها طاقات بها شبابيك الحديد."[2] وفي قصيدة لابن حمديس يصف فيها أبواب أحد قصور بجاية فيقول عنه:

ومصفح الأبواب تبرا نظروا * بالنقش فوق شكوله تنظيرا**

ثم يسترسل في الوصف فينعت شكل المسامير الحديدية التي زينت بها أبواب القصر ببروزها كنهودالفتيات فيقول في بيت شعري:

تبدو مسامير النظار كما علت * تلك النهود من الحسان صدورا**

وقد ذكر هذه القصيدة المقري في كتابه نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب.[3]

والحقيقة أن صناعات الأبواب الحديدية ليست حديثة النشاة في بلاد المغرب والمملكة الحمادية وإنما هي قديمة، لقد أشار ابن حماد أنّ الشيعي ابو عبيد الله لما ابتنى المهدية جعل لها بابان من الحديد الخلص.[4] لا شك ان هذه الإشارات واضحة على مدى استنباط الحديد وصهره وتصنيعه في المملكة على أيدي حرفيين مهرة أبدعوا

(1) نفسه، ص50، 51.

(2) مؤلف مجهول، المصدر السابق،ص21

(3) المقري (احمد بن مُحَمَّد التلمساني)، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج2، دار صادر، بيروت 1968م،ص37.

(4) ابن حماد (عبد الله بن مُحَمَّد علي)،**أخبار ملوك بني عبيد**، تحقيق ودراسة التهامي نقرة، عبد الحليم عويس،دار الصحوة للنشر والتوزيع،ص42

ونوعوا في تصنيعه فحولوه إلى أبواب ونوافذ وفؤوس وسيوف وأدوات الحرث والحصد وغير ذلك مما يحتاج إليه أهل الحضر والريف معا. وتحتاج صناعة الحديد والمعدن عموما إلى حرفيين متعددي الاختصاص، من بينهم مذيب الحديد وصاقله وطابعه.

لا شك أنّ ورشات الحرف والتصنيع لم تقتصر على عاصمتي المملكة بل انتشرت في مدن حمادية أخرى، مثل مرسى الخرز وبونة، وطبنة والجزائر، فمدينة طبنة ذكرت المصادر انها كانت بها صنائع مع عدم التفصيل فيها، فيقول عنها الإدريسي:"وطبنة مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والحنطة، وبها صنائع وتجارات."[1] كما كان لمدينة الجزائر صناعات نافقة، وتجارة مربحة حسب ماأورده البكري.[2]

وقد اشتهرت مدينة بجاية بصناعة مادة الشمع، فكان أهل بيزا الإيطاليون ينزلون مدينة بجاية في الجزاير، فتعلموا منها صناعة الشمع، ومنها نقلوه إلى ديارهم وإلى أوروبا"[3]، ومن بين الذين تعلموا في مدينة بجاية عالم الرياضيات ليونار فيبوناسي (**L.Fibonacci**) [4]الذي كان تعليمه إلى حد كبير في بجاية حيث كان والده غوليليلو بونوتشي ممثلا لتجار جمهورية بيتزا.[5]

---

(1) الإدريسي، المصدر السابق،ص93.

(2) البكري، المصدر السابق،ص89.

(3) علي بن عبد الله الدفاع، **العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية**، ص302. وكذلك: -راغب السرجاني، **ماذا قدم المسلمون للعالم (اسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية)**، ج1، ص730.

(4) مُحَمَّد كرد علي، **الإسلام والحضارة العربية**، نشر هنداوي، ص207.

(5) للمزيد عن فيبوناتشي ينظر:

-**Roshdi Rashed**, « *Fibonacci et les mathématiques arabes* », *Micrologus*, vol. II, ،1994 p؛ 160-145 .-**Jacques Meyer**, « *FIBONACCI LEONARDO (1170 env.-env. 1250)* » [archive], sur Encyclopædia universalis (consulté le 28 aout 2019.

ومن المدن التي اشتهرت كذلك بالمعادن، جاء في الاستبصار أن مدينة مجانة اشتهرت بمحاجر لصناعة المطاحن، حتى اشتهرت عند المؤرخين بمجانة المطاحن، حيث يوجد فيها معدن لقطع حجارة الأرحاء ليس على الأرض مثله.[1] كما نشأت على هذا المعدن صناعة الأرحاء والطواحين المائية التي أقيمت على ضفاف الأنهار، وذلك لحاجة الناس لهذه المطاحن والأرحاء لطحن الحبوب، ومن بين المدن التي أشارت إليها المصادر التاريخية مدينة مليانة يقول عنها الإدريسي: "مدينة مليانة لها أرحاء على نهرها"[2].

ويؤكد ذلك صاحب الاستبصار بقوله: "وهي مدينة حصينة في سفح جبل يسمى زكار... ينبعث من هذا الجبل عين خزارة عظيمة تطحن عليها الأرحية لقوته"[3]. لقد انتشرت هذه المطاحن على ضفاف أنهار مدينة البليدة أيضا، ومدينة بجاية التي كانت تصنع نواعير على ضفاف نهر كبير بالقرب منها تسقى به بساتينهم..."[4]. وبالتأكيد نشأت مطاحن على ضفاف أنهار أخرى مثل مدينة قسنطينة والقلعة وغير ذلك من المدن التي لم تذكرها المصادر وخاصة التي تقع على ضفاف الأنهار وما أكثرها، نظرا لحاجة الناس إلى هذه الآلة التي لا يمكن الاستغناء عنها، فضلا عن الأرحية الكبيرة فقد كانت هناك ورش حرفية لصناعة المطان اليدوية التي تدار باليد، ذات الاستعمال الشخصي، وقد كانت منتشرة هي الأخرى في المدن والقرى وتمارس عائليا يرثها الخلف عن السلف، وهي مازالت مستمرة إلى وقت قريب وبعضها لا يزال إلى يومنا هذا.

(1) مجهول، المصدر السابق، ص48.

(2) الإدريسي، المصدر السابق،ص88،87.

(3) مجهول، المصدر السابق، ص59

(4) نفسه، ص20.

من المؤكد أن الدولة الحمادية كان لها قاعدة صناعية معدنية ليست مبنية فقط على معدن الحديد، بل وعلى معادن أخرى كالبرونز والفضة والنحاس والتبر (ذهب الخام) المستورد من الصحراء عن طريق أهل ورجلان. وكان لها حرفيون في الحدادة والسباكة والتبر، وذلك ما تؤكده يقينا القطع الأثرية المعدنية الكثيرة التي عثر عليها في حفريات القلعة كحاملات الشموع ومقابض الأبواب، ومطارقها، والمجامر، وشبابيك النوافذ، والمسامير والصفائح المعدنية التي كانت تزين الأبواب، والتي ذكرها ابن حمديس الصقلي، والتماثيل البرونزية والنحاسية وحلي الزينة، الخ.

هذه المصنعات المتعددة الأشكال والمواد تنم عن صناعة راقية، وحرفيين مهرة لهم خبرة وكفاءة مهنية لا جدال فيها، كما أنها تدل أيضا على وجود ورشات وحرفيين متعددي التخصصات في استخراج المعدن وصهره، وفنانين لإعداد النماذج وقوالب الصب وصقالين وغير ذلك من العمال المهنيين في مختلف النشاطات المتعلقة بصناعة المعادن ذووا مهارات عالية في القلعة وبجاية ومدن أخرى داخل الدولة.

يضاف إلى ذلك، وجود لمواد أخرى قابلة للتصنيع أو التحويل كانت متوافرة في المغرب الأوسط وتم استغلال بعضها في بعض الصناعات، والبعض الآخر تم تصديره نحو بلدان أخرى، مثل مادة المرجان والزفت والخشب والقطران، هذه المواد كانت محل تحويل لصناعات محلية، فمادة المرجان الذي لا يوجد أنفس وأجمل منه في الدنيا، كان يخرج منه القناطير من مرسى الخرز وكان يصدر نحو المشرق وهو أنفق شيء بالهند والصين.[1] كما صُدِّرَ النحاس المستخرج من جبال صدر النحاس المستخرج من جبال كتامة إلى بلدان إفريقية، ومن نفس الجبل كان يستخرج أيضا اللازورد الطيب.[2] والذي يكون قد صُنِّع محليا إلى جانب المرجان واستعمله في صناعة الحلي

(1) مجهول، المصدر السابق، ص17. وانظر كذلك الإدريسي، المصدر السابق، ص116. البكري، المصدر السابق، ص55.

(2) البكري، المصدر السابق،ص83.

المحلية، فضلا عن الخشب الذي كان يصنع منه مادة القطران، واستخدامه أيضا في صناعة السفن والأثاث إلى جانب مادة الزفت.

حلي لتزيين المنازل ومصابيح زيتية

7-صناعة السفن:

اشتهرت موانئ بجاية ومرسى الخرز بصناعة السفن بمختلف أنواعها وأشكالها، فمنها ما كان مخصص للتجارة، لنقل البضائع ومنها ما كان مخصص للحرب والجهاد ضد الصليبيين. ومن العوامل التي ساعدت في نشأة هذه الصناعة، وفرة المواد الخام التي تدخل في صناعتها كالخشب والحديد والزفت، هذه المواد الأساسية كانت متوافرة في المملكة، علاوة على وجود حرفيين مهرة في هذه الصناعة، مما ساهم في إنشاء قوة بحرية كانت تغزو بلاد الروم[1]، وقد انفردت بجاية لوحدها بدارين لصناعة السفن، وفي ذلك يقول صاحب الاستبصار:" ولها داران لصناعة المراكب، وإنشاء السفن،

(1) مجهول، المصدر السابق، ص21.

ومنها تغزو بلاد الروم فإنها ليس بينها وبين صقلية غير ثلاث(3) مجار، وهي مرسى عظيمة تحط فيها سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر، وبلاد اليمن، والهند، والصين، وغيرها".[1]

وأما الحموي فيقول عن بجاية:" إنّما هي دار مملكة، وتُرَكّب منها السفن وتسافر إلى جميع الجهات".[2] وكانت بجاية من أهم مدن المغرب الأوسط بنشاطها التجاري والجهادي فكانت تحل بها القوافل التجارية من كل حدب وصوب برا وبحرا من بلاد المشرق والمغرب وبلاد السودان الغربي، ولنستمع لما يقوله الإدريسي عنها: "ومدينة بجاية في وقتنا هذا(القرن السادس الهجري) مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بالكثير من البلاد، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة....وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي". وذلك لوفرة الخشب في جبالها، ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة، وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة".[3]

وعلى غرار بجاية نشأت في مرسى الخرز ورشات لصناعة السفن، حيث كانت تصنع بها العديد من أنواع السفن الحربية التي كان يغزى بها شواطئ النصارى وخاصة إيطاليا، وفي ذلك يقول البكري[4]:"... وقد صنع بها مرفأ للسفن منذ مدة قريبة، وفي هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب الحربية التي تغزى بها إلى بلاد الروم". وهو ما أكده

(1) نفسه، ص130.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان،مج1، حرف الباء،ص339.

(3) -الإدريسي، المصدر السابق، ص90، 91

(4) البكري، المصدر السابق، ص55.

صاحب كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار حيث أشار إلى إنشاء السفن في هذه المدينة.[1]

وقد صنع الحماديون في مرافئهم البحرية عدة أنواع من السفن والقوارب التجارية والحربية، فورد ذكر بعضها في أشعار ابن حمديس وابن أبي حجلة التلمساني وبعض المصادر التاريخية والرخالة. ومما صنع من القطع البحرية ذكرت المصادر: الحرابي، والشواني، والطرائد، والشلندات، والغاليوطات، والحراقات، وغيرها من القوارب والسفن الحربية والتجارية السريعة والكبيرة التي صنعت في بجاية ومرسى الخرز واستعمل بعضها لغزو بلاد الروم والبعض الآخر خصص للنقل إلى جميع الاتجاهات محملة منها وإليها بالمسافرين والبضائع المتنوعة.

والحقيقة المؤكدة أنّ الحماديين كان لهم شأن كبير في البحر وكانت لهم اليد العليا فيه حتى قبل انتقالهم إلى بجاية، وكانت لهم سفن وقوارب حربية يغزون بها السواحل الإيطالية القريبة، وهذا بعد أن تولى القائد بن حماد زمام الحكم بعد وفاة أبيه حماد، حيث شدد هذا الأمير وطأته على النصارى في عرض سواحل البحر المتوسط وضيق بأسطوله على بيزة وجنوة ومارسيلية، مما أثر على حركة التجارة، فتحالف الفرانسيون والإطاليون وهاجموا باساطيلهم الأسطول الصنهاجي عام 425هـ /1034م، والذي كان مركزه وقتذاك مدينة بونة فدمر النصارى المرفأ وخربوا المدينة.[2]

(1) الحميري (ابن عبد المنعم)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، (تح) إحسان عباس، ص538.
(2) محمد طمار، المرجع السابق، ص95.

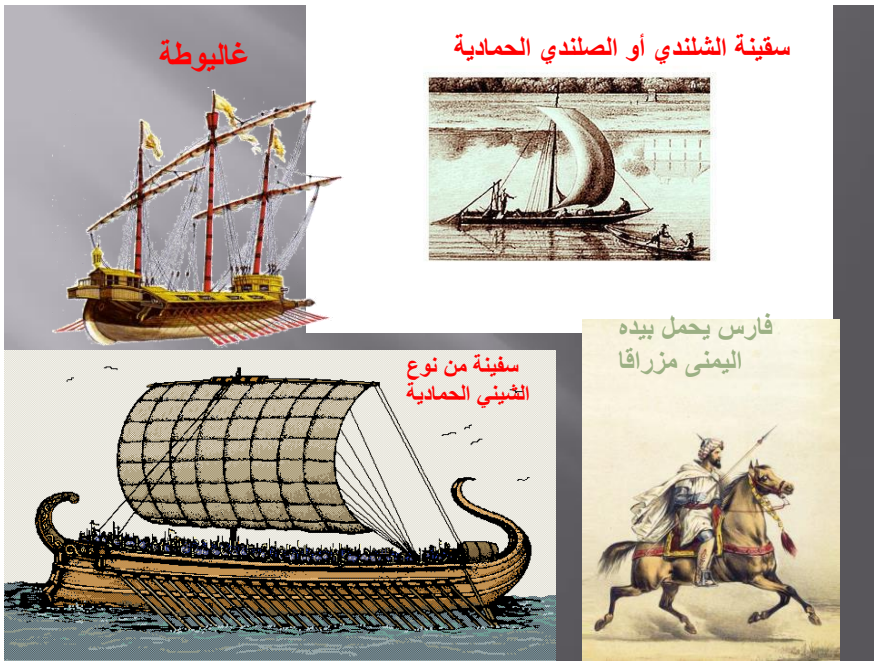

8-المهن العلمية (الأطباء):

لقد تضمنت طيات كتب المصادر التاريخية أسماء بعض المهنيين في مختلف العلوم مثل الكيمياء والطب وصناعة الدواء عاشوا في العصر الحمادي، ورغم قلتهم إلا أنهم يعكسون بحق المستوى الثقافي والعلمي الذي كانت عليه الدولة الحمادية في ذلك الوقت، وهو ما تؤكده المصادر التاريخية التي تشير إلى اهتمام أمراء الدولة بالعلم والثقافة كضرورية حتمية للتطور والازدهار، وعلى وجه الخصوص العلوم التجريبية منذ نشأتها وخاصة بعد أن استتبت الأوضاع السياسية والأمنية في الدولة، وهجرة الأندلسيين والأفارقة والصقليين والمشارق إليها، مما أعطاها زخما ثقافيا، انعكس شعاعه على جميع ألوان الفن والعلوم، ومن هؤلاء: ابن أبي المليح الطبيب الذي كان طبيبا ماهرا مشهورا،[1] والطبيب ابن النباش البجائي المتوفى في القرن الخامس الذي

(1) عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد**، ط1، دار الشروق، 1400هـ/1980م، ص270.

اهتم بعلاج المرضى، وكان على دراية بالعلوم الطبيعية، وله باع في سائر العلوم الفلسفية،[1]، ومن هؤلاء أيضا نذكر عمر بن البيدوخ أبو جعفر القلعي، الذي هو من مواليد القلعة، ولكنه طوف في الآفاق ومات في دمشق سنة575هـ، وهو خبير في الأدوية المركبة والمفردة والعارف بالأمراض وعلاجها، وله مؤلفات كثيرة مثل حواش على كتاب القنون لابن سينا، وشرح الفضول للفيلسوف أبوقراط في قصيدة من بحر "ألرَّجَز"، وذخيرة الألباب في الباءة.[52] ومن الأطباء البارزين كذلك نجد ابي بكر المنصور القلعي، الذي كان نابغا في علوم الطب والرياضيات والحساب وعلوم الفرائض.[2] ويذكر لنا الإدريسي الكثير من النباتات الطبية التي كانت متوفرة في جبل مسيون مثل شجر الحضن والسقولونفد وردون والبرباريس والقسطون والعنطوربون والأقسنتين وغير ذلك من الحشائش والنبتات التي تدخل في صناعة الدواء الطب.[3]

ومن العلماء في ذلك العهد الذين كانوا يشتغلون في كمياء الفضة العالم الميلي علي بن أبي القاسم مُحَمَّد أبو الحسن التميمي المغربي القسنطيني المتكلم الأشعري المتوفي بدمشق 18 رمضان 519هـ.

مئذنة جامع القلعة

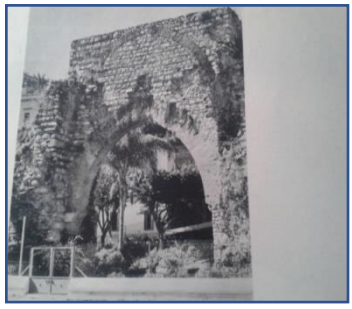

باب البحر بجاية

(1) رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه وحضارته**، ص277.

52-نفسه، ص280.

(2) عثمان الكعاك، **بلاغة العرب في الجزائر**، ص29.

(3) الإدريسي، المصدر السابق،ص90.

10-الحرفيون:

مع الأسف الشديد، ليست لدينا معلومات كثيرة عن الحرفيين في عهد المملكة الحمادية، بنفس القدر الذي نعرفه عن الحرف على الرغم من وجود الكثير من الحرف والصناعات كما بينت لنا الآثار. غير أنّه لم ترد إلينا أسماء للصناع وحرفيين حماديين سواء من خلال المصادر أو من خلال الكتابات والنقوش الأثرية والتي عادة ما تتضمن أسماء الحرف والصناع الذين قاموا بصناعة هذه التحف. ولم يردنا سوى اسمين اثنين فقط جاء ذكرهما في كتابتين حماديتين أولاهما كتابة تسجيلية محراب جامع قسنطينة التي تحمل اسم النقاش الذي قام بنقش كتابات المسجد والذي يدعى مُحَمَّد بن بوعلي الثعالبي، وكتابة أخرى شاهدية عثر عليها في مدينة بجاية تحمل اسم المتوفى أبو بكر بن مُحَمَّد الخياط، ويتضح من خلال هذا اللقب أن المتوفى كان يمارس في حياته مهنة الخياطة،كما تدل على ذلك الكتابة، ومن بين البنائين الذين ورد ذكرهم جاء اسم المعماري بونياش المسيحي الذي قام ببناء قصر المنار.[1] كما ورد اسم الدراق الذي سبق ذكره في إحدى الكتابات.

ومن الحرفيين الذين كانوا يمتهنون البناء قبل قيام الدولة الحمادية في عهد الفاطميين نجد البناء علي ابن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسي، الذي تولى بناء مدينة المسيلة التي كانت تعرف وقتذاك بالمحمدية بأمر من أبي القاسم اسماعيل بن عبيد الله سنة 313هـ.

(1) مُحَمَّد طمار، المرجع السابق، ص225.

قصر المنار

فسقية رخامية تتوسط قصر المنار

10- حرفة البناء:

اعتنى الحماديون بالفن المعماري الديني والمدني والعسكري، فشيدوا قصورا ومساجد ومدارس وقلاع وحصون في غاية القوة والجمال، فبرعوا فيه وأوجدوا لهم فنا معماريا مميزا لم تعرفه إفريقية من قبل، لا في العهد الفاطمي ولا في العهد الزيري، ولا حتى الحواضر الإسلامية الكبرى، جعلتها مادة دسمة للشعراء الذين تغنوا بقوة جمال هذا الفن المعماري والعمراني على حد السواء. وعلى رأس الذين تغنوا وأشادوا بقصور بني حماد، ابن حمديس الصقلي الذي يصف إحدى دور بجاية بناها المنصور بن علناس في قصيدة طويلة نقتطف منها الأبيات الآتية التي تصور لنا حقيقة هذا القصر.

قصر لو أنك قد كحلت بنوره أعمى لعاد إلى المقام بصيرا
نسي الصبيح مع المليح بذكره وسما ففاق خورنا وسديرا
ولو بالألوان قوبل حسنه ما كان شيء عنده مذكورا
اعيت مصانعه على الفرس الألى رفعوا البناء وأحكموا تدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا لملوكهم شبها ولا نظيرا

ولعل المباني الأثرية والمساجد التي ما تزال قائمة كقصر المنار وقصر البحر ويرج المنار وباب البنود وباب البحر، ومسجد القلعة ومسجد قسنطينة وآثار مسجد

سيدي غانم بميلة لأحسن دليل وأسطع برهان على ما بلغه هذا الفن في ذلك الوقت، فبرج المنار الذي ما يزال شامخا بالقلعة يعكس فنا معماريا راقيا ومميزا ووحيد عصره، ليس له مثيل في العالم الإسلامي بأخاديده ومميزاته المعمارية والفنية وطابعه الدفاعي والاتصالي، وتعتبر منارة مسجد القلعة نموذجا فريدا بالمغرب والأندلس، وربما في العالم الإسلامي بخصائصها الفنية وزخارفها وارتفاعها الشاهق، وبوابتها الحذوية الشكل، فهي تعد نموذجا أوليا لباقي مآذن القرن لسادس الهجري الثاني عشر الميلادي كمئذنة الخيرالدا باشبيليا والكتبية بمراكش والحسن بالرباط.

إنّ هذا الإرث الحضاري الذي تركه الحماديون في القلعة وبجاية وقسنطينة وميلة، ليدل دلالة قاطعة على ما كان يتميز به صناع وحرفيو القلعة من مهارات معمارية وفنية عالية، جعلتهم الأوائل في الإبداع ليس فقط في الغرب الإسلامي، بل في العالم الإسلامي كله، ولعل من أجمل ما أبدعته أنامل هؤلاء الحرفيين وانتجته عقولهم، ما يعرف بفن المقرنصات التي تعد القلعة منشأه الأول والموطن الأصلي لهذا الفن المعماري الجديد الذي أحدث ثورة فنية في تجميل وتزيين القباب والزوايا والكوات، إلى جانب الفخار ذو البريق المعدني والمربعات الخزفية ذات اللون الأزرق والأبيض المنمقة بأشكال صليبية والنجمة الثمانية وغير ذلك من الأدوات الصناعية والفنون التي ظهرت في قصور القلعة قبل ظهورها في قصر الحمراء بالأندلس بثلاثة قرون[1]. بل يمكن القول أنّ المقرنص نموذجا لما ظهر فيما بعد في العالم الإسلامي. حيث عثر في القلعة على قطع حجرية مشكلة على هيئة شبكة تشبه خلية النحل استعملت في تزيين القصور الحمادية بطريقة فنية عجيبة، وهذا دليل على عبقرية الفنان الحماد وقدرته ليس فقط على التقليد، بل وعلى التجديد والابتكار أيضا في

(1)-Général L.De Beylié, **La Kalaa Des Beni Hammades**, **une Capitale Berbère De L'Afrique Du Nord Au XIe Siècle**, Pari,1909,P3.

جميع ألوان الفن والعمارة، كما انّه. ويبرز مدى حذاقة ومهارة صناع الحماديين وفنانيهم.

نماذج من الصناعات الخزفية

وليس هناك أصدق مما قاله ابن الفكون القسنطيني في وصف مدينة بجاية في قصيدة نختار منها الأبيات الآتية:

دع العراق وبغداد وشامهما ... فالناصرية ما إن مثلها بلد
برّ وبحر وموج للعيون به ... مسارح بان عنها الهمّ والنكد
حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع ... حيث الغنى والمنى والعيشة الرغد
فحيثما نظرت راقت وكلّ نوا ... حي الدار للفكر للأبصار تتّقد
إن تنظر البرّ فالأزهار يانعة ... أو تنظر البحر فالأمواج تطّرد
ياطالبا وصفها إن كنت ذا وصف ... قل: جنة الخلد فيها الأهل والولد

لقد كان في القلعة وبجاية وسائر مدن المملكة حرفيون وفنانون في شتى التخصصات الفنية والصناعية والمعمارية منها النقاشون والنحاتون والمزخرفون والمصورون والصاغة والصباغون والخراطون والخطاطون والنساجون والتَّرَّازُون والبنَّاؤون، والخَرَّازون والدباغون والنحاسون والخزافون، والخزافون. لقدترك هؤلاء الحرفيون من الأعمال والآثار ما يعكس وينم عن المهارة المهنية والإبداع الفني والذي تجلى بوضوح

في مختلف الصناعات والفنون الزخرفية، في عمائرهم العسكرية والمدنية والدينية مثل القصور والمساجد والأبراج التي زينت بالنقوش وزخارف حيوانية ونباتية، الكثير منها مايزال شاهدا على رقي وتطور هذه الحضارة التي خلدت أعمالهم، والبعض الآخر دُرِس تحت التراب، ولم يعد له ذكر إلا في كتب المؤرخين والرحالة الجغرافيين الذين انبهروا بما شاهدوه وبما سمعوا عن هذه القصور التي قيل أن جدرانها وشحت بزخارف وكتابات وصور ورسوم لونت بشتى الألوان، بل وبعضها كسيت جدرانها بالرخام الأبيض، ونقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب. وهو ما تؤكده أشعار أبو عبد الله مُحَمَّد بن حماد وابن حمديس وعبدالله مُحَمَّد بن حماد وأبو علي حسن بن الفكون، أن قصور القلعة وبجاية كانت آية من آيات الفن المعماري، وروضة من رياض الدنيا ببساتينها الغناء والفياحة، وساحاتها الفسيحة وبركها الكبيرة التي تجري بها الفلك والشراع كحوض قصر البحر بالقلعة، كل ذلك يبرز مدى اهتمام الحماديين بالطابع العمراني والمعماري على حد السواء بما في ذلك الجانب الإيكولوجي بمفهومنا المعاصر.

وليس ذلك فحسب، بل كانت هناك الكثير من الورشات الصناعية في مختلف المدن والحواضر الحمادية على رأسها حرفيون مهرة في مختلف الفنون والصناعات على غرار ورشات صناعة الخزف والزجاج والسباكة والنحت والنقش والزخرفة والكتابة والرسم، وغير ذلك من الورشات التي يدل على وجودها الكثير مما أخرجته مختلف الحفريات التي أجريت في القلعة بصفة خاصة، وهي الآن معروضة في قاعات المتاحف الوطنية، نستشف منها مدى اهتمام المملكة الحمادية بتطوير وترقية الفنون والعمارة تماشيا مع تطور الذوق الفني لدى الفرد الحمادي وخاصة النخبة منهم، وذلك إشباعا لمتطلبات أذواقهم الراقية ومواكبة لحياة البذخ والترف بفعل ما وصلت إليه الدولة من ازدهار وتطور، فامتلأت خزينتها ذهبا وفضة جراء الرواج الصناعي والتجاري، فكان من الضروري أن يصاحب ذلك التطور تطور الصنائع

والحرف بما يضمن تحقيق رغبات الطبقة المترفة بشكل خاص. ولكن البقاء لله والفناء لما سواه.

الخزف الحمادي

الخاتمة

خلاصة القول أن القلعة وبجاية وغيرهما من المدن الحمادية هي في الواقع كتابا مصورا مفتوحا لقراءة تاريخ وحضارة الدولة الحمادية، واستخلاص مضامين ثقافتها، وإعادة تقييم هذا الموروث الحضاري الذي يعكس بصدق مدى الاهتمام الذي كان يوليه أمراء الدولة الحمادية لتطوير وترقية مختلف الصناعات والفنون المعمارية، تماشيا مع تطور الذوق الفني لدى الفرد الحمادي، وخاصة الأمراء والنخب منهم، وذلك بفضل النشاط الصناعي والتجاري الذي بلغته المملكة، فامتلأت خزائن الدولة ذهبا وفضة، فكان من الضروري مصاحبة وموازاة لهذا التطور المادي أن ينعكس بدوره إيجابيا على مظاهر أخرى تتعلق بالجانب الثقافي والحضاري والاجتماعي، فانبثق عنها ذلك المشهد الحضاري والثقافي، الذي يتجلى من خلال مختلف المواقع الأثرية والمصَنَّعَات الحمادية في القلعة وبجاية وقسنطينة وغيرها من المدن التي مازالت تحتضن بقايا لحضارة انعكس إشعاعها على المحيط الخارجي للدولة، بل امتد إلى أقاليم

إسلامية بعيدة كالأندلس والمشرق الإسلامي، وأحدثت تأثيرا بفاعليتها في الحضارة العربية الإسلامية، ولكن البقاء لله والفناء لما سواه.

الملاحق:

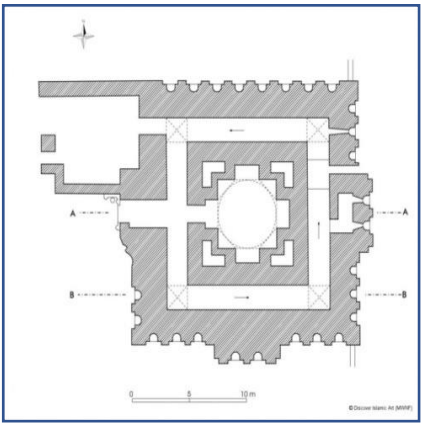

مخطط الطابق الأرضي لبرج المنار

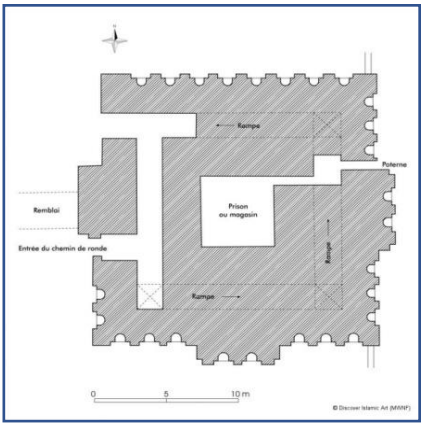

مخطط الطابق العلوي لبرج المنار

برج المنار ذو العمارة المميزة بالقلعة

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير(عز الدين أبي الحسن)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت 1967.

– ابن خلدون (عبد الرحمن)،**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مج 6/ القسم الأول ج11،دار الكتاب اللبناني بيروت 1981.

- ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان وليفي بروفانسال، دار الثقافة، بيروت ج363/1.

- ابن منظور، (جمال الدين أبي الفضل مُحَمَّد بن مكرم الأنصاري)، **لسان العرب**،تحقيق: عبد الله علي الكبير مُحَمَّد احمد، دار المعارف، ط3 ،القاهرة،1999.

- أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي بن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق ودراسة الهاشمي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر.

-الإدريسي (الشريف)، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، طبع في مطابع بريل، بليدن،1866.

-البكري (أبو عبيد)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر دوسلان 1857، الجزائر، مطبعة الحكومة.

- بونار (رابح)، **المغرب العربي تاريخه وحضارته**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1968.

- الحميري(مُحَمَّد بن عبد المنعم)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**،تحقيق: إحسان عباس، نشر مؤسسة ناصر للثقافة بيروت، ط2، 1980.

- الدفاع (علي بن عبد الله)، **العلوم البحثية في الحضارة العربية الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت 1983.

- عز الدين عمر موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلَامي خلَال القرن3 هـ**، دار الغرب الإسلَامي، بيروت، 2003م.

- راغب السرجاني، **ماذا قدم المسلمون للعالم (اسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية)**،ج2،ط4، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، مصر 2009م.

- عويس (عبد الحليم)، **دولة بني حماد**، ط1، دار الشروق، 1400 هـ/1980م.

- الكعاك (عثمان)، **بلاغة العرب في الجزائر**، نشر مكتبة العرب بتونس.

- الطمار (مُحَمَّد)، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.

- كرد علي (مُحَمَّد)، **الإسلام والحضارة العربية**، نشر هنداوي، ص207.

-مجهول مراكشي، **وصف إفريقية من كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر: M Alfred de

- المقري (احمد بن مُحَمَّد التلمساني)، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، ج2، دار صادر، بيروت 1388هـ/1968م.

- الهادي(روجي إدريس)، **الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في العهد الزيري**، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، دار المغرب الإسلامي،1992م.

- ياقوت (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، **معجم البلدان**، مج4، دار صادر بيروت، 1397هـ/1977م.

- معزوز (عبد الحق)، **قلعة بني حماد حاضرة المغرب الأوسط، كتالوج حول المراكز العمرانية الكبرى في المغرب الأوسط**،2007.

- معزوز (عبد الحق)، "المظاهر الزخرفية في الكتابات الحمادية"، **مجلة جمعية الأثريين العرب**، 2008م.

- معزوز (عبد الحق)، "العتاد العسكري للجيش الحمادي"، **مجلة مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط**، العدد5، 2014م.

- L.De Beylié(Généralà), La Kalaa Des Beni Hammades,une Capitale Berebère De L'Afrique Du Nord Au XIe Siècle,Paris Ernest Leroux.,1909.

-Golvin.L, **LeMaghrib Central à l'époque des Zirides**. **Recherches d'Archéologie et d'Histoire**,Patis. 1957.

-Golvin.L,Recherches Archéologiques à la Qal'a des Banu Hamamd, Paris,Maisonneuve & la Rose1965.

-Golvin.L, « Fouilles Archéologiques a la Qal'a des Banu Hammad »**Académie des Inscriptions &Belles-Lettres**,Comptes Rendus des Séances de l'Année 1962,Avril-décembre, Paris.1963, p391-401.

- M Alfred de Kremer, **Vienne**, (l'imprimerie impériale royale de cour et d'etat. 1852 .

-Roshdi Rashed, « *Fibonacci et les mathématiques arabes* », **Micrologus**,vol2, 1994, p145-160.

-- Aissani Djamil, **Bougie à l'époque Médiévale-les Mathématiques au Sein du Mouvement Intellectuel**.https://numerisation.irem.univ-mrs.fr/RO/IRO93001/IRO93001تم 2020 /10 /15الاطلاع في

- Jacques Meyer, « *FIBONACCI LEONARDO (1170 env.-env. 1250)*, **in Encyclopædia universalis** (تم الإطلاع في 2020/05/15).

- Meouak Mohamed، «Fortifications، habitats et peuplement entre Bougie et la Qal ʿa des Banū Ḥammād », ***Mélanges de la Casa de Velázquez***, 36-1 | 2006, 173-193. p. 173-193.

تم الاطلاع في: 2020/10/25

.https://journals.openedition.org/mcv/2597

واقع الحرف والصناعات التقليدية بالجزائر وسبل المحافظة عليها

منطقة البويرة نموذجا

الأستاذة الدكتورة محمودي ذهبية

معهد الآثار، جامعة الجزائر–2

تمهيد:

تعالج هذه الورقة البحثية موضوع واقع الصناعات التقليدية والحرفية في الجزائر –منطقة البويرة أنموذجا–حيث سأتطرق إلى أهم الحرف والصناعات التقليدية الموجودة بالمنطقة محاولة ابراز خصوصية كل صناعة بالبويرة مقارنة بمناطق الوطن ،خاصة ونحن نعلم جميعا أن هذه الصناعات متواجدة على المستوى الوطني بل في شمال القارة الافريقية جمعاء، وهي تشترك في خصائص ومميزات عديدة ،غير أن البيئة والإنسان والظروف خلقت التميز في بعض المناطق ،فأصبحت هذه الاخيرة تعكس بشكل جلي التراث الثقافي المتجذر لكل بلد.

ولتسليط الضوء على هذا الجانب من التراث المادي المنقول الموجود بمنطقة البويرة ومن جميع النواحي ،عمدت الى طرح عدة تساؤلات منها:

*ماهي أهم الصناعات التقليدية والحرفية التي تعكس تراث المنطقة؟ وما أهميتها؟

*ماهي أبرز المميزات الفنية لهذه الصناعات؟

*كيف هو واقع هذه الصناعات؟ وماهي الآليات المثلى للحفاظ على هذا الجزء الهام من تراثنا المادي في ظل العولمة؟

1-تحديد المفاهيم

-منطقة البويــرة:

أ-الموقع الجغرافي: تقع منطقة البويرة(ولاية البويرة حاليا) في وسط البلاد، إذ تعتبر همزة وصل بين الشرق والغرب ،الشمال والهضاب العليا وذلك بواسطة الطريق الوطني رقم 05 (الجزائر قسنطينة) والطريق الوطني رقم 18 (سور الغزلان- بوسعادة) وطريق السكة الحديدية الذي يربط الجزائر بقسنطينة، يحدها:

من الشمال ولايتي بومرداس وتيزي وزو، ومن الجنوب الغربي ولايتي المسيلة والمدية، ومن الغرب ولايتي البليدة والمدية، ومن الشرق والجنوب الشرقي: ولايتي بجاية وبرج بوعريريج[1].

الخريطة الإدارية لولاية البويرة

(1)- الخريطة الادارية لولاية البويرة .

ب–الجانب التاريخي:

إنّ أصل تسمية البويرة أو ثوبرتس باللغة الأمازيغية، تروى بشأنه عدة أساطير وروايات، فبالنسبة للتسمية العربية البويرة، تربطها هذه الأساطير بوجود بئر بالمنطقة كانت ترتوي منه الوحوش، وكل من اقترب منه تفترسه هذه الأخيرة، فأطلق عليها اسم **بئر ايرا** باللغة الأمازيغية وتعني بئر السباع، وأساطير أخرى تربطها بكثرة أراضيها الخصبة التي تركت بورا . كما ربطتها بعضها بمرور قافلة من المارين بالمنطقة ، وأثناء تواجدهم سألوا أحد أبناء رجل من المنطقة ،فأجابهم بلهجة محلية (بوي راح) أي أبي ذهب ،فحورت الكلمة وأصبحت البويرة.

ويقدم ياقوت الحموي تفسيرات أخرى، حيث قال: (البويرة تصغير البئر التي يستقي منها الماء، كما يذكر أيضا أن البويرة هو موضع بني النظير اليهود الذين غزاهم رسول الله ﷺ بعد غزوة احد بستة أشهر فاحرق نخلهم وقطع زرعهم وشجرهم، والبويرة أيضا موضع قرب وادي القرى مر بها المتنبي وذكرها بشعره، والبويرة موضع بجوف مصر)[1]

أما بالنسبة للتسمية الأمازيغية فلم نجد أي إشارة إلى أصل هذه التسمية في الكتب التاريخية، التي أسعفتنا الظروف للاطلاع عليها، مما اضطررنا إلى إجراء بعض الأبحاث الميدانية، حيث التقينا ببعض الشيوخ وأعيان المنطقة الذين زودونا ببعض المعلومات التي تداولوها أبا عن جد والتي غلب عليها الطابع الأسطوري، غير أنه شد انتباهنا المناقشة الحادة التي جرت بين أساتذة الملتقى الثاني لأعلام البويرة، حيث رأى أحد الأساتذة أن تسمية البويرة قد اشتقت من تسمية لشجرة مثمرة تدعى باللهجة

(1)- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، المجلد الثاني، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1906م، ص 310،311.

المحلية (ثوفيرست)،التي تعني فاكهة المشيمشة أو الزعرور، لتواجدها بكثرة في المنطقة، إذ شاطره الرأي جمع من الحاضرين الذين بلغوا من العمر عتية[1].

وعليه يرجح أن يكون هذا الاعتقاد أقرب إلى الصحة لتشابه اسم المنطقة واسم الشجرة المثمرة باللغة الأمازيغية ،خاصة وأن هذه التسمية تداولت بعد الفترة الإستدمارية.

أما في العهد الوسيط فقد عرفت منطقة البويرة بعدة أسماء منها: مدينة حمزة، سوق حمزة، وحائط حمزة ،حيث جاء ذكرها بهذه الأسماء في جل المصادر العربية[2].

2-تعريف الصناعات التقليدية والحرفية:

هي تلك الصناعات التي تقوم بمزاولتها فرد أو مجموعة أفراد لغرض انتاج أو تصنيع منتجات حرفية من المادة المحلية الطبيعية بالطرق التقليدية،بهدف استخدامها في الاحتياجات اليومية للأفراد أو المنشآت أو لغرض الاقتناء الدائم أو المؤقت ،ويعتمد الحرفي في عمله على مهاراته الفردية الذهنية واليدوية التي اكتسبها من تطور ممارسة للعمل الحرفي باستخدام الخامات الأولية المتوفرة في البيئة الطبيعية المحلية،كما تعتبر ميراث الاجيال نتيجة تراكم المعارف وتوارثها وتفاعل الحضارات الكبرى ،وهي عنصر هام في ابراز التراث الوطني ،وتعبر عن هوية شعب وثقافة أمة جذورها غائرة في التاريخ ،الى جانب ذلك أصبحت اليوم نشاطا اقتصاديا هاما ساهم ويساهم في التنمية الوطنية وتطورها[3].

---

(1)- **الملتقى الثاني لأعلام البويرة**، من تنظيم مديرية الشؤون الدينية لولاية البويرة ،24-25/ أفريل، سنة 2006م

(2)- ذهبية محمودي، **منطقة البويرة خلال الفترة الإسلامية-دراسة تاريخية وأثرية-رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية**، معهد الآثار،جامعة الجزائر-2-،2014/2013، ص29،22-33.

(3)-محبوب ين حمودة، "الصناعات التقليدية والحرفية في الجزائر :هل هي قابلة للإبداع التكنولوجي؟ "،مجلة إضافات اقتصادية، العدد الأول، أفريل 2017، ص 80،79.

وصنفت الجزائر الصناعات التقليدية والحرفية الى ثلاث مجالات وفقا للمادة 05 من الأمر 96/01 المؤرخ في1996/01/10المحددللقواعد التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف، وهي:

-الصناعات التقليدية والتقليدية الفنية: تنقسم إلى قسمين: تزينية ووظيفية وهي كل صنع يغلب عليه العمل اليدوي، يكون فيه الإبداع الفردي واضح وعادة ما يعكس الهوية.

-الصناعات التقليدية لإنتاج المواد: كل صنع للمواد الاستهلاكية، ما يطلق عليها اليوم الصناعات الصغيرة.

-الصناعات التقليدية الحرفية للخدمات: هي مجمل النشاطات التي تقدم خدمة خاصة بالصيانة أو التصليح أو الترميم الفني[1].

تجدر الاشارة أنه اعتمد يوم 09 نوفمبر من كل سنة كيوم وطني للحرفي، وبالضبط منذ سنة 2014،بعد أن كان يسمى اليوم الوطني للصناعة التقليدية، وذلك حتى يكون الاحتفال لكل الحرفيين دون استثناء أي حرفة أو نشاط[2].

3-أهمية الصناعات التقليدية والحرفية:

تكتسي الصناعات التقليدية والحرفية دورا مهما في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للبلدان المتقدمة او النامية على حد سواء، وذلك كونها:

- توفر مناصب الشغل وبالتالي توفير مداخيل للأفراد.
-المساهمة في الإنتاج الداخلي للبلاد.

(1)- الأمانة العامة للحكومة، الأمر رقم 01-96،المؤرخ في 1996/01/10،الجريدة الرسمية ،رقم 03،الصادرة في 1996/01/14م،الجزائر، ص4،5.

(2)- محبوب بن حمودة، مُحَمَّد بن قطاف، "مساهمات مؤسسات الدعم في تمويل مشاريع الصناعات التقليدية والحرفية بالجزائر"، مجلة دراسات في الاقتصاد والتجارة والمالية، مخبر الصناعات التقليدية لجامعة الجزائر-03-،مج05،العدد2016،02،ص255

-تحقيق التوازن الجهوي بين مناطق الوطن كون هذه الصناعة سهلة الانتشار لاعتمادها على موارد وخامات محلية.

-تثمين دور المرأة ،لأن معظم الحرف تمارسها المرأة.

-حفظ وصيانة ارث الأمة الحضاري ومكانتها الضاربة في أعماق التاريخ.

-وسيلة اتصال وتواصل بين أفراد المجتمع من خلال الرسائل المعبر عنها عن طريق الرسومات والأشكال والرموز، أو حتى الكتابات التي تزين بها مختلف هذه الصناعات.

-منبعا لتنمية المواهب والابتكارات والإبداعات.

-دعم القطاع السياحي ،بتحسين المداخيل السياحية[1].

4-أهم الصناعات التقليدية والحرفية بمنطقة البويرة:

تزخر منطقة البويرة برصيد هائل من الصناعات التقليدية والحرفية المتنوعة والمختلفة فرضتها بيئة المنطقة كالموقع الجغرافي والمناخ السائد، اللذين يؤثران بشكل مباشر في تحديد مادة وصناعة هذه المنتجات، اضافة الى الفرد القاطن بهذه المنطقة الذي تختلف انتماءاته العرقية ،فالمنطقة كما يعلم الجميع خليط من العنصر القبائلي والعنصر العربي ،وهذا التمازج خلق التميز للمنطقة، وسنذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض الصناعات التي عرفت منذ الحضارات الأولى للإنسانية ولازالت مستمرة الى يومنا هذا.

أ-صناعة الفخار:

يعد الفخار من أهم مصادر التوثيق التى تقيد المؤرخ في عالم الآثار، فهو مادة مميزة الصنع والتكوين، ليس ذلك فحسب بل هو أكثر المواد التي صنعها الإنسان بقاء، ولعل ذلك راجع لأن الفخار كان الأداة المستخدمة أكثر من أنشئ في العصور القديمة في متعلقات الحياة اليومية، فمن الفخار كانت تصنع أدوات الاستعمال

(1)-نفسه،ص 50-57

اليومي والأواني اللازمة لحفظ الأطعمة والسوائل والحبوب بالإضافة لأدوات الزينة كما كانت تشكل من الفخار الدمى الصغيرة لأغراض دينية، وبذلك تصبح المعثورات الفخارية مصدراً هاماً في التعرف على تفاصيل الحياة اليومية لشعب من الشعوب، والتعرف على مظاهر التقدم والمدنية لديهم بما تحويه من زخارف، إذ يعتبر من أهم الآثار التى ترشد الأثري عن وجود استيطان بشرى، لأنه من أكثر الأدوات استخداما في الحياة اليومية بالمنطقة التي يعثر بها على المصنوعات الفخارية، وذلك لارتباط الفخار بالاستقرار البشري لاستخداماته كأواني للطعام أو الشراب وفي أغراض حياتيه أخرى، أضف إلى ذلك أهميه الفخار كمصدر فى التعرف على تفاصيل الحياة اليومية للإنسان في العصور القديمة ومظهراً من مظاهر التقدم والمدنية لديهم بما تحويه من زخارف[1]، ويعلم الجميع أن هذه الصناعة عرفتها جميع مناطق الوطن لتوفر المادة الطينية ،مما أدى الى وجود العديد من الورشات الانتاجية التي تهتم بهذه الصناعة ،ومنطقة البويرة برع حرفيوها في تشكيل العديد من الأواني الفخارية ،خاصة في الجهة الشرقية منها ،اين يقطن العنصر القبائلي، اذكر على سبيل المثال لا الحصر منطقتي امشدالة وآيت العزيز، وهذا لا يعني أنها تختلف عن الصناعات التي يصنعها العنصر العربي ،حيث تشترك في أمور كثيرة، الفارق الوحيد يكمن أحيانا في الزخارف التي هي نتاج المحيط التي تنتج فيه الآنية.

-الامتداد الجغرافي لصناعة الفخار بالمنطقة:

تعرف الصناعة الفخارية في ولاية البويرة على حيز واسع، فجل النواحي تتواجد فيها منازل لحرفيين أو ورشات تهتم بهذه الصناعة ، فمن الناحية الشمالية تعد

(1)-G.Camps .**Aux origines de la Berbéris**:**monuments et rites funéraires protohistorique** ,**Arts et métiers graphiques** ,Paris ,1961

محطة عمر أهم المناطق التي تهتم بهذه الصناعة إلى جانب الغربية من الولاية ، بلدية عين العلوي ، ورشة بزيت الواقعة بآيت لعزيز.

الناحية الشرقية: بلدية الأصنام، بشلول، وفي مقر الولاية على الطريق المؤدي إلى المحطة البرية للولاية تقع ورشة للصناعات التقليدية الفخارية (خندريش)[1].

-الأواني الفخارية و استعملاتها بمنطقة البويرة:

الآنية	استعملها
- طاجين الحصبة	- لطهي الخبز
- طاجين المسرح	- لطهي الفطير والمذكر، الغرايف.
- الجفنة	- لإعداد الطعام والعجين.
- الصحون	- تخصص لتناول الطعام.
- أفوقال (القدح)	- يخصص للحليب، الماء.
-أبو يدو	- يخصص للمرق في الحفلات والأعراس.
- تاسيلت،القدر	- لطهي الكسكس والمرق.
- القدر الصغير	- لطهي الشربة.
-المصباح اوالقنديل	- يستعمل لوضع الشموع بمناسبة الزواج و الختان.
- المصباح الزيتي (الكنكي)	- يوضع فيه الزيت ويدخل فيه القماش وتشعل فيه النار بهدف الإضاءة - تستعمل لجمع المياه.حاليا هناك من يستعملها لخزن الطعام و السميد.
- تسبالت، القلة.	- حجمها كبير جدا، تشكل بالتراب العادي فاتح اللون+فضلات الحيوانات يعجن بالماء وبعد ان يجف يعرض لأشعة الشمس، يطلى بالطين الأبيض أو ما يعرف بتومليلت أو البياضة، وتزين بالنقوش. ترفع بواسطة الحبال- عمل الرجال - وتوضع فوق مسطبة.
-ثاكوفيت(المخزن) - تاشباليت (الشبرية أو الجرة)	-أذوكان مخصصة لتخزين:القمح، الشعير،الفول المجفف، بذور التين (للحيوانات). - تخصص لجمع الزيت تصنع بمادة الطين (أقلال) وهو نوع من الطين

(1)- مديرية الثقافة لولاية البويرة ، بحث ميداني حول الصناعات التقليدية، مصلحة التراث الثقافي،2005م

-تيسرت (الرحى)	الذي لا يمتص الزيت. - تنجز من حجرة الواد (أزرو الفاسخ)عبارة عن البلاطات تشتهر بهذه الصناعة منطقة تيزي وزو تنجز باستعمل مطرقة حديدية، يدها من الخشب تستعمل في طحن القمح[1].

فخار من منطقة ذراع الميزان بتيزي وزو عن/...L'art populaire

زخارف متنوعة على فخار من القبائل الكبرى عن/...L'art populaire

(1)- مديرية الثقافة لولاية البويرة، بحث ميداني حول الحرف والصناعات التقليدية، مصلحة التراث الثقافي، 2005م.

فخار من منطقة البويرة عن/مديرية الثقافة لولاية البويرة

أواني فخارية متنوعة من منطقة البويرة عن/مديرية الثقافة لولاية البويرة

ب–صناعة الحلي الفضية:

عرف استعمل الحلي في بلاد النهرين قبل غيرها من البلدان ،فكان الرجال والنساء يتقلدون القلائد في أعناقهم ويزينون معاصمهم بالأساور، وأذانهم بالأقراط ،وأصابعهم بالخواتم ،فكانت بابل القديمة مصدر انتاج وصناعة الحلي ،كما عرفت فن الحفر على الأحجار الكريمة ،والجدير بالذكر أن لكل بلد أنواعا خاصة من الحلي

تعكس ذوقهم ومهارتهم الفنية وعاداتهم ،كما تبرز الحلي أذواق الناس والمفهوم الجمالي وميولهم الروحية وإمكانياتهم المادية ،حيث كانت تقدر الثروة في الماضي بمدى كمية المجوهرات التي ترتديها المرأة في مناسبات الأفراح المختلفة.

كما عرفت صناعة الحلي في العصر الإسلامي تطورا كبيرا ،وقد اطنب المقريزي عند كلامه عن خزائن الفاطميين في ذكر ما كانوا يحتفظون به من الأواني الذهبية والأحجار الكريمة والحلي[1].

أما في الجزائر فقد اشتهرت منطقة بني يني بتيزي وزو والأوراس والتوارق بصنع الحلي الفضية، وسارت على نهجهم منطقة البويرة متأثرة بهم كثيرا ،حيث نجد المناطق الجنوبية والغربية لمنطقة البويرة تصنع، أو تتداول بها الحلي الفضية التي تشبه كثيرا حلي الأوراس، في حين نجد المناطق الشرقية والشمالية تصنع بها الحلي الفضية التي تعود الى منطقة بني يني بتيزي وزو، وأحيانا يمزج بين الأنواع الثلاثة[2]*.

-تاريخ الحلي التقليدية بالبويرة:

لم تكن صناعة الحلي الفضية معروفة بمنطقة البويرة ،بل كانت النساء تتزين بما كانت تقتنيه من الباعة المتنقلين، الذين كانوا يأتون من المناطق المجاورة، أو بما كان يصنعه الأجانب الذين استقروا بالولاية، حيث يقال أن امرأة يهودية استقرت بمركز الولاية ، فحظيت النساء بفرصة التعامل معها وشراء الحلي الفضية من عندها لتتزين بها في مختلف مناسبات الافراح.

---

(1)- فريدة قدور، مساهمة الحلي التقليدية في التنمية بمنطقة تلمسان، **مذكرة لنيل شهادة الماجستير في انثروبولوجيا التنمية**، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، تلمسان ،2012/2011،ص77.

*-هذا ما استنتجناه من خلال أبحاث ميدانية، أجريت من طرف باحثين بمديرية الثقافة لولاية البويرة سنة 2005م.

كما عرفت المنطقة تاريخيا بسوق السبت[1]، حيث أهلها موقعها الاستراتيجي أن تكون محطة تجارية هامة، كونها تقع في مفترق الطرق الرابطة بين ولايات الجهات الأربع، مما سهل على قاطنيها فرصة اقتناء حاجياتهم ولوازمهم اليومية من الباعة الآتون من مختلف المناطق المجاورة ،بما في ذلك اقتناء النساء للحلي الفضية ،سواء تعلق الأمر بالحلي الفضية الخاصة بمنطقة الأوراس التي تختلف كلية عن فضة بني يني سواء في الشكل أو الألوان، أو طريقة الصنع، فالأولى صناعة يدوية بحتة وخالية من الألوان ،أما الثانية فهي حلي مقولبة متعددة الالوان ،يغلب عليها الألوان التالية: الأصفر، الأخضر، الأحمر، والأزرق الذين يرمزون إلى الطبيعة ،اضافة الى الحلي التقليدية المصنوعة من القرنفل والمسك والعنبر والتي يطلق عليها اسم السخاب المشهورة لدى منطقتي المسيلة وبوسعادة.

كما يعود الفضل أيضا لنساء منطقة تيزي وزو اللواتي تزوجن بمنطقة البويرة، حيث منحن الفرصة للمرأة البويرية أن تتزين ببعض حلي منطقة بني يني المشهورة عالميا بهذا النوع من الصناعة.

ومع مرور الوقت أصبحت صناعة الحلي بمنطقة البويرة مصدر رزق للكثير من العائلات، حيث عزز(بضم العين) تواجد هذه الصناعة بفتح مركز لتعليم هذه الحرفة سنوات السبعينات بمقر الولاية، مما شجع العديد من الشباب امتهان هذه الحرفة ،كونها باتت مصدر من مصادر الرزق الهامة.

ان صياغة الفضة، حرفة ثرية في التصاميم، حيث ترتكز على القيمة الشكلية والتشكيلية لما تحمله من دلالات ورموز في اللون والشكل ومجمل الرموز تشهد بما لا يدع مجالا للشك بأن سكان ولاية البويرة كغيرهم من سكان الجزائر انصهروا وتجاوبوا وتلاقحوا مع ثقافات عديدة اغنت تراثهم بشكل ملحوظ.

(1)- ذهبية محمودي، المرجع السابق، ص 56،57.

تجدر الاشارة الى السعي الحثيث من أجل جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن نماذج لحلي فضية قديمة كانت معروفة بالمنطقة، إلا أن عامل التجديد أثر كثيرا على هذه الحرفة اليدوية كون النساء كانت تقوم بإعادة صياغة الاشكال حسب التطور ،لذلك تعذر علينا الحصول على اشكال تعود الى الفترات العتيقة للمنطقة، إلا ما وجد عند بعض العجائز اللواتي حافظن على هذا الموروث الهام[1].

مدور من الاطلس الصحراوي مدور لشد اللحاف من القبائل الكبرى

عن/...L'art populaire

اسورة فضية من القبائل الكبرى اسورة فضية من منطقة المدية

عن/...L'art populaire

(1)- عزيزة بن زيد، ملحق بالحفظ والإصلاح، مصلحة التراث، مديرية الثقافة لولاية البويرة، بتاريخ 2019/06/05م.

قلادة السخاب من البويرة طاقم من الفضة من البويرة

عن/مديرية الثقافة لولاية البويرة

نماذج من حلي فضية من البويرة عن/مديرية الثقافة لولاية البويرة

ج–حرفة الخياطة(جبة أهل القصر):

تعتبر الجبة القبائلية السوداء من بين الفساتين التي تعتز بها نساء أهل القصر الواقعة شرق مدينة البويرة، إذ لا يخلو بيت من هذا اللباس التقليدي الاصيل، الذي يحتل مكانته منذ عصور، حيث لا يمكن لأي فتاة قبائلية الاستغناء عنها رغم رياح العصرنة ،والتي تتماشى مع الذوق العام للزبائن المحبين للتغيير والتجديد على الدوام ،ولعل ما يشد الانتباه في الجبة القصراوية التي عادة ما يرافقها الحزام الصوفي المتعدد الألوان ،والذي يتعدى طوله أزيد من مترين ،الذي يشد وسط المرأة والمتجانس من

الحاشيات مختلفة الأحجام والألوان والأشكال، امتزج مزيج بريق شكلها بألوان الطبيعة الجبلية، التي اقتبست منها ،حيث يعتمد عليها الحرفيات لإعطائها الميزة الخاصة بأهل القصر.

تحتل جبة أهل القصر الصدارة من أنواع الجبات القبائلية بولاية البويرة، بعدما عرفت رواجا كبيرا عبر مختلف مناطق الولاية وخاصة الشرقية منها نظرا لنوعية القماش المستعمل، واللون الأسود والحاشيات المعتمدة في خياطتها، والتي تضم عدة ألوان داكنة مثل: الأحمر، البرتقالي، الأصفر والأزرق وغيرها من تدرجات ألوان عدة، هذه الجبة التي تتفنن فيها الحرفيات، تلبسها العروس خلال اليوم الثاني بدون الحلي الفضية، وتعيد ارتدائها في اليوم السابع من زواجها[1].

جبة أهل القصر السوداء من أحد المعارض بولاية البويرة

(1)- سميرة لكحل، الجبة القبائلية السوداء ارث ثقافي توارثه نساء أهل القصر بالبويرة ولا يمكن الاستغناء عنه،2018/08/13،الموقع الالكتروني dzayerinfo.com

أما عن اللوازم التي تتطلبها هذه الجبة، فتتمثل في ثمانية (08)أمتار من القماش الاسود، ومائتين(200) مترا من الحاشيات المختلفة الألوان ،تستغرق خياطتها مدة أسبوع ،وتجاوز سعرها آلاف دينار جزائري[1].

أما عن استخدام اللونين الأسود والأحمر-حاليا تستعمل ألوان عديدة- فيربطها أهل المنطقة بأسطورة لالة ملاوة، حيث يحكى أن لالة ملاوة أميرة انتحرت بعد رفض والدها تزويجها من أمير خلال العصور الوسطى، وتقول الاسطورة المتداولة بين السكان أن عدم موافقة والدها على الزواج من الأمير المذكور جعلها تهرب الى الجبال مع عشيقها، حيث عاشت معه عدة أيام،قبل أن يتم القبض عليها من قبل والدها وإرجاعها الى المنزل لمعاقبتها عما اقترفته في حق العائلة التي دنست شرفها، لكنها فظلت لالة ملاوة الانتحار عن عقاب والدها ،مما أثار شفقة السكان وحزنهم عليها، ومنذ تلك الفترة والى غاية اليوم أصبحت المرأة القصراوية ترتدي الجبة باللون الأسود والأحمر، حتى في موسم الأعياد والأفراح، وفاء وتذكارا للأميرة لالة ملاوة[2].

5-الصناعات النسيجية(الزرابي):

تعد هذه الصناعة احدى فروع الصناعات النسيجية التي احتلت مكانة كبيرة في المجتمع الجزائري سواء البدو منهم أو الحضر، وكل منطقة من مناطق الوطن امتازت بنوع من الزربية فرضته نوعية المادة الأولية المتمثلة في مادة الصوف، اضافة الى تقنيات النسيج ،الشكل الحجم، حسن استخدام الألوان، الروسومات والرموز المستعملة، ومن

(1)-نفسه

(2)-فاطمة عكوش، مهرجان الجبة القبائلية لإحياء أسطورة لالة ملاوة،05/20/ الموقع الالكتروني:

المدن المعروفة بتميز زرابيها نذكر: بسكرة، الأغواط، غرداية، معسكر، منطقة قرقور بسطيف، وتلمسان[1].

أما منطقة البويرة فمعروفة بزربية قرومة[2]*،التي تتميز بحياكتها الخاصة وأشكالها المتميزة، فهي تعرف بزخرفة اليشبور وهي عبارة عن خطوط منكسرة ،حيث تنسج عل شكل خطوط متوازية تفصل بينها خطوط أخرى خالية من الزخرفة، تتناوب في معظم الحالات مع ما يسمى بحلوة العسل(المعروفة بزخرفة المقروطات محليا)، كما تستعمل الألوان حسب الذوق.

تمتد هذه الصناعة على حيز واسع من ولاية البويرة. فتقريبا كل مناطق الولاية لا تزال تمارس هذه الصناعة، رغم التنافس الذي فرضته توفر الأفرشة العصرية، غير أن ذلك لم يمنع من تواصل هذه الصناعة ،كون العروس البويرية خاصة بالمناطق الريفية، فالعروس مطالبة بها في جهازها، مما ساعد على الحفاظ على هذه الصناعة أو الحرفة[3].

الصناعة النسيجية بمنطقة البويرة عن/مديرية الثقافة

(1) Ministère de la culture ,Musée nationale des arts et traditions populaire, l'art populaire, acquisitions2003/2004 ,p62-65

*(2)-قرومة هي احدي بلديات دائرة الاخضرية الواقعة شمال ولاية البويرة.

(3)- مديرية الثقافة لولاية البويرة، بحث ميداني حول الصناعات التقليدية، مصلحة التراث الثقافي، 2005م

زربية عين الحمام بتيزي وزو زربية بسكرة زربية باربارة بخنشلة

عن/**L'art populaire**

6-واقع هذه الصناعات:

هي في طريقها الى الاندثار، وإذا لم نتخذ الاجراءات اللازمة ،ستصبح هذه الاخيرة في خبر كان ،لأسباب عديدة منها ما يلي:

- النظرة الدونية لأرباب الحرف ،أدت الى اعراض الأجيال الجديدة عن ممارسة هذا النشاط.
- صعوبة الحصول على محلات لممارسة الحرفة المرغوب فيها.
- ضعف الموارد المالية وصعوبة الحصول على القروض، مما أدى الى هجرة العاملين الى مجالات أسهل.
- قلة عدد السواح الوافدين الى الجزائر مما أثر على المبيعات.
- اهمال الجانب التسويقي .
- ندرة البحوث والتوثيق والتسجيل للحرف والصناعات التقليدية ،أدى الى عدم وجود قاعدة بيانات عن هذه الأخيرة.

7-المميزات الفنية لهذه الصناعات:

لقد لاحظنا من خلال النماذج المدروسة من مختلف الصناعات تنوع الاشكال والرموز التي زينت بها هذه الأخيرة ،وبكل تأكيد لم يكن استعملها صدفة، بل تحمل

بين جنباتها معاني كثيرة ،أجزم قاطعة أن حرفيي اليوم لا يعرفون مغزاها، وعليه سأحاول أن أعطي معنى كل رمز من الرموز وفق دراسات علمية، لأني أنا شخصيا عندما كنت موظفة بمديرية الثقافة لولاية البويرة وقمنا بأبحاث ميدانية في هذا المجال ، فوجئنا بجهل المرأة الممارسة لهذه الحرف لمعاني الاشكال والرموز المجسدة على هذه الصناعات وبمختلف التقنيات ،معللة ذلك بتوارثها عن الأجداد والآباء، اذن من بين الاشكال والرموز نجد على سبيل المثال لا الحصر :

-**حلوة العسل**: ترمز الى الحلاوة والعذوبة والصحة والسعادة والقوة والجمال والطيبة، وعادة ما يستعمل هذا الرمز بكثرة في زربية العروسين وفي الحلي الفضية.

-**جدار التين**: رمز لحسن الجوار والتفاهم، راج في صناعة الزرابي والحلي والفخار.

-**السرطان**: رمز للسحر والشعوذة، استعمل بغرض تفادي الحسد والشر.

-**الضفدع**: ايضا رمز للسحر وإبعاد العين الشريرة.

-**المشط**: يرمز به للمذراة وهي أداة فلاحية، كما يرمز للمشط المستعمل لتسريح الشعر فهو وسيلة للتجميل.

-**مصباح**: رمز النور والوضوح.

-**رأس الحمار**: هو رمز الكره والضغينة والخلافات والمعاناة الاليمة، استعمل خاصة في النسيج

العقرب: رمز للانتقام والأخذ بالثأر.

-**كرسي الزوجين**: هو مجلس المرأة والرجل، وهو يرمز الى المحبة وتبادل الاحترام والتفاهم، الخطان يرمزان إلى الكرسي والمعينين الى المرأة والرجل.

-**الثعبان**: يرمز للخفة والنشاط والرشاقة ،يستعمل بكثرة في بداية ونهاية الزرابي ،ويرمز ايضا الى ابعاد الارواح الشريرة.

-**اشارة+**:رمز للجهات الاربعة.

-**اكوفي**: رمز التوفير والادخار للأغذية كالقمح والشعير والزيت.

-**المرأة**: الخصوبة والاستمرارية والعطاء.

كما ذكرت سابقا توجد هذه الرسوم بكثرة في جل الصناعات التقليدية الحرفية على شكل رسوم ،تستعمل بطريقة عفوية عند البعض لغرض تزييني بحت، ولو اهتم الحرفيون بمعانيها وتعمقوا في أسرارها لاستمتعوا بسفر يكتشفون من خلاله تطور الفكر الانساني عبر التاريخ، هذا التاريخ الذي يعد جزءا هاما من شخصية الانسان مهما كان انتماءه[1].

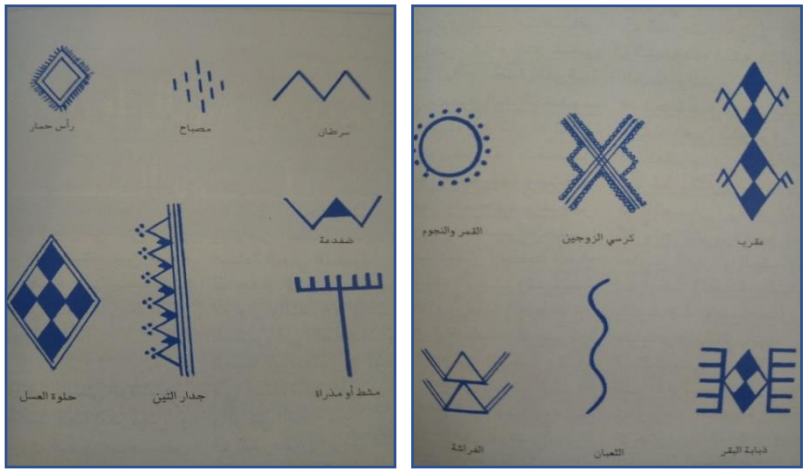

أشكال زخرفية متنوعة على مختلف الصناعات التقليدية عن/خريفي صالحة

(1)-صالحة خريفي،" الرموز الأمازيغية في شمال افريقيا من آكوفي الى حلوة العسل" ، مجلةالثقافة، العدد 12، وزارة الثقافة،12/جوان/2007م،ص 103،104. أنظر أيضا عن الزخارف على الفخار HassibaAbbassene, artisanat en Kabylie ,édition elamel,2009,p55

8-سبل وآليات الحفاظ على هذه الصناعات والحرف:

*اكساب الحرفيين والحرفيات مهارات التطوير من حيث التصميم وجودة الإنتاج وإخراج الألوان، وذلك بإدماج الأدوات التكنولوجية لتفعيل التدريب والإبداع.

*التعامل مع الانترنت من خلال نوعين من المواقع:

-مواقع تسويقية، بغرض الترويج للحرفة ،وكذا المعلومات الضرورية لتسهيل عملية التواصل للمتاجرة عن طريق الانترنت.

-متاحف افتراضية: تكون متخصصة في مختلف الصناعات، وذلك بعرض صور بطريقة مشابهة لما يعرض في المتاحف ،تكون هذه الأخيرة مخصصة لكل مادة من مواد هذه الحرف ،كمتحف للفخار، للحلي...الخ.

- محاربة المنتوج المقلد القادم خاصة من الصين ،والذي يستخدم في انتاجه تكنولوجية متطورة[1].

- انشاء جامعة مستقلة تهتم بهذا الجانب على غرار الجامعة الاقليمية للحرف والفنون بفرنسا، ومركز التنمية الحرفية بالحديدة باليمن، وتجربة مصر في ربط الصناعات الحرفية بالجامعة.

- انشاء مخابر بالجامعات الوطنية كمخبر الصناعات التقليدية بجامعة الجزائر-3-،وهو المخبر الوحيد على المستوى الوطني.

- منح الاستقلالية الكافية لإدارة الجامعات والكليات للمبادرة في اتخاذ القرارات بتنظيم التظاهرات الكفيلة بربط الجامعة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

(1)-محبوب بن حمودة، "النظام الضريبي المحلي أسلوب فعال لدعم الصناعات التقليدية والحرفية في الجزائر"، مجلة دراسات في الاقتصاد والتجارة العالمية، مخبر الصناعات التقليدية لجامعة الجزائر-3-،العدد 10،2012م،ص 17.

– استحداث تخصصات جديدة في كليات التسيير وإدارة الأعمال، تعنى بإدارة مؤسسات الصناعات التقليدية والحرفية[1].

على مستوى الطلبة:

–تحفيز الطلبة على المشاركة في معارض الصناعات التقليدية والحرفية داخل الجامعة بإحياء المناسبات الوطنية والمحلية.

–حث الطلبة على القيام بأبحاث علمية جادة في هذا المجال.

–خلق روح المقاولاتية لدى الطالب من خلال حثه على انشاء مؤسسته الصغيرة، بدلا من التمسك بفكرة الحصول على الشهادة الجامعية والبحث عن منصب عمل[2].

على مستوى المناهج التعليمية:

على الجامعة الجزائرية ومن أجل مواكبة مستجدات العصر تبني المفهوم الحديث للمناهج التعليمية ،والذي يرتكز على مفهوم الأنشطة ،لجعل الطالب عنصرا فعالا في العملية التعليمية من خلال ادراج الصناعات الحرفية في المناهج الدراسية ما قبل الجامعة والجامعة من خلال التأكيد على ضرورة ممارسة المتعلم النشاطات الابداعية والفنية.[3]

(1)–رفيقة حروش،"تصور الجامعة لتطوير الصناعات التقليدية والحرفية "، مجلة دراسات في الاقتصاد والتجارة العالمية، مخبر الصناعات التقليدية لجامعة الجزائر–3–،مج 05، العدد02 ، 2016م،ص 314-317.

(2)–نفسه، ص 318.

(3)–نفسه، ص 319.

خاتمة:

تزخر منطقة البويرة كغيرها من مناطق الوطن ،بعديد الحرف و الصناعات التقليدية ،بعضها لازال يمارس لتوفر المادة وكثرة الطلب عليه ،والبعض الآخر في طريقه الى الزوال، وإذا لم يدق ناقوس الخطر لإنقاذه سيضيع جزء هام من هويتنا الوطنية.

ان عملية بث الوعي بأهمية هذا التراث المادي ،يتطلب ارادة سياسية قوية كفيلة بإرجاع الأهمية لهذه الحرف والصناعات ،وذلك بالتشجيع المادي للحرفيين ،وتوفير كل المتطلبات لممارسة هذه الحرف ،باعتماد تكوين جاد يعتمد على الابداع الفني بالدرجة الأولى ،لأنه وسيلة يجذب السياح ويحسن التنمية الاقتصادية للبلاد، كما يجب ادخال التكنولوجيات الحديثة لتعزيز القدرات الصناعية والفنية لدى الحرفي.

المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

- الحموي (ياقوت) ،معجم البلدان ،المجلد الثاني ،ط1،مطبعة السعادة ،مصر،1906م

ب-المراجع:

-الرسائل الجامعية:

- محمودي(ذهبية)، منطقة البويرة خلال الفترة الاسلامية-دراسة تاريخية وأثرية-رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر-2-، 2014/2013.

- قدور(فريدة) ،مساهمة الحلي التقليدية في التنمية بمنطقة تلمسان، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في انثروبولوجيا التنمية، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، تلمسان ،2012/2011.

-المقالات:

- الملتقى الثاني لأعلام البويرة، من تنظيم مديرية الشؤون الدينية لولاية البويرة ،24-25/افريل ،سنة 2006م.

- بن حمودة (محبوب)، "الصناعات التقليدية والحرفية في الجزائر: هل هي قابلة للإبداع التكنولوجي؟ "، مجلة إضافات اقتصادية، العدد الأول، أفريل 2017.

- بن حمودة (محبوب) ،"النظام الضريبي المحلي أسلوب فعال لدعم الصناعات التقليدية والحرفية في الجزائر"، مجلة دراسات في الاقتصاد والتجارة العالمية،مخبر الصناعات التقليدية لجامعة الجزائر-3-،العدد 10،2012م.

- بن حمودة(محبوب) ، مُحَمَّد بن قطاف، "مساهمات مؤسسات الدعم في تمويل مشاريع الصناعات التقليدية والحرفية بالجزائر"، مجلة دراسات في الاقتصاد والتجارة والمالية، مخبر الصناعات التقليدية لجامعة الجزائر-03-،مج05،العدد02،2016م.

-حروش (رفيقة) ،"تصور الجامعة لتطوير الصناعات التقليدية والحرفية "، مجلة دراسات في الاقتصاد والتجارة العالمية، مخبر الصناعات التقليدية لجامعة الجزائر-3-،مج 05،العدد02 ،2016م.

- خريفي (صالحة)،" الرموز الأمازيغية في شمال إفريقيا من آكوفي الى حلوة العسل"، مجلة الثقافة، العدد 12، وزارة الثقافة، 12/جوان/2007م.

-مواقع الأنترنت:

-لكحل (سميرة) ،الجبة القبائلية السوداء ارث ثقافي توارثه نساء أهل القصر بالبويرة ولا يمكن الاستغناء عنه،2018/08/13،الموقع الالكترونيdzayerinfo.com

- عكوش (فاطمة) ،مهرجان الجبة القبائلية لإحياء أسطورة لالة ملاوة،05/20/ الموقع الالكتروني لbechloul.info

- مراجع أخرى:

- الأمانة العامة للحكومة، الأمر رقم 01-96،المؤرخ في 1996/01/10،الجريدة الرسمية ،رقم 03،الصادرة في 1996/01/14م،الجزائر

- بن زيد (عزيزة):الحلي الفضية بولاية البويرة، مصلحة التراث، مديرية الثقافة،2019م

- بلدية البويرة، الخريطة الادارية لولاية البويرة

-مديرية الثقافة لولاية البويرة ، بحث ميداني حول الصناعات التقليدية،مصلحة التراث الثقافي،2005م.

-المراجع باللغة الاجنبية:

-Abbassene(Hassiba),artisanat en Kabylie ,édition elamel,2009.

-Camps)G ،) Aux origines de la Berbéris : monuments et rites funéraires protohistorique, Arts et métiers graphiques ,Paris ,1961.

-Ministère de la culture, Musée nationale des aets et traditions populaire, l'art populaire, acquisitions2003/2004.

استخدامات الرخام في الألواح التذكارية بمدينة الجزائر خلال العصر العثماني

الأستاذ الدكتور سعيد بوزرينة

المركز الجامعي نور البشير بالبيض – الجزائر

كانت الاستعملات الرّخامية بمدينة الجزائر في العهد العثماني واسعة وشاسعة، خاصة في مجال العمارة، تتمثل في درجات السلالم والبلاطات الأرضية والأعمدة والتيجان وأطر الأبواب والمنابر، إلى جانب استعمله في شواهد القبور والألواح الخاصة بالكتابات التذكارية – التأسيسية.

- **تعريف الرخام:**

كانت العرب تقول للشاة إذا ابيضّ رأسها وأسود سائر جسدها الرخماء، كما أن الترخيم هو تليين الصوت وترقيقه. وبناء على هذا فإن الرّخام اشتق اسمه من هاتين الخاصيتين، البياض واللّين[1]، وأطلق كل من الإغريق والمصريين القدامى والرومان على الرخام اسم "مارمور" وقصدوا به المادة القابلة لأن تصبح ناعمة[2]. وهو حجر مكلس صلب يتكون من كربونات الكالسيوم المتبلورة الموجودة في الطبيعة، أو من بلورات معدن الكليست أو "Métamorphoses" الدولوميت، وبواسطة عملية "الانمساج" أو التحول للصخور الكلسية بسبب ضغط أو ارتفاع درجة الحرارة في باطن الأرض، يفقد الكلس خصائصه ويتحول إلى بلورات كلسية، بحيث تضيق المسامات التي كان يحتويها قبل التحول، وبهذا يصبح أكثر مقاومة.

(1) جمال الدين ابن منظور ، **لسان العرب**، مادة "رخم" ،ج15، ط01، دار صادر، بيروت ،1992، ص126

(2)-Lambertie (R.M), L'industrie de la pierre et du marbre, presse universitaire de France, 1962 .p29.

يتكون الرّخام أساسا من عناصر كلسية تحت ضغوط كبيرة في طبقات السفلى للأرض غالبا ما يوجد بلون واحد ناصع البياض، كما تتغير ألوانه، منها الوردي والأصفر والأحمر والأسود، أهم ما يمتاز به الرّخام، الدّقة في الجزيئات، الصلابة، فقد يبلغ مقاومة الضغط حوالي 3000سغ/سم^2 كما أنّه جد مقاوم للتأثيرات المناخية[1].

كانت الصناعات في مدينة الجزائر، ممثلة في الوحدات النقابية، تمتهن الحرف اليدوية التقليدية، حيث نجدها متمركزة في نهجي باب عزون وباب الوادي[2]، ومن بين النقابات الحرفية نجد نقابة الرّخامين، التي اقتصرت مهمتها في تشكيل وزخرفة بعض الأشكال البسيطة، منها الألواح التذكارية .

ومن بين مصادر استيراد الرّخام إلى مدينة الجزائر، التبادل التجاري مع تركيا والجمهوريات الإيطالية، وبالضبط مقلع كرارة (Carrara)، الشهير برخامه الأبيض، وإلى بعض القطع الرخامية التي كانت تغتنم في المعارك البحرية الحربية[3]، وقد تكون كهدايا أرسلت في شكل منتجات فنية إلى سكان شمال إفريقيا مقابل الخدمات الجليلة التي تقدمها الأساطيل العثمانية لتلك الدول[4] .

وكانت تتم عملية استزاد القطع الرخامية، وفق الوظيفة والحالة المستعملة لها، حيث تجلب وهي على هيئة قطع أو كتل تتم تنقيتها وزخرفتها حسب المكان الموجّهة له، وتتطلب عملية تثبيت دقيقة ومتناسقة في الأماكن المستعملة فيه، وتتم زخرفتها

---

(1)-Foucault (A),Raoult (J. F .)Dictionnaire de géologie, Paris, 1996 , p208.

(2) – عبد القادر نورالدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، الجزائر، 1965، ص127-129.

(3)-Marçais (G.), **L'architecture musulmane d'Occident**, Paris, 1954,p.44

(4) – علي خلاصي، **قصبة الجزائر (القلعة وقصر الداي)**، رسالة الدكتوراه الحلقة الثالثة، الجزائر، 1985، ص324.

من قبل فنانين محليين أو أسرى مسيحيين أو أن تجلب هذه القطع مشكّلة ومزخرفة وفق مطالب متفق عليها تتماشى وطبيعة البلاد المستوردة[1]. حيث يقوم النّقاش بفرزها معتمدا في ذلك على المميّزات الخاصة لكل قطعة، فالقطع ذات الذرات الناعمة والدقيقة والجميلة اللّون، فغالبا ما تتوج لصناع أطر الأبواب، الأعمدة والمنابر أمّا الأنواع الأخرى وخاصة ذات الذرات الخشنة فتكون موجهة إلى تبليط الساحات العمومية والساحات الرئيسة، بالإضافة إلى الألواح التذكارية.

إلى جانب ذلك، فقد تم استغلال مقالع الجزائر، ولكن بنسبة قليلة جدا، رغم وجود مقالع كبيرة تتوزع على مختلف أنحاء البلاد ،عرفت مند القدم، وهي تتميز بجودة نوع الرّخام، وكذا تنوعه وتعدد ألوانه، أهمها : محجر عين تاقبالت بنواحي تلمسان تتميّز خاماته بنوعه الرائع Onyx استغل مند الوجود الروماني في الجزائر، وبعده من طرف أهالي تلمسان خلال العهد العثماني، تقدر مساحته 100هكتار ومحجر بضواحي ندرومة رخامه من اللّون الأصفر الشفاف[2]، أمّا أهم محاجر الرخام بمدينة الجزائر، نجد محجر شنوة بتبازة يبعد عن شرشال ب18كلم، يتميز رخامه بحفر صغيرة وثغرات، وأيضا محجر برج البحري الذي يقع على ضفة البحر، فهو مشابه للذي سبق ذكره، بينما محاجر الشرق الجزائري، فنجد محجر فليفلة المعروف بسكيكدة ذي شهرة عالمية، يقع على بعد 8كلم من ميناء سكيكدة، يتربع على مساحة 53هكتار، يتميز رخامه بأنّه كلسي، تعددت أنواعه، نذكّر منها الأبيض الذي استعمل في صناعة التماثيل والوردي والأسود والأخضر والأصفر، استغلّه الرومان قديما في صناعة التماثيل والأعمدة، ومحجر بواد العناب بعنابة الذي يقع على

(1)- نفسه، ص325.

(2) -Dussert (D.), et Bettier (G.), **Les mines et les carrières**, Paris, 1932, p.47.

بعد 28كلم غرب عنابة، ذو ألوان مختلفة منها لون رمادي يميل إلى الأبيض، واللون الأبيض تتخلّله بعض البقع الصفراء والزرقاء[1] .(خريطة 3).

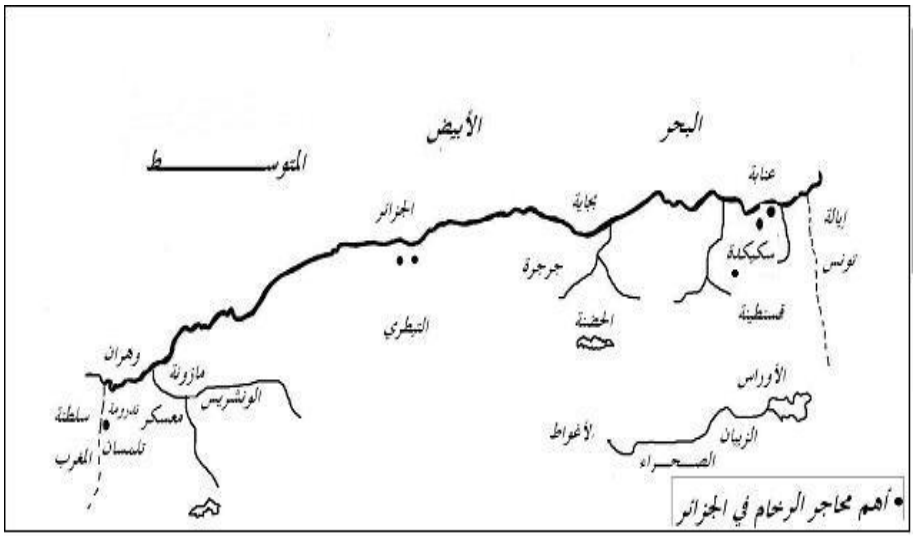

خريطة 3 / أهم محاجر الرّخام في الجزائر، عن: سعيدوني بتصرف

1. تقنيات للّوحات الرخامية:

تتطلب عملية تقنية الصناعة الرّخامية عامة، والألواح الرّخامية التذكارية خاصة، الكثير من الوقت، كما أنّها تمر بعدة مراحل قبل الحصول على اللّوحة جاهزة بشكلها النّهائي، وأولى هذه المراحل تكون في المحجر نفسه، وهي مكان استخراج الرّخام، وفي معظم الأحيان تجهّز المحاجر بمصهرة من أجل صيانة أدوات استخراج الرّخام، التي تتآكل حوافها[2]، وللحصول على كتل الرّخام يعمّد إلى حفر ممرات خاصة في الصخور الكلسية، باستعمل أدوات خاصة كالشوكة والشاقور وأداة ذات

(1)- Dussert (D.), et Bettier (G.),Op.Cit, p.49.

(2)-Revares (J.), L'habitation Tunisoise, pierre, marbre et fer dans la construction et le décore, Paris, 1978, p.84-88.

حدين، والتي بفضلها نتحصل على قطع مصقولة وجاهزة مبدئيا للقطع، وقد يصل طول هذه الكتل أحيانا 2م.

وبعد استخراج الكتلة الرّخامية من المقالع، فإنّ الاستفادة منها تكون إمّا في المحجرة ذاتها، وإمّا يتم نقلها إلى ورشات معالجة الرّخام، فأمّا ما يتم الاستفادة منها في المقالع فقط 20 % من الكتلة الرخامية المراد صنع شيء ما منها، وذلك أثناء عملية النحت، وأمّا بقية الكتلة فإنه يتم رميها بعد أن تصبح غير صالحة للاستغلال، وهذا ما يفسر غلاء ثمنه، بالإضافة طبعا إلى صعوبة استخراجه لأنّ معظم مقالع الرّخام تقع في الجبال[1].

وأمّا ما ينقل منها إلى الورشات، فحسب "أندري باكار" فإنّه تقطّع الكتل إلى أنواع بآلات عتيقة حسب الشكل، وبعد أن يحدد الفنان المساحة المخصصة للكتابة، يشرع بكتابة الموضوع بواسطة قلم وإذا كان الرسم مهيئا مسبقا على مرسام فما عليه سوى أن يطبقه على الجسم الرّخامي والمرسام هو نموذج مكون من ورق مقوى تكون قد رسمت عليه الكتابة بواسطة ثقوب ليسهل تمرير المسحق عبرها، فهو يشبه القالب في الصناعات المجسمة، ومن ثم يخط على مساحة الرخام فيرسم الرسم المطلوب ويحدد معالمه جيدا بواسطة القلم ليشرع في النقش بواسطة الأزاميل والمطرقة، وتقتضي دقة العمل من النقاش نظافة المكان دائما[2].

وتتم عملية النقش بواسطة أسلوبين رئيسيين هما:

– **الحفر البارز:** فبعد إتمام الرسم يشرع الفنان في إزالة المساحة المحيطة بالرسم بمقدار معلوم، يختلف من فنان لآخر بمعدل 01 سم، فتصير المساحة الخلفية غائرة، وأمّا الرسم أو الموضوع (الكتابة) فيبقى بارزا بمقدار حوالي1سم.

(1)-Lambertie (R.M.), Op. cit, p.58.

(2)- باكار أندريه، **المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة**، ج2، تعريب سامي جرجس، دار أتولي، باريس، 1981، ص15.

– **الحفر الغائر**: في هذه الطريقة، وبعد الرسم، فإن الفنان يقوم بحفر الموضوع الزخرفي ذاته، ويترك ما سواه فتبدو الكتابة بشكل غائر بعمق حوالي 1سم، وما سواه يكون بارزا.

تأتي بعدها مرحلة الصقل بعد إنجاز القطعة المنقوشة في شكلها النّهائي، والصقل عملية دقيقة ورقيقة، تستوجب الصبر وتتم بواسطة المبرد، فهو يزيل النتوءات ويجعل السطح أملسا، فنتحصل على اللّوح إذا كان العمل يتم في الورشة.

أمّا " دوفو" فبيّن طريقتين لتنفيذ النصوص الخاصة بنقش الكتابات على لوحات من الرّخام:

فالطريقة الأولى: يتم تسوية سطح اللّوح، وتهيئته للكتابة حيث يقوم النّقاش بتخطيطها وحفر الحروف المراد كتابتها.

بينما الطريقة الثانية: فيقوم النّقاش فيها بوضع السطور مع مراعاة الأبعاد والمسافات مع حفر صغيرة في داخل تجاويف، ثمّ تملأ بالرّصاص وبعدها تتماسك وتبرد، تسوى المساحة المنقوشة حتى تزال جميع البقايا أو النتوءات الناتجة عن عملية الصّب[1].

2. طرق صيانة الكتابات الأثرية الرّخامية:

هذه تجربة قمنا بها في مخبر المتحف الوطني العمومي للآثار القديمة في سنة 2010.

1.2. عملية التشخيص:

نجد فحوصات عدة تتميز بالتنوع تجري على مادة الرّخام وهي:

– الفحص البصري: يتم بواسطة العين المجردة أو باستعمل عدسة مكبرة لتحديد الصفات التالية: المادة، اللّون.

(1) – Devoulx (A.), « épigraphie indigène Musée archéologique d'Alger, », IN Revue Africaine, Alger, 1872, p.181.

– لفحص الفيزيائي: ويستعمل لتحديد الصلابة والتماسك والقوة والمسامية وقابلية النفاذ وتأثير الحرارة.

– الفحص المجهري: يمكننا من تحديد الخاصيات المميّزة للمادة، من خلال الدراسات المرئية لمقاطعها بواسطة المجهر وإجراء الفحص على مسحوق الأداة لتحديد معامل انعكاسها[1].

2.2. عملية التنظيف:

الهدف من التنظيف هو نزع كل مادة مضرة أو جزيئات غير اصطناعية مثل الأملاح الذائبة في الماء، الغبار، بقايا الكائنات المجهرية

يوجد نوعان من التنظيف:

- التنظيف الميكانيكي ، يتم عن طريق اليد، باستعمل الماء و الفرشاة.
- التنظبف الكيميائي، باستعمل مواد ذو طبيعة كيميائية.

تتم عملية تنظيف الألواح الرّخامية ونزع كل الشوائب والأوساخ الموجودة على الألواح الرّخامية عبر الطريقة التسلسلية الآتية:

- **العملية الأولى:**

نستعمل ما يسمى بالمطهرات Les Solvants لتنقية اللّوحة، نذكر منها:

– الكحول

– السيتون Le Citone

– الديليون Micro-morce خاصة من أجل الصدأ و أنواع الصباغة.

وعندما لا تنجح هذه العملية نتبع عملية ثانية بمركبات كميائية أكثر فعالية.

- **العملية الثانية:** منها:

(1)– المنظمة العربية للتربية والثقافة، صيانة التراث الحضاري، إدارة الثقافة، تونس، 1990، ص244 ، 245.

بيكربونات الأمونيوم و EDTA وماء نخلط كل هذا بإضافة مادة Ponsemet مع Piple de celileuse حيث نجمع كل هذه المواد لنزع الزيوت والدهون.

علما أنّ مادة Piple de celileuse هي أصلها من الورق، دورها ترطب هذه المواد وتلعب أيضا دور إزالة الأوساخ.

وتكون المقادير لبعض المواد لا تتجاوز 0,05 بالمائة للمحافظة على صحة التحفة.

- **العملية الثالثة:**

استعمل ما يسمى رمل دقيق جدا.

هذه المواد دقيقة، لا ترى بالعين المجردة وتدفع إلى داخل التحفة أي إلى عمقها، وبالتالي يجب الحذر ثمّ الحذر في استعمل هذه المواد خوفا من تشويه التحفة.

ويوجد مادة أخرى لا تقل عن الأولى وهي مادة الرّخام مطحونة: (La poudre de marbre) ذات مميزات وخصائصها القوية والتي تتمثل أيضا في اختراق المادة في حد ذاتها.

كتابة تأسيسية لمسجد باب دزيرة

صورة 1 / قبل التنظيف

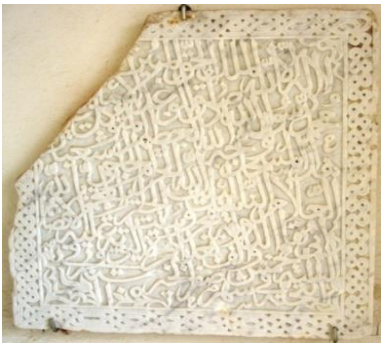

صورة 2 / بعد التنظيف

كتابة تأسيسية لمسجد خير الدين

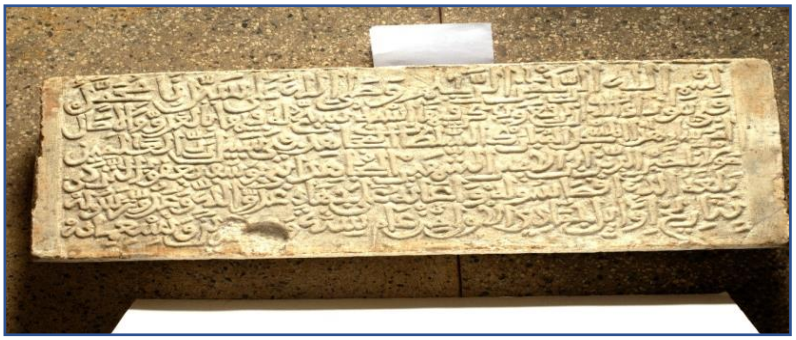

صورة 3 / قبل التنظيف

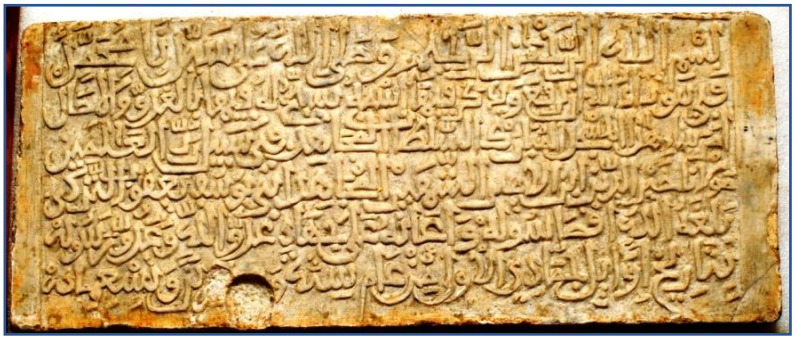

صورة 4 / بعد التنظيف

كتابة تأسيسية لجامع كتشاوة

صورة 5 / قبل التنظيف

صورة 6 / بعد التنظيف

كتابة تأسيسية لجامع البراني

صورة 7 / قبل التنظيف

صورة 8 / بعد التنظيف

كتابة تأسيسية أولى لمسجد علي باشا.

صورة 9 / قبل التنظيف

صورة 10 / بعد التنظيف

كتابة تأسيسية ثانية لمسجد علي باشا.

صورة 11 / قبل التنظيف

صورة 12 / بعد التنظيف

3. نماذج عن استعملات الرخام في الكتابات التذكارية التأسيسية:

1.3. كتابتان تأسيسيتان لجامع صفر:

- **الكتابة التأسيسية الأولى:**

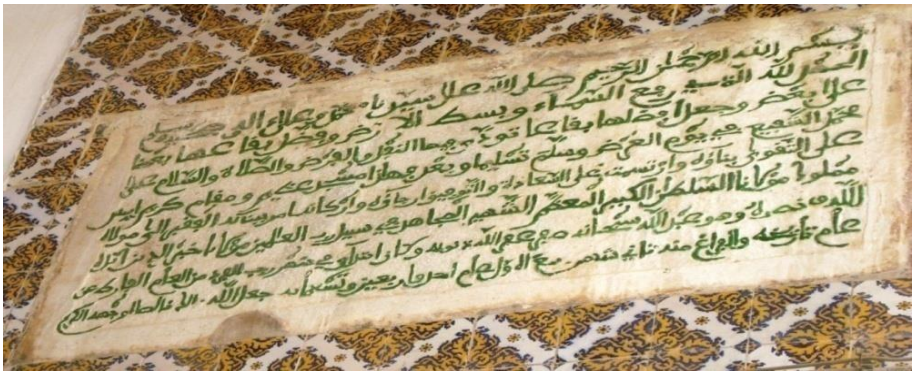

صورة 15 / الكتابة التأسيسية الأولى لجامع صفر.

- **البطاقة الفنية:**

طبيعة اللّوحة	لوحة تسجيلية
طبيعة الكتابة	كتابة تأسيسية لجامع صفر.
المقاسات	ط: 60 سم ، أر: 10 سم.
المادة	رخام
نوع الخط	نسخي
تقنية الصنع	الحفر البارز
عدد الأسطر	ثمانية
حالة التحفة	متوسطة
التاريخ	941 هـ / 1534 – 1535 م
المصدر	مدينة الجزائر
مكان الحفظ	جامع صفر

- **الوصف:**

لوحة رخامية مستطيلة الشكل، نقشت عليها كتابة باللّغة العربية نفّذت بالخط النسخي وبأسلوب الحفر البارز، يجري النص فيها على ثمانية أسطر، تبدو حروفها باللّون الأخضر، يخلو النص من الزخرفة والإعجام وكذا التشكيل.(الصورة 15).

- **النص:**

س1: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى اله وصحبه وسلم**

س2: **الحمد لله الذي رفع السماء وبسط الارض وفضل بقاعها بعضا**

س3: **على بعض وجعل أفضلها بقاعا تودي فيها النقل والفرض والصلاة والسلام على**

س4: **مُحَمَّد الشفيع في يوم العرض وسلم تسليما وبعد فهذا مسجد عظيم ومقام كريم أسس.**

س5:**على التقوى وارتسمت على السعادة والتوفيق أرجاؤه وأركانه أمر ببنائه الفقير إلى مولاه.**

س6: **ملوك مولانا السلطان الكبير المعظم الشهير المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا خير الدين أيده**

س7: **الله ونصره وهو عبد الله سبحانه صفر غفر الله ذنبه وكان ابتداؤه في شهر رجب الفرد من العام الفارط عن.**

س8: **عام تاريخه والفراغ منه ثاني شهر ربيع الأول عام أحد وأربعين وتسعمائة جعل الله ذلك خالصا إلى وجهه الكريم.**

التاريخ كتب بالحروف لا بالأرقام.

- **تاريخ الجامع:**

شرع في بناء جامع صفر في رجب بين 16 جانفي و14 فيفري 1534 وأتّم بناؤه سنة 941هـ الموافق 15سبتمبر 1534م .

- **الكتابة التأسيسية الثانية:**

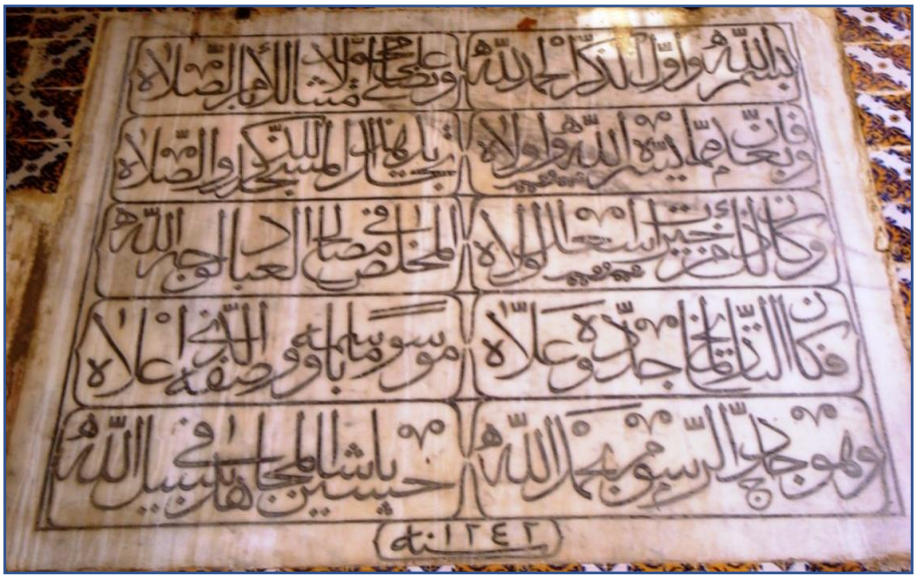

صورة 16/ **الكتابة التأسيسية الثانية لجامع صفر.**

- **البطاقة الفنية:**

طبيعة اللّوحة	**لوحة تسجيلية**
طبيعة الكتابة	**كتابة تجديدية لجامع صفر.**
المقاسات	**ط: 60 سم ، أر: 10 سم**
المادة	**رخام**
نوع الخط	**نسخي**
تقنية الصنع	**الحفر الغائرالمملوء بالرّصاص.**
عدد الأسطر	**خمسة**
حالة التحفة	**متوسطة**
التاريخ	**1242 هـ / 1826 – 1827 م**

المصدر	**مدينة الجزائر**
مكان الحفظ	**جامع صفر**

- **الوصف:**

لوحة من الرّخام مستطيلة الشكل، تحمل كتابة باللّغة العربية نفّذت بالخط النسخي وبأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرّصاص، كتب النصّ فيها على خمسة أسطر مقسمة إلى قسمين ومحصورة في أطر تكوّن فيما بينها معينات ذات خطوط منحنية. النّص خال من الزخرفة. (الصورة 30).

- **النص:**

س1: **بسم الله وأول الذكر الحمد لله ونصلي على مُحَمَّد امتثالا للأمر بالصلاة**

س2: **وبعد فان مما يسره الله وأولاه تجديد هذا المسجد للذكر والصلاة**

س3: **وكان ذلك من خيرات أسعد الولاه المخلص في مصالح العباد لوجه الله**

س5: **فكان التاريخ لما جدده وعلاه موسوعا باسمه ووصفه الذي أعلاه**

س6: **وهو جدد الرسوم بحمد الله حسين باشا المجاهد في سبيل الله سنة 1242**

ورد في متن هذا النّص اسم " حسين باشا " وهو آخر دايات الجزائر، وصف بالمجاهد لأنّه أرغم مجموعة من السفن الحربية الانجليزية جاءت تطلب تعويضات على العودة من حيث أتت دون الظفر بشيء[1].

كتب التاريخ بالأرقام وبحساب الحروف الأبجدية وهي تتمثل في الجملة التالية: وهو جدد الرسوم بحمد الله، حسين باشا المجاهد في سبيل الله.

تاريخ الجامع:

(1) – رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة: إبراهيم شبوح، الجزائر، 1979، ص114.

وأضاف كلاين klein أنّ المسجد أعيد بناؤه من طرف حسين باشا آخر دايات الجزائر سنة 1242هـ / 1826– 1827م على نمط الجامع كتشاوة الأصلي.

2.3. الكتابة التأسيسية لجامع الداي (جامع القصبة الداخلي):

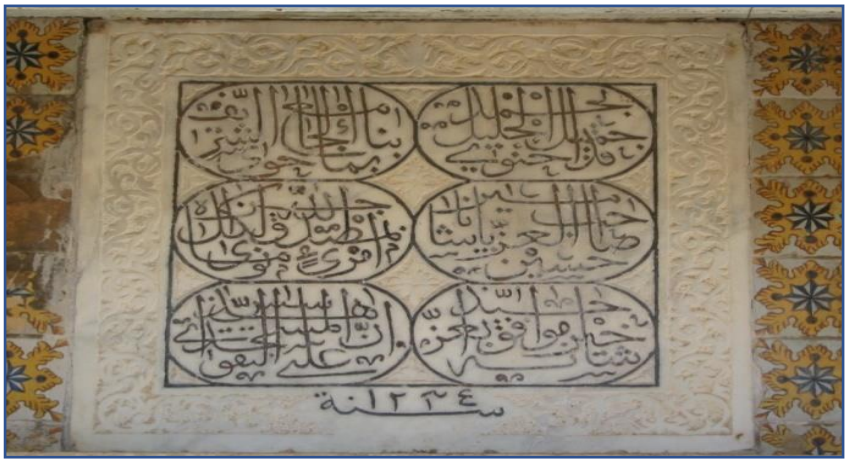

صورة 17 / الكتابة التأسيسية لجامع الداي (جامع القصبة الداخلي)

- **البطاقة الفنية:**

طبيعة اللّوحة	**لوحة تسجيلية**
طبيعة الكتابة	**كتابة تأسيسية لجامع الداي بالقلعة.**
المقاسات	**ط.: 71 سم ، أر.: 75 سم،**
المادة	**رخام**
نوع الخط	**نسخي**
تقنية الصنع	**الحفر الغائر المملوء بالرّصاص**
عدد الأسطر	**ثلاثة**
حالة التحفة	**متوسطة**
التاريخ	**1234 هـ / 1819 م**
المصدر	**مدينة الجزائر**

مكان الحفظ	جامع الداي بالّقلعة فوق مدخل البيت الأيسر

- **الوصف:**

لوحة من الرّخام ، نقشت عليه بالحفر الغائر المملوء بالرّصاص كتابة باللّغة العربية، نفّذت بخط النسخ، على شكل أبيات شعرية، ممتدة بداخل خراطيش منظمة، مكونة من ثلاثة أسطر، وتكوّن فيما بين الخراطيش معينات ذات خطوط منحنية وتشكّل مع إطار اللّوحة مثلثات ، أمّا الكتابة فيحفها شريط زخرفي عريض قوامه زخارف تتمثل في فروع نباتية متشابكة تمثّل ما يسمى بالأرابسك. (صورة 17).

- **النّص:**

س1: جميل بحمد الجليل قد احتوى بناء الجامع الشريف بما حوى

س2: أميرنا صاحب العز حسين باشا جزاه الله بمصدق لكل امرئ ما نوى

س3: حبذا خير موافق بعز شأنه إنّ هذا المسجد أسس على التقوى

سنة 1234.

جاءت هذه الكتابة على شكل قصيدة شعرية، تشيد بالجامع وكذا الشكر وحسن الجزاء للمشيّد حسين باشا، وقد ذكر فضل باني المسجد في الدنيا حيث يكون له بيت في الجنة وهذا حديث شريف صحيح، واقتران الخير الذي قام به هو موافق بعز شأنه (المؤسس)، مع ذكر تاريخ التأسيس بالأرقام لا بالحروف.

ما يميز هذه الكتابة أنّها جمعت بين كلمة " جامع " في السطر الأول في الإطار الأيسر وكلمة " مسجد " في السطر الثالث الإطار الأيسر.

وحسب هذا النّص فقد بني هذا الجامع في سنة 1234هـ/1819م، من طرف حسين باشا، آخر دايات الجزائر.

3.3.كتابة تأسيسية لباب قصر الجنينة:

صورة 18 /

الكتابة التأسيسية لباب قصر الجنينة المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة.

- البطاقة الفنية:

طبيعة اللّوحة	لوحة تسجيلية
طبيعة الكتابة	كتابة تذكارية لباب قصر الجنينة.
المقاسات	ط.: 99سم ، أر.: 34 سم، س.:8 سم
المادة	رخام
نوع الخط	نسخي
تقنية الصنع	حفر بارز
عدد الأسطر	خمسة
حالة التحفة	جيدة
التاريخ	1042 هـ / 1632 – 1633 م
المصدر	مدينة الجزائر
مكان الحفظ	المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة
رقم الجرد	II.S.179

- **الوصف:**

قطعة من الرخام مستطيلة الشكل، يتوسطها شكلان بيضاويان بهما زخرفة منفذة بطريقة الحفر البارز، قوامها مراوح نخيلية وأشكال حلزونية مثبتة برؤوس المسامير، وورقة الأكانتس المحورة التي تزيّن الجانب الأيمن للتحفة. تم كتابة النّص بالعربية على طراز الخط النسخي، وهو متكون من خمسة أبيات، أمّا التاريخ فحصر في أسفل النص بين الخرطشين البيضاويين، وهو يخلو من الإعجام والتشكيل. (**صورة 8**).

- **النّص:**

حسين باشا المقتدا وزير حنقار العمد

بوفق عسكر هذا أمر موسى المفند

تجديد قمع العدا في باب سلطان البلد

فحياته مجددا في طلع ينفي الحسد

تاريخه خير هذا بقل هو الله أحد

وهو1042

- **الجانب التاريخي للكتابة:**

تخلد هذه الكتابة تجديد باب المدخل الرئيسي لقصر الجنينة (دار السلطان)[1] الذي يقع في القصبة السفلى في ساحة الشهداء.

(1) قصر الجنينة: يعد هذا القصر من أهم معالم الجزائر في العصر العثماني، كان مسرحا كبيرا لكل القرارات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية طيلة ثلاثة قرون أو أكثر، وهو رمز الدولة، كان يقع في القصبة السفلى وبالضبط قرب دار عزيزة ودار حسين باشا ومصطفى باشا، كان يتربع على مساحة معتبرة لن يأت ذكرها في المصادر بالتحديد، اختلفت تسميته عند الرحالة والمؤرخين، فنجد الدار القديمة ودار السلطان ودار الباشا ودار الداي وأخيرا قصر الجنينة، يتكون القصر من طابقين في بداية العصر العثماني، ثمّ زوّد بعدة طوابق، إلاّ أن وصل عددها إلى خمسة في بعض الأجنحة من القصر، بناه صالح

جدده المعلم الأندلسي سنة 1042هـ/1632م بأمر من الداي حسين باشا.

هذا الباب مصنوع من الخشب ومزود بالحديد على طول مساحته، حيث تتدلى منه سلسلة حديدية ثبت داخل إطار من الرخام[1].

رايس عام 963هـ / 1556م، بدأت أعمال الترميم مند سنة 1073هـ / 1662م واستمرت إلى غاية 1123هـ / 1711م، كان آخر استعمال لهذا القصر سنة 1817 م، حيث في هذه الفترة الداي علي خوجة الملقب بالمجنون، والذي استخلف الباشا عمر الذي قتله العسكر، حيث أحس بالخطر الذي كان يحيط به فقرر الانتقال إلى القلعة بالقصبة العليا بعد أن تم تحصينها. هذا القصر كان يقلق المستعمر الفرنسي منذ البداية وكانوا يخططون لتهديمه فتركوه في حالة مهملة، وعندما هدّموا المباني المجاورة وبنو الساحة (ساحة الشهداء حاليا) أصبح القصر غير لائق خاصة وأنّه قد تعرض لعدة حرائق وكان آخرها حريق 24 جوان 1844، وفي سنة 1856 تم تهديم هذا المعلم ومحيت آثره إلى الأبد. لمزيد من المعلومات، (صورة 9). وأنظر أيضا:

– حورية شريد، دار السلطان (قصر الجنينة)، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد الثامن، الجزائر، 1999، ص47 69.

– Klein (H.) Feuillet d'El – Djazair, Alger, 1937, p.116 -117.

(1) -Berbrugger (G.), Bibliothèque, Musée d'Alger, livret explicatif des collections diverses de ces deux établissements, Alger, 1860. p.129

وانظر أيضا:

-Devoulx (A.), Epigraphie indigène du musée archéologique d'Alger, Alger,1878, N37, p.55.

-Marçais (G.), Le musée Stéphane Gsell, Musée des antiquités et des arts musulmans d'Alger, Alger, 1950,p.59.

صورة 19 / الكتابة التأسيسية لمدرسة جبانة علي باشا المحفوظة في المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة

4.3.مدرسة علي باشا:

- **البطاقة الفنية:**

طبيعة اللّوحة	لوحة تسجيلية
طبيعة الكتابة	كتابة تأسيسية لمدرسة علي باشا.
المقاسات	ط.: 45سم ، أر.: 45 سم، س.:3 سم.
المادة	رخام
نوع الخط	مغربي
تقنية الصنع	الحفر الغائر المملوء بالرّصاص
عدد الأسطر	اثنان
حالة التحفة	حسنة
التاريخ	1125 هـ / 1713 – 1714 م
المصدر	مدينة الجزائر
مكان الحفظ	المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة
رقم الجرد	II.S.184

- **الوصف:**

لوح مربع نقشت فيه بالحفر الغائر نجمة سداسية، تتوسطها هي الأخرى حلقة مغلقة بداخلها على الجانب أو الجزء الأعلى حلقة صغيرة أخرى تضم بداخلها زهرة رباعية الفصوص بداخلها أربع سهام يحيط بالحلقة الصغرى زخرفة نباتية عبارة عن فروع ملتوية.

ثمّ نجد النّص منقوش باللّغة العربية وبخط المغربي، يتألف النّص من سطرين، فقد كتب على مستويين أي أعلى النجمة وأسفلها، يفصل بين السطر الأول والثاني من كل سطر رأس النجمة، يحيط بهذا كله إطار سميك وعريض ثمّ يحيط به هو الآخر شريط آخر أوسط ملولب وبعده إطار خارجي رفيع. (**صورة 19**).

- **النّص:**

الحمد لله أمر ببناء هذا المكتب الأمير المفخم السيد علي باشا نصره الله

في أوائل شهر صفر سنة خمسة وعشرين ومائة والف 1125

- **الجانب التاريخي للكتابة:**

تخلد هذه اللوحة أو الكتابة بناء مدرسة، كان يطلق عليها اسم " امسيد جبانة علي باشا "، كانت تقع في شارع زنقة دار حسن أو شارع سودان، الشيخ القسعي حاليا، بنيت سنة 1125هـ الموافق ليوم 27 فيفري 1713م من طرف الداي علي باشا الذي حكم الجزائر من سنة 1710 إلى 1718م حسب اللّوحة التأسيسية المحفوظة في المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة بالجزائر[1].

(1)- Devoulx (A.), « «Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger », IN Revue Africaine, Alger, 1867, p.302-309.

وأنظر أيضا:

-Berbrugger (G.), Op.Cit,, p.143.

-Colin (G.), Op.Cit, p.88-89.

5.3. كتابة تأسيسية لبرج الجديد (برج الزوبية):

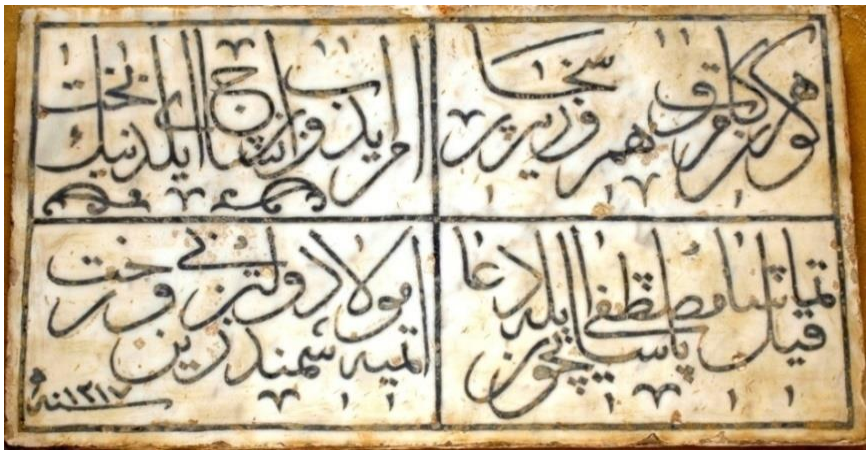

صورة 20/ البرج الجديد – الكتابة المحفوظة في المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة

- **البطاقة الفنية:**

طبيعة اللّوحة	لوحة تسجيلية
طبيعة الكتابة	كتابة تأسيسية لبرج الجديد.
المقاسات	ط: 65سم ، أر: 37 سم، س:5 سم.
المادة	رخام
نوع الخط	الثلث
تقنية الصنع	الحفر الغائر المملوء بالرّصاص
عدد الأسطر	اثنان
حالة التحفة	حسنة
التاريخ	1217هـ/1802 – 1803م
المصدر	مدينة الجزائر
مكان الحفظ	المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة
رقم الجرد	II.S.228

- **وصف اللّوحة:**

وهي عبارة عن لوح مستطيل، نقشت عليه كتابة تركية ، من نوع خط الثلث وبتقنية الحفر الغائر المطعم بالرصاص على شكل بيتين شعريين. (**صورة 20**).

- **النص:**

هركوم مركات وهم وزير برسخ أمير بيوب برج انشاي ايلدى نيك بخت

قيل تماشا مصطفى باشا يجون ايله دعا مولا اتميمه سمند دولتن بي زين ورخت سنة 1217

الترجمة من الفرنسية عن " دوفوا "[1]:

جوهرة منجم الإنسانية الوزير السخي قد أمر بتشييد هذا البرج المحظوظ

تأمل واجعل التمنيات في قائده مصطفى باشا مولانا لا يحرم فرس دولته من السرج واللجام

- **الجانب التاريخي للكتابة:**

تخلد هذه الكتابة بناء البرج الجديد حسب كلاين إلى سنة 1217هـ /1802م على يد مصطفى باشا لتدعيم برج باب الوادي (برج أربعة وعشرين ساعة)، وكذلك لحماية الشواطئ الغربية للمدينة وباقي البطاريات الأخرى، وهذا ما تأكده لنا الكتابة التذكارية المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة.

وكان موقع البرج[2] منفصلا عن المدينة بواسطة الخندق، وكان يعرف لدى السكان باسم "برج الزوبية"، بمعنى المزبلة العمومية، ويتضمن هذا البرج من الناحية الشمالية الشرقية أربعة عشرة فتحة نارية في الطابق العلوي وتسعا في الأسفل.[3]

(1) - Devoulx (A.), « Les édifices religieuxs de l'ancien Alger », in Revue Africaine, Alger, 1880, p.146.

(2) .- دوفوا، خطط مدينة الجزائر، ترجمة: مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، أبو ظبي، 2004، ص 103

(3) - نفسه.

6.3.كتابة تأسيسة لبرج باب الواد :

صورة 16/ برج باب الوادي– الكتابة المحفوظة في المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة

- **البطاقة الفنية:**

طبيعة اللّوحة	لوحة تسجيلية
طبيعة الكتابة	كتابة تأسيسية لبرج باب الواد
المقاسات	ط: 58سم ، أر: 90 سم، س:4 سم.
المادة	رخام
نوع الخط	الريحاني
تقنية الصنع	الحفر البارز
عدد الأسطر	ثلاثة
حالة التحفة	حسنة
التاريخ	976هـ /1567 – 1568م
المصدر	مدينة الجزائر
مكان الحفظ	المتحف العمومي الوطني العمومي للآثار القديمة
رقم الجرد	II.S.201

- **وصف اللّوحة:**

لوح من الرّخام مربع الشكل، نقشت عليه كتابة تركية ، من نوع خط الريحاني وبطريقة الحفر البارز، تجري الكتابة على ثلاثة أسطر، أمّا تاريخ النص فكتب في خرطوش منفصل في آخر طرفي النص. (**صورة 16**).

- **النص:**

خرج ايدوب حق يولنه مال وزير اعظم يا بدى يوسوري جزايرده متين واعلا شويله بالاتر اولوب كردون همسوا ولمش اراسك روي زميني بوليمز سن همتا نامي يادا اولفيجون ديدي مدامي تاريخ يابدي بو قلعة مرعي بي مُحَمَّد باشا سنة 976

- **الترجمة من الفرنسية عن "كولان " [1]:**

انفق الوزير العظم مصارف ضخمة في سبيل الله من أجل إنشاء هذا البرج الحصين والعالي الذي يشرف على مدينتا لجزائر والذي كان يعلوه يلامس السماء

وايس له مثيل في العالم يقول " ليبقى اسمه مذكورا وتاريخه مخلدا مشاعا مُحَمَّد باشا " سنة 976

- **الجانب التاريخي للكتابة:**

خلّد هذا اللوح بكتابة بناء برج باب الوادي الذي كان يقع هذا على بعد 250م غرب باب الوادي الجهة الغربية لمدينة الجزائر وعلى290م عن مستوى سطح البحر، شرع في بنائه مُحَمَّد باشا سنة 976هـ/1568م واستكمل بناؤه الباشا علج علي، اتخذ هذا البرج شكل رباعي الأضلاع يحتوي على ثمانية فتحات للمدفعية، كما

(1)- Colin (G.), Corpus des inscriptions arabes et turque de l'Algérie, Paris,1902, N0 127, p.181.

أطلق على هذا البرج عدة تسميات، برج ستي تاكليلت، برج الأربع والعشرون، برج الباشا علي، وبرج العلج علي[1].

قائمة المصادر والمراجع

-أندريه (باكار)، ***المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة***، ج2 ،تعريب: سامي جرجس ، دار أتولي، باريس، 1981.

-بورويبة (رشيد)، **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية**، ترجمة: إبراهيم شبوح،الجزائر، 1979.

-دوفوا (البارت)، **خطط مدينة الجزائر**، ترجمة: مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، أبو ظبي، 2004.

*-نور الدين (عبد القادر)، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، ط2، الجزائر، 1965.*

-المنظمة العربية للتربية والثقافة، **صيانة التراث الحضاري**، إدارة الثقافة، تونس، 1990.

-حورية شريد، دار السلطان (قصر الجنينة)، ***حوليات المتحف الوطني للآثار***، العدد الثامن، الجزائر، 1999.

-خلاصي (علي)، ***قصبة الجزائر (القلعة و قصر الداي)***، رسالة الدكتوراه الحلقة الثالثة، الجزائر، 1985، ص324.

-ابن منظور (جمال الدين)، *لسان العرب*، مادة "رخم" ،ج15، ط01، دار صادر، بيروت ،1992، ص126.

-Berbrugger (G.), **Bibliothèque**, **Musée d'Alger**, **livret explicatif des collections diverses de ces deux établissements**, Alger, 1860.

(1) - علي خلاصي، القلاع والحصون في الجزائر، الجزائر، 2008، ص 101.

-Colin (G.), **Corpus des inscriptions arabes et turque de l'Algérie**, Paris,1902,

-Devoulx (A.), **Epigraphie indigène du musée archéologique d'Alger**, Alger,1878.

-Dussert (D.), et Bettier (G.), **Les mines et les carrières**, Paris, 1932

-Foucault (A),Raoult (J. F .)**Dictionnaire de géologie**, Paris, 1996 .

-Klein (H.), **Feuillet d'El – Djazair**, Alger, 1937.

-Lambertie (R.M), **L'industrie de la pierre et du marbre**, presse universitaire de France, 1962.

-Marçais (G.), **L'architecture musulmane d'Occident**, Paris,

-Marçais (G.), **Le musée Stéphane Gsell**, **Musée des antiquités et des arts musulmans d'Alger**, Alger, 1950.

-Revares (J.), **L'habitation Tunisoise**, **pierre**, **marbre et fer dans la construction et le décore**, Paris, 1978.

-Devoulx (A.), «Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger », **IN Revue Africaine**, Alger, 1867.

-Devoulx (A.), « épigraphie indigène Musée archéologique d'Alger, », **IN Revue Africaine**, Alger, 1872.

-Devoulx (A.), « Les édifices religieuxs de l'ancien Alger », **IN Revue Africaine**, Alger, 1880.

الحرف والصنائع في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي (398-547هـ/1007-1152م).

الدكتور إلياس حاج عيسى

المدرسة العليا للأساتذة –الأغواط

مقدمة

تعتبر الصنائع من الأعمال التي اختصّ بها أهل الأمصار بشكل أكبر، مقارنة بالأرياف والبوادي، كما تفاوتت المدن في عدد الصنائع وتنوعها وبساطتها وتعقيدها، تبعاً لِصِغَرِ المدينة أو استبحار عمرانها، وقد قسّم ابن خلدون الصنائع إلى ثلاثة أنواع، صنائع المعاش التي تضمن تصنيع الضروري من المعاش لسكان المدن الصغيرة. وصنائع الأفكار في المدن المتوسطة، إذ نجد فيها استنساخ الكتب وتجليدها، وامتهان الغناء والشعر وتعليم العلم. والثالثة اختصّت بها الحواضر الكبيرة مثل عواصم الدول، وفيها مهن الجندية وما ارتبط بها، ومهن القَصْر وما ارتبط بها، وغيرها.[1] وإذا قمنا بإسقاط هذا القانون الخلدوني على مدن المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي، وجدنا أن غالبية المدن لا تخرج عن نطاق المهن البسيطة التي هي من مستلزمات المعاش، من حياكةٍ وجزارةٍ ونجارةٍ وحدادةٍ وغيرها، وهي التي عبّر عنها ابن خلدون بِصنائع المعاش.[2] ثم لا يبقى إلاّ عدد محدود من المدن التي تنطبق عليها حِرف النوع الثاني. أما النوع الثالث فلا نكاد نجده إلاّ في القلعة وبجاية. فالأولى كانت عاصمة للدولة

(1)- ابن خلدون "عبد الرحمن بن مُحَمَّد"، (ت.808هـ/1405م)، مقدمة ابن خلدون، تصحيح وفهرسة: أبو عبد الله السعيد المندوه 1/2، بيروت–لبنان، مؤسّسة الكتاب الثقافية، ط03، (د.ت)،ص. 68-69.

(2)- ابن خلدون، نفس المصدر، ج.2، ص. 68.

الحمادية وهي دار أسلحتهم،[1] وقد رحل إليها أرباب الصنائع بعد اضطراب القيروان.[2] أمّا بجاية فقد كان "بها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد ... وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة."[3]

ينتمي معظم أصحاب الحرف إلى فئة العامة، سواءً كانوا حرفيين في المدن أو فلاحون في البوادي والأرياف.[4]وقد عرّفته مكتب الحسبة المغربية التي حصرت مختلف الحرف والصنائع التي انتشرت في بلاد الغرب الإسلامي (مغربه وأندلسه)،لكن الواقع أن مغرب الحماديين حظّه شبه منعدم من كتب الحسبة.[5]ومن خلال وجود الحرف المكثّف في الحواضر الكبرى يتأكّد تنظيمها في أحياء خاصة، واعتمادها على تنظيمات "نقابية" تساعد الحرفيين على تنظيم أنفسهم داخل الأسواق، وتجنب الخلافات المهنية الحاصلة فيما بينهم، وجعل رئيس ذلك التنظيم ممثّلا لهم عند سلطة

(1)- البكري "أبي عبيد" (ت.487هـ/1094م)، المسالك والممالك، ج02، حققه وقدم له وفهرسه: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس،1992م، ص. 710؛الإدريسي "أبو عبد الله مُحَمَّد الشريف" (ت. نحو 558هـ/1162م)، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، حققه ونقله إلى الفرنسية: مُحَمَّد حاج صادق co-edition o.P.u.-publisud, 1983, imprimé en Belgique، ص. 117.

(2)-لعرج عبد العزيز، الإبداع الفني والصناعي في مجال الخزف بقلعة بني حماد وعلاقات القلعة بالمراكز الخزفية مشرقا ومغربا من خلال خزفها، أعمال الملتقى الدولي حول: مدينة قلعة بني حماد "ألف سنة من التأسيس 398-1427هـ/1007-2007م، جامعة المسيلة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2007م، (ص178-199)، ص. 181.

(3)- الإدريسي، نفس المصدر، ص. 116.

(4)-GOLVIN, Lucien, Le Maghreb central à l'époque des Zirides, Recherches d'Archéologie et d'Histoire, arts et métiers graphiques, Paris, 1957, p. 157.

(5)-من كتب الحسبة، نذكر: القرشي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد، معالم القربة في أحكام الحسبة. المحتسب ابن بسام، نهاية الرتبة في طلب الحسبة. ابن تيمية تقي الدين أحمد، الحسبة في الإسلام. ثلاث كتب ضمن مجموع كتاب: في التراث الاقتصادي الإسلامي، دار الحداثة، بيروت-لبنان، ط01، 1990.

المحتسب والحاكم،[1] فإذا كان العهد الرستمي المبكّر قد شهد تنظيم الأسواق وتأثير أصحاب الحرف على مراكز القرار في مرحلة من مراحل الدولة الرستمية، وقد اختصّهم ابن الصغير بدورهم رفقة العامة في تولية أبي حاتم.[2] فطبيعي جدًّا أن تعرف الحرف نشاطاً وتنوعاً أكبر في العهد الحمادي، لكن من المؤسف حقّاً ألا نجد مصدراً خاصاً بهذه الدولة.

نشير إلى أن الحديث عن الحِرف لا يعني أنها على مستوى واحد في درجة الكفاية والغنى والمكانة الاجتماعية، فمنها التي جعلت صاحبها من أعيان المجتمع، ومنها التي صنّفت صاحبها في أسفل الهرم الاجتماعي، لذلك نجد بعض من ألّف في الحسبة يصرّح بأن "ليس ذوو الحرف الخسيسة كأهل الصناعات النفيسة."[3]

إنّ المهن والحرف المنتشرة في المغرب الأوسط في الفترة الحمادية كثيرة ومتنوعة بالتأكيد، وجلّ الحرفيين من الفقراء والضعفاء، إذ وصفهم أحد فقهاء بجاية: "والضعيف من الحرفة إنما هو في كدّ وعناء، وتعب وشقاء، ونصب وبلاء، كدّه وجهده ولذّته وأمنيته أن يكسو ظهره ويشبع بطنه، أو يقوم على عيال أو يغدو أطفالاً مع شكائه لربّه، وتسخّط لحكمه، وتبرّم بقضائه، وقلّة صبر على بلائه."[4] وعلى الرغم من كثرة هذه الحرف، فإن حضورها يبقى محتشماً جداً في المصادر،[5]

---

(1) -GOLVIN, Lucien, op.cit., p. 158.

(2)- ابن الصغير (ت.295هـ/907م)، أخبار الأئمة الرستميين، تح: ناصر محمّد وبحاز إبراهيم، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م، ص.164 وما بعدها.

(3)-بوتشيش ابراهيم القادري، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ط01، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2014م، ص. 275. نقلا عن: الكرسيفي، رسالة في الحسبة، ص. 127.

(4)-الأشبيلي البجائي. أبي محمّد عبد الحق (ت.582هـ)، العاقبة أو الموت والحشر والنشور، تح: أبو عبد الرحمان المصري، دار الصحابة للتراث، مصر، ط.1، 1410هـ/1990م، ص. 45.

(5)-فيلالي عبد العزيز، قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/11م، حوليات الآداب واللغات، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، ع3، 2013،ص. 22.

باستثناء الإشارات المتكرّرة فيما تعلق بحرفتي الفلاحة والتجارة. لذلك سنعمل على الابتعاد عن الوصف العام للحرف، وحصر الاهتمام في أهم الحرف التي عرفها المغرب الحمّادي، بالقدر الذي صرّحت به المصادر.

1-التجار:

تعتبر التجارة من أقدم المهن عبر التاريخ، وبالنسبة للمغرب الأوسط، فقد ساهم تجاره بالإضافة إلى نشاطهم الاقتصادي وأهدافهم الربحية، في نقل الإسلام إلى الأقاليم القصيّة، على غرار بلاد السودان؛ إذ تأكّد دور التجار في وصول الإسلام إلى تلك البقاع. كما تأكّد تواصل مغرب الحماديين بفضل تجاره مع المشرق والأندلس، وأوروبا، والسودان. دون إغفال دور الخطوط الداخلية التي حقّقت التواصل القبلي والاقتصادي، والثقافي بين مدن المغرب عموما، ومن بين أهمّ الخطوط التجارية الكثيرة التي كانت اخترقت بلاد الحماديين نذكر خط القلعة-القيروان، وبجاية-القلعة، وتلمسان- فاس، وتلمسان- سجلماسة، والقلعة- وارجلان، ووارجلان- سجلماسة.[1]

يمدّنا ابن جبير في رحلتهبإشارة مهمّة تؤكد على العلاقات الاجتماعية والدينية والتجارية بين سواحل المغرب الأوسط وسواحل المشرق، فقد وجد خط بحري يربط بين الأسكندرونة على السواحل الشامية وبين بجاية، كان ابن جبير يعتزم العودة فيه[2]، ومثل هذه الخطوط البحرية كانت تستعمل لأغراض مختلفة، منهاأداء المناسك الدينية لحجاج الأندلس والمغرب فينزلون في الشام، أو يعودون من الشام بعد أداء المناسك لزيارة بيت المقدس، ومنها التبادل التجاري بين الحوض الغربي للمتوسط

(1)-الدرجيني "أبو العباس أحمد" (ت.670هـ/1271م)، طبقات المشايخ بالمغرب، ج02، تح: طلاي ابراهيم، ص. 502.

(2)-ابن جبير البلنسي الأندلسي "مُحَمَّد بن أحمد"(ت.614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت-لبنان، (د.ت)، ص. 277.

والحوض الشرقي، ومنها التبادل العلمي والثقافي والديني بين بلاد المغرب والأندلس، وبين بلاد المشرق، فنجد طلاب العلم من المغرب الأوسط يتنقلون إلى المشرق لطلب للعلم. كما تعتبر أسواق المدن الكبرى أهم النقاط التي يلتقي فيها التجار وغير التجار، كالعلماء وطلبة العلم. واشتهرت العديد من المدن الحمادية بنشاطها التجاري، ولكن بدرجات متفاوتة.

تبوأت القلعة مركز الريادة على حساب القيروان على إثر الزحف الهلالي، فانتقل الكثير من أهل إفريقية إليها، وأصبحت مقصد التجّار، من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب.[1] على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم. فالبكري قد أشار إلى شبكة الطرق والعلاقات التجارية التي نسجتها القلعة مع مختلف الأقطار، ووصفها الإدريسي أنها "أكبر البلاد قطراً، وأكثرها خلقاً، وأغزرها خيراً، وأوسعها أموالاً."[2] وعند الدرجيني إشارة إلى انتقال التجار الوارجلانيين إلى القلعة، كفقهاء أو كتجار، كصورة فقيه يبحث عن كتابفي سوق القلعة، تظاهر بمظهر تاجر يبيع "الشبّ"[3] وكان لوارجلان الواحة الصحراوية حظّ وافر من الخطوط التجارية التي تربطها بالمسيلة والقلعة وقسطيلية والقيروان، وبلاد السودان، لأجل ذلك وُصِف تجارها أنهم مياسير وأغنياء.[4] وكذلك ازدهرت في قسنطينة الأسواق، وكثرت أموال التجار، وربطوا علاقات تجارية مع القبائل الهلالية النازلة في أرباض المدينة.[5]

(1)- البكري، المصدر السابق، ج02، ص. 710.

(2)- يبدو الإدريسي متناقضاً في هذا القول، مع قول آخر عندما قال عن بجاية أنها "عمرت بخراب القلعة." أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص. 109، 117.

(3)-الدرجيني، المصدر السابق، ج02، ص. 471؛ من الطرق التي وضعتها المصادر الجغرافية لوارجلان، طريق يربطها بالقلعة. أنظر: البكري، نفس المصدر، ج.2، ص.881.

(4)- الإدريسي، نفس المصدر، ص. 160.

(5)- الإدريسي، نفسه، ص. 121.

مارست بجاية دورها التجاري قبل التأسيس الفعلي في 460 هـ/1067م، فوصفت إحدى المصادر الجغرافية مرساها أنه "ساحل قلعة أبي طويل"[1] الذي من خلاله تتواصل القلعة مع المرافئ البحرية في البحر المتوسط. وبتحول المرسى إلى عاصمة للدولة، استأثرت بالريادة التجارية والاقتصادية، وفي هذا الصدد لا نجد أحسن من وصف الإدريسي المعاصر لبجاية الحمادية، في التأكيد على حيويتها التجارية البحرية والبرية، في قوله: "والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطّة والأمتعة إليها براًّ وبحراً والسلع إليها مجلوبة والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير تجار ... وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء، وتجار المشرق، وبها تحلّ الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة."[2] يلخّص لنا هذا القول تحوّل بجاية منذ العهد الحمادي إلى قطب تجاري مهمّ في الحوض الغربي للمتوسط.

2-الفلاحون:

الحديث عن الفلاح والفلاحة في المغرب الأوسط أمر معقّد خاصة في القرون الأولى للهجرة، إذ لم تفصّل لنا المصادر وضعية الأراضي المحيطة بالمدن، أو في الأرياف، وكيفية تسييرها. والفلاحة في المغرب الأوسط الوسيط هي "من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو...ويختص منتحله بالمذلّة."[3] وتختلف قيمة الأراضي الفلاحية حسب اختلاف موقعها وتوفر كميات الأمطار، لذلك كانت الأراضي تنقسم إلى أراضي تسقى بتدخل الانسان فيجلب إليها الماء من الأنهار والعيون والآبار، والنوع الثاني هي أراضي بَعْلِيَة،[4] يُعْتَمَدُ فيها على مياه الأمطار.

(1)- البكري، نفس المصدر، ج.2، ص. 757.

(2)- الإدريسي، المصدر السابق، ص. 116.

(3)-للمزيد، انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج02، الفصل الثامن، في أن الفلاحة من معاش المستضعفين، ص. 62 وما بعدها

(4)-سيدي موسى مُحَّد الشريف، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6-10هـ/12-16م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2009-

وكان ملاك الأراضي يبرمون عقوداً شفوية في الغالب، مع مزارعين للقيام بأمور أراضيهم، فوُجد نظام المساقاة، والمغارسة، والمزارعة.[1]

اشتهر نظام الخماسة واشتهر في أرياف وبوادي المغرب عامة، ومنها المغرب الأوسط، ومختصر هذا النظام الاقتصادي الفلاحي، أن يعقد صاحب الأرض الفلاحية عقداً مع عامل يقوم بزراعة الأرض، مقابل حصوله على خمس الإنتاج، فأخذ النظام اسم الخماسة، واشتهر العامل باسم الخمّاس، وهو غير نظام الأجرة. وتكون صيغة العقد بين المالك والعامل، أن يقول صاحب الأرض للعامل: "أدفع لك أرضي وبذري وبقري، وتتولى أنت العمل، ويكون لك ربع الزّرع، أو خمسه، أو جزء من أجزائه يسميانه."[2]

ظلّ هذا النظام سائداً في الجزائر إلى مطلع القرن العشرين ميلادي، فوصفه أحد الباحثين المعاصرين له، في مزارع وَرَقْلَة، قائلاً: «والخماسة بهذا الوطن كانت من المهن الشريفة، والغالب يتولاها من هو فقير وليس له ما يكفيه من المؤنة له ولعياله، ومعناها أخذ الخمس، وقد كانت الخماسة بالخمس في التمر»[3]،وترسّخ المنظومة الشعبية الجزائرية تواضع هذه الحرفة، بالمثل القائل: "عُمرَك يا خمّاس الكَرْموص ما

2010م، ص. 211-212. تبدو كلمة "بَعْلِيَة" المستعملة اليوم، تحمل دلالة قديمة غير مستوعبة عند العامة، مفادها أرض مسقية من الإله بعل، إله المطر عند الفينيقيين.

(1)-Allaoua Amara, Communautés rurales et pouvoirs urbains au Maghreb central (7-14e siècles), REMMM 126, p. 189.

(2)-المعداني "أبي علي الحسن بن رحّال" (ت.1140هـ/1727م)، رفع الالتباس في شركة الخمّاسِ، درا وتح: رشيد قبّاط، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط- المملكة المغربية، ط01، 1433هـ/2012م، ص. 86.

1-أعزام "ابراهيم بن صالح باباحمو" (ت.1384هـ/1965م)، غصن البان في تاريخ وارجلان، درا وتح: بحاز ابراهيم وبومعقل سليمان، مطبعة العالمية، غرداية- الجزائر، ط01، 1434هـ/2013م، ص. 97؛ من النصوص المحقّقة في السنوات الأخيرة حول هذا النظام، أنظر: المعداني، رفع الالتباس في شركة الخمّاسِ، ص. 85-151.

تشري بَرْنوص."[1]فنظام الخماسة إذاً عبارة عن عقد يقيد العلاقة بين مالك الأرض والخماس[2] وفق شروط معينة. بعضها يقع على عاتق المالك، والبعض الآخر على عاتق العامل.[3]

توجد أنظمة أخرى تتمثل أساساً في المزارعة بالإستئجار، كأن يكتري المزارع أرض غيره لمدة سنة أو أكثر، ويلتزم بدفع كراء الأرض. وكذلك المزارع الموسمي وهو الذي يعمل بالأجرة في أيام الحرث والقطف والحصاد.[4]

3-الجنود:

ترتبط هذه الحرفة بخدمة السّلطة الحمادية، وهم بالدرجة الأولى الجنود النظاميون، والإشارات وفق هذا السياق ليست متوفرة بكثرة، على الرغم من كون المصادر غنية بأخبار الحروب، والجنود، والمعارك، إلا أنها لا تفصّل في شأن الجندية كحرفة قائمة بذاتها. ويبدو أن الانضمام للجيش يكون في سنّ مبكر، وعلامته هي البلوغ، بما يفيد أنه قد يدخل الجندية من لم يصل سنّ الخامسة عشر، فمن الإشارات القليلة ما أورده الغبريني من أن أحد الفقهاء القلعيين "لما أخذ في سن البلوغ تعلّق بالجندية واتخذها حرفة."[5]لكن لا توجد معلومات موثّقة حول طبيعة العقد الذي

(1)-بوتارن قادة، الأمثال الشعبية الجزائرية، تر: حاج صالح عبد الرحمان، ط02، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 2013م، ص.46

3- لا يزال بعض المسنّين من سكان الواحات يطلقون لفظ "الخمّاس" أو "أَخَمَّاسْ" على العامل الأجير في مزرعة العائلة.

(3)-حاج عيسى إلياس، وارجلان. دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (ق4-10هـ/10-16م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 2008-2009م، ص. 73-75.

(4)- بوتشيش، المرجع السابق، ص. 268-269.

(5)-الغبريني. أبو العباس أحمد (ت.704هـ/1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص. 189.

يربط الجندي بمؤسسة الجيش، ثم إنّ الشخص الذي أورده صاحب الدراية، قد تخلّى عن الجندية واشتغل بالعلم.[1]

تؤكد المصادر على وجود جيش نظامي يتكون في معظمه من صنهاجة، في حين تأرجحت مشاركة القبائل الأخرى على غرار زناتة والقبائل الهلالية بين الموالاة والعداء، ولكن لم يمنع هذا الجو القبلي المتعصب من إقدام عناصر غير صنهاجية على طلب الجندية في الجيش الحمادي في القلعة أو خارجها على مستوى الأفراد. فالدرجيني يقدم لنا معلومة مهمة تتعلق بإقدام شخص من زناتة رفقة ابنه على الانخراط في "الجيش القلعي"[2].وهي معلومة متميّزة تؤكد على التنوع القبلي، وربما المذهبي وسط الجيش الحمادي، ولكننا نجهل النِّسب الحقيقية لذلك التمثيل[3]؛ إذ أن الدرجيني صوّر لنا حادثة انضمام الابن وأبيه بمثابة الخيانة التي جلبت لهما السخط في الأوساط الزناتية. كما يقدم لنا نفس النص إفادة أخرى تتعلق باستقبال الجيش الحمادي لفئات عمرية مختلفة، وأحياناً متباعدة، باعتبار أن النصّ يتحدث عن انضمام الأب والابن معاً.

4- صانعوا العمائم:

انفرد صاحب الاستبصار بذكر هذه الحرفة وأصحابها، وهم صنّاع متخصّصون في صناعة العمائم مقابل أجرة قدرها دينارين وأزيد، ولهم حوانيت يضعون فيها قوالب من عود تسمّى الرؤوس توضع عليها العمائم بإتقان، فتبدو كالتاج على رأس صاحبها، وأمراء صنهاجة يلبسون نوعا مذهّبا فيكون غالي الثمن تساوي العمامة

(1)- نفسه، ص. 189.

(2)-الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص. 441. كما تطرح المعلومة تساؤلا حول الفئات العمرية المسموح لها بالانخراط في الجيش، كون الدرجيني أشار إلى انخراط الأب والابن معاً.

(3)- المصدر أشار صراحة إلى الانضمام، لكنه لم يشر إلى احتمال تخلّي الشخصان عن انتمائهما المذهبي.

500 دينار و600 دينار وأزيد.[1] ويبدو أن هذه الصنعة انتشرت في المناطق التي تواجدت فيها صنهاجة. بالأخص في القلعة حيث اشتهرت الأكسية القلعية.[2]

5- السيّاف:

هي من المهن التي اختصّ بها التاريخ الوسيط، واسمها مشتقّ من السيف، وهي مهنة مرتبطة بالشخص الذي يكلّف بتطبيق العقوبة التي تصدر عن الحاكم، وفي هذه الحالة ينحصر دور السيّاف في ضرب أعناق الناس الخارجين عن سياسة دولهم بإذن من الحكام أو القضاة، وفي حال الدولة الحمادية نجد إشارات قليلة، منها حادثة السيّاف المؤتمر بأمر حماد، عندما أمره بضرب عنق الشاب الذي أثبت عليه تهمة إقامة علاقة محرّمة مع امرأة متزوجة من رجل آخر.[3]

6- الصيّادون:

تعتبر حرفة الصيد من أهم الحرف في المدن الساحلية خاصة، كيف لا والمغرب الأوسط قد عرف منذ العهد القرطاجي بحركية وحيوية مدنه الساحلية ونشاطها التجاري. وفي الفترة الإسلامية حافظ بعضها على نشاطه مثل مدينة بونة، واسترجع بعضها نشاطها مثل بجاية وقد كانت من قبل تسمى صلداي، واستطاعت بجاية أن تحقّق انطلاقة قوية منذ الفترة الحمادية استمرت إلى غاية نهاية الفترة الوسيطة، إذ

(1)-مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، المغرب، 1985م، ص. 129.

(2)-دحدوح عبد القادر، عمران قلعة بني حماد عوامل التمدن وأسباب الخراب، أعمال الملتقى الدولي: مدينة قلعة بني حماد "ألف سنة من التأسيس 398-1427هـ/1007-2007م، جامعة المسيلة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2007م، ص. 153.

(3)-الحادثة انفرد بها البكري في مسالكه ضمن "نبذ من سير البربر". أنظر: البكري، المصدر السابق، ج02، ص.884؛ إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص. 268.

اعتبرت من أكبر الموانئ في الحوض الغربي للبحر المتوسط.[1]لا يقتصر المغرب الأوسط على نوع واحد من الصيد؛ بل نجد أنواع مختلفة، ولو أن المشهور أكثر هو صيد السمك، حيث يزاول هذه الحرفة صيادون يعيشون بالقرب من السواحل يزاولون مهنتهم على طول الشريط الساحلي، أورد الإدريسي اسم قرية صغيرة بين الجزائر وشرشال تسمى "هور" قريبة من البحر يسكنها مجموعة من الصيادين.[2] ويصطاد سكان جيجل الحوت بكميات كثيرة ومذاق لذيذ.

لم يقتصر الصيد على السواحل حيث انتشر في بعض المناطق الداخلية القريبة من الوديان حيث تتوفر أنواع من الأسماك. مثل المسيلة حيث يصطاد أهله سمكا صغير الحجم لكنه رفيع المذاق من نهر يمر على مدينتهم، وفي حالة اصطياد كميات كبيرة منه فإنه ينقل إلى القلعة، حتى أن الإدريسي يصفه -بنوع من المبالغة-بأنه "لم ير في بلاد الأرض المعمورة سمك على صفته."[3] وصيد المرجان، وهو نبات ينبت كالشجر ثم يتحجّر في قعر البحر يخرج أبيض اللون لينا، فإذا ضربه الهواء احمر وصلب.[4] ويعتمد سكان مرسى الخرز على صيده بكميات كبيرة، وهو أحسن أنواع المرجان، يأتي التجار من سائر البلاد إلى هذه المدينة لشرائه وإعادة بيعه بأسعار ثمينة. يخرج في اليوم حوالي 50 قاربا إلى عرض البحر لاستخراج المرجان، وفي كل قارب 20 رجلا تقريبا، ويصطادونه بآلات ذات رؤوس تصنع من القنب، يتم إنزالها من

(1)-فاليرين دومينيك، بجاية ميناء مغاربي(Bougie port maghrébin)، ج01، تر: عمارة علاوة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014م، ص. 43.

(2)-الإدريسي، المصدر السابق، ص. 130

(3)- نفسه، ص. 108

(4)-ابن سعيد الغرناطي "علي بن موسى" (ت.685هـ/1274م)، الجغرافيا، تحرير وتعليق وتقديم: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط01، 1434هـ/2013م، ص. 143؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص. 153

المركب إلى قاع البحر فتلتف الخيوط على نبات المرجان فيجذبه الصيادون إلى سطح البحر.[1]

بالإضافة إلى الصيد البحري والنهري، انتشر في المغرب الأوسط، مثله مثل سائر الأقاليم الصيد البري، والإشارات حول هذا النشاط مقيّد بشكل محتشم في بعض المصادر، فعن بعض الحيوانات المستهدفة في هذا النوع من عمليات الصيد، نجد حيوان الظبي، والأرنب، والحبّار، وغيرها.[2] وتكشف لنا بعض المصادر مكانة هذه الحرفة وتأثيرها على الأسر التي تسترزق منها، فقد اشتكت امرأة من زوجها، "وكان صيّاداً، فقالت إنه يأكل النصف، ويدع لجميع العيال النصف."[3]وهذا من قلّة ما يصطاده. كما بيّنت لنا النوازل مكانة حرفة الصيد بالنسبة لبعض العائلات في كونها مصدر رزقها الرئيسي. كما تبين أخرى حجم الخلاف الذي يقع أحياناً بين الممتهنين لنفس الحرفة، على غرار نازلة تفيد أن رجلا نصب شركا على طعم رجل آخر كان وضعه للصيد، فلمن يكون الصيد؟ لصاحب الطعم أو لصاحب الشرك؟ أو رجل يطارد صيداً، فسبق إليه رجل آخر، فلمن يكون؟[4] وربما استقبل الفقيه نازلة في الصيد لا تستدعي أدنى اجتهاد، فيكون جوابه متميزاً كتميز النازلة، فقد سَأَل رجل قائلا: "رميت صيداً فتوارى عني، فجئت فوجدته ميّتا فلم آكله؟ فقال[الفقيه]: مالك لم تأتنا به فنأكله!"[5]

(1)-الإدريسي، نفس المصدر، ص. 153.

(2)-الدرجيني، المصدر السابق، ج02، ص. 454.

(3)-مجهول، المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، تح: سليمان بن ابراهيم بابزيز، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط01، 1430هـ/2009م، ص. 84.

(4)- مجهول، المعلقات، ص. 140 وما بعدها.

(5)- نفسه، ص. 163.

7- الجزّارون:

الجزارة من الحرف القديمة، وهي منتشرة في مختلف مناطق بلاد المغرب الأوسط، وبالنظر إلى قيمة البضاعة التي يبيعها الجزار، فإن الإقبال عليه يكون من الفئات الميسورة، ولا يمنع ذلك من وقوف الضعفاء والفقراء على عتبات محلاّتهم، طلباً لفضل الجزار أو الزبائن الميسورين عليهم. وتبدو من الظواهر الشائعة، حتّى أن الفقهاء حاربوها وعدّوا الوقوف عند الجزارين من علامات زيادة الفقر.[1] ولم تعدم كتب النوازل حلّ الإشكالات المتعلقة بسوء التفاهم الذي قد يقع بين الزبون والقصّاب، كأن يتراجع الزبون عن الشراء. فقد وردت نازلة في زبون أعطى "درهماً لقصّاب يشتري به لحما فخلطه مع الدراهم، ثم لم يتفقا على الشراء، فحلف صاحبه أن يأخذ درهمه بعينه."[2]

8- الرعاة:

الرعي من الحرف القديمة في بلاد المغرب؛ بل إن نصف قبائل البربر، والمعروفة بالبتر اشتهرت بالترحال والرعي، ثم لما قدمت القبائل الهلالية حافظت على حرفة الرعي واستأثرت به وظلّت عاكفةً عليه إلى غاية الفترة الحديثة، ولا زال بعضها وفياً لهذه الحرفة. وقد كان الرعاة حاضرون في نوازل الفقهاء، أحياناً بمناسبة تأديتهم لواجباتهم الدينية، وعلى رأسها تأدية صلواتهم، فقد كان بعضهم يسأل عن عباداته وهو يمارس نشاطه الرعوي، كأن يسأل أحدهم الفقهاء عن جواز التيمم إن هو ابتعد مع ماشيته في مناطق يقلّ فيها الماء، لذلك كان الفقهاء ينصحون الرعاة على أخذ الماء معهم للأماكن التي يدركون أن لا ماء فيها. ومثل هذه النوازل تفتح آفاقا حول

(1)-مجهول، المعلقات، ص. 107.

(2)-المازوني. "أبي زكرياء يحي بن موسى" (ت.883هـ/1478م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج01، تح: قندوز ماحي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط01، 1433هـ/2012م، ص. 292.

حياة البدو عامة "بربراً وعرباً.[1] والبعض ممن كان يمتهن هذه الحرفة لا يرى لنفسه حرفة مناسبة غير الرعي احتياطاً لدينه، فقد صرحت نازلة عن أحدهم أنه "إن تحرف بغير هذه الحرفة وقع في الربا لا محالة."[2] وهي حالات انعكست على بعض الزهّاد والمتصوفة.

9- الحمّالون:

حرفة الحمّالة تبدو من الحرف القديمة، بحكم حاجة الناس إليها في إيصال بضائعهم من مكان إلى آخر داخل المدن والقرى، أو من مدينة لأخرى بهدف التجارة. أو ربما احتاجت بعض الفئات غير الميسورة التي لا تتوفر على أيّ وسيلة من وسائل المواصلات (جمل أو خيل أو بغل) إلى أصحاب هذه الحرفة لينقلوا لهم متاعهم، وفي هذه الحالة قد يحتاج صاحب الحمل إلى الدابة مع صاحبها ليقضي له حاجته، أو يكتفي باستئجار الدابة ليتصرف فيها بنفسه، فنقرأ في كتب النوازل أن الرجل "أكرى دابّة أياما معينة، إلى بلد معينة."[3] ويمكن حمل كل شيء على

(1)-حول هذا الموضوع، أنظر: التليلي محسن، الإسلام البدوي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط01، 2010م.

(2)-المازوني، الدرر المكنونة، ج.1، ص. 495. يجسّد هذا القول تأثراً بحديث نبوي، رواه أبو سعيد الخذري عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»، البخاري، صحيح البخاري، "باب التعرّبِ في الفتنة"، ص. 835.

(3)-تدقّق النوازل في شروط كراء الدواب، كأن يشترط عليه ألا ينزع عنها بردعة لوجود قرحة فيها، كما تثير النوازل إشكالية استغراق المدة اللازمة المتفق عليها، وهلاك الحيوان أثناء فترة الكراء. أنظر: ابن أبي زيد القيرواني "أبي مُحَمَّد عبد الله" (ت.386هـ/996م)، فتاوى، جمع: لحمر حميد، ط02، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ص.207، 216-217.

الدواب، كحامل الطعام.[1] ويحتاج الشيخ العاجز لكي يصل إلى المسجد الجامع يوم الجمعة وهو بعيد عنه إلى "كراء دابة أو استعارتها كل يوم جمعة ليصل بها للجامع."[2]

الحمالة كغيرها من المهن المتواضعة هي مقصد وهدف لبعض الزهاد والمتصوفة الذين يتعمّدون الهروب إلى هذا النوع من المهن، فقد ترجم ابن خلدون صاحب البغية لعدة أعلام من المتصوفة ممن أصبح يحمل لقب الحمّال. وتكثر هذه الفئة في الأسواق والمراسي، على غرار ميناء بجاية، أين تكون الحاجة إليهم شديدة في تسريع شحن البضائع إلى السفن أو إنزالها منها. وتدخل مساهمتهم ضمن الرسوم التي تفرضها الدولة عادة على التجار.[3] وقد حضرت هذه الفئة في نوازل الفقهاء، من خلال التعقيدات التي تطرأ على علاقتهم بأصحاب الأحمال، فمن الحالات أن يتنصّل الحمّالون من مسؤولية تضييع الأحمال التي يحملونها على دوابهم ثم يطرحونها أرضا ويفرّون بدوابهم فراراً من اللصوص.[4]

أورد ابن الوزان نموذجاً مشابهاً للحمّال لكن بتسمية مختلفة، مستعملاً لفظ "البغّال" وهي تبدو من خلال وصفه، "مهنة حقيرة وشاقة"[5] والأجر الذي يتقاضاه البغّال زهيد جدا، لذلك يعمد معظم من يمتهن هذه الحرفة إلى السرقة في الأسواق، كسرقة مستلزمات الخيول التي يغفل عنها أصحابها أثناء قيامهم بعمليات البيع

(1)-ابن بشتغير اللورقي المالكي "أحمد بن سعيد" (ت.516هـ/1122م)، نوازل أحمد بن سعيد بشتغير، درا وتح وتع: الريسوني قطب، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 1429 هـ/ 2008م، ص. 316.

(2)-المازوني، الدرر المكنونة، ج02، ص. 553.

(3)-عويس عبد الحليم، دولة بني حماد، ط01، دار الشروق، القاهرة-مصر، 1400هـ/1980م، ص. 228؛ حول كراء الرواحل والسفن، أنظر: ابن عاصم، تحفة الحكام، ص. 79.

(4)-ابن بشتغير، نفس المصدر، ص. 317.

(5)-ابن الوزان الزياتي، (ت. قبل957هـ/1550م)، وصف إفريقيا، تر: حميدة عبد الرحمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، 2005م، ص. 396.

والشراء، وهو ما وقع بالضبط لابن الوزان الزياتي نفسه، حيث سرق منه عنان جواده في إحدى أسواق بني راشد[1] بالمغرب الأوسط.

10- قطاع الطرق:

ليس غريباً الحديث عن هذه الظاهرة كحرفة اتخذها أفراد وجماعات في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي، كعمل يضمن لهم مصدر رزق مشبوه؛ بل إن الإطار العام الذي رسمته لنا مختلف المصادر يجعلنا نتصور أن قطع الطريق ظاهرة عانى منها المغرب الأوسط في مختلف مناطقه وطيلة الفترة الوسيطة. وقد أضرّ محترفو قطع الطريق كثيراً بمصالح الناس والدولة على السواء، وفتنوا الناس في أمور دينهم ودنياهم، ووصل الأمر إلى تعطيل ركن الحج بسببهم، وهو من أركان الاسلام.[2]كل هذا بسبب ضعف السلطان واختلال الأمن.

امتهن هذا العمل أفراد وجماعات من قبائل البربر والعرب على السواء، فمن بين القبائل التي اشتهرت بممارسة هذا العمل بنو ورزمار قرب أريغ، فقد اشتكى منهم أبي عبد الله مُحَمَّد بن بكر لجماعة من أريغ ليضربوا على أيديهم، ولكنهم استصعبوا الأمر فهجرهم أبو عبد الله إلى وارجلان. وكان البعض يتنازل عن ضيعته وما تحويه من نخيل وأشجار وزروع، ويستبدل وطنه بأوطان أخرى إذا اشتدّت وطأة القطّاع ولم يوجَد لهم رادع.[3]وربما انقطع العلماء عن مدينة أو منطقة خوفا على أنفسهم من قطاع الطرق، فيخسر بذلك الناس الكثير بفقدهم العلماء.[4]وقرب بلاد أريغ توجد

(1)- نفسه، ص. 396-397.

(2)- اجتمع فقيهين من فقهاء وارجلان، فرأيا أن كسب المال مع انقطاع السبيل يسقط الحج، لازدياد الجور فيصبح المسافر مهدّدا في نفسه وزاده، فتنعدم الاستطاعة ويسقط الحج. أنظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص. 398.

(3)-الدرجيني، نفسه، ص. 386.

(4)-عن هجرة العلماء للمدن بسبب قطاع الطرق. أنظر مثالا ورد عند الدرجيني، نفسه، ص.386.

قبائل بني غمرة، "وهم قوم ظلمة، فتّاكون، أهل فساد وغارات."[1]واشتهرت بعض القبائل بهذا العمل، حتّى وصلت شهرتهم في الآفاق، فقد كان معروفا عند سكان وتجار القلعة، أن ما يجلبه بني ينجاسن إلى سوق القلعة من أغنام يبعث على الريبة والشبهة، حتّى أفتى أحد علمائها بتجنب الشراء من السوق ثلاثة أيام دفعاً للريبة والشبهة.[2] وبعد دخول القبائل الهلالية إلى المغرب أصبح لها نصيب من الظاهرة، فصّلت حولها مختلف المصادر. بالإضافة إلى هؤلاء تقدم المصادر باحتشام معلومات حول ظاهرة السرقة في إحدى أسواق بجاية، وللسوق حراسه وهم يسمّون حرس السوق، يقومون بدوريات ليلية وربما شكّوا في أحد بأنه سارق فيوجعوه ضرباً بالسياط على ظهره.[3]

11- المتسوّلون:

يأتي المتسوّلون في أسفل ترتيب المجتمع المغربي الوسيط، ولا يقل عنهم شأناً سوى فئة العبيد. والمتسول هو القاعد عن الطلب، والمحتاج إلى الناس، ومتى احتاج لهم احتقروه واستخفّوا به وجهلوا قدره.[4] والمعلومات حول التسوّل في المجتمع الإسلامي في الفترة الوسيطة شحيحة جداً، وهي إن ذكرت لا تذكر قصداً للظاهرة، وإنما عرضا فقط، وهذا ما يؤكّد ظاهرة سلبية اقترنت بالكتابة التاريخية في الفترة الوسيطة، في أنها موجّهة للدول والممالك والانجازات السياسية والعسكرية للحكّام من ملوك وأمراء وقادة جيوش، وليست موجّهة لدراسة الظواهر الاجتماعية بمختلف

(1)-ذكر الدرجيني أن هؤلاء القوم نزل عليهم حماد بعسكره فأجلاهم ودمّر بلادهم. وربما كان يقصد الجيش الحمادي، لأن الدرجيني كان يؤرخ للفترة الممتدة بين 450-500هـ.أنظر: الدرجيني، نفسه، ص. 412-413.

(2)-الدرجيني، نفسه، ج.2، ص. 471-472.

(3)-ابن الزيات التادلي. أبي يعقوب يوسف بن يحي(ت.617هـ/ 1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، منشورات كلية الآداب، المغرب، ط2، 1997م، ص. 370.

(4)-الأشبيلي البجائي، المصدر السابق، ص. 42.

تفاعلاتها. ويعتبر المتسولون من أكثر الفئات المهمّشة، على خلاف فئة العبيد مثلاً، التي كان لها حضور أفضل، ممّا يبيّن أن المسألة متعلقة في أحد أبعادها بمدى القدرة على العمل والمساهمة في الإنتاج، فالمتسوّل بالرغم من كونه حرًّا، كما يحتل مكانة اجتماعية أحسن من العبد في السلم الاجتماعي، إلا أن حضوره في المصادر يكاد يكون منعدما، باعتباره عالة على الدولة والمجتمع، وربما تكون مصادر التراجم الصوفية الملجأ الوحيد التي منها نتزوَّدُ بنتف عن هؤلاء، باعتبار أن المتصوفة هم أكثر من تعاطف مع الفئات المقهورة.(1)

أثبت لنا النص القرآني ظاهرة التسول في قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾ (سورة الضّحى، الآية 10)، ودعانا الله سبحانه وتعالى إلى التعامل مع هذه الفئة بمبدأ الإحسان اللفظي والعملي. وعلى الرغم من قناعتنا بِقِدَم هذه الظاهرة في بلاد المغرب الأوسط، إلا أن المعلومات لا تسعفنا في تقصّيها وتحليلها بالشكل المأمول. ويتناسق انتشار ظاهرة التسوّل في المجتمعات زيادة ونقصانا، تبعاً للمستوى المعيشي لتلك المجتمعات، ويمكن الاستدلال على استفحالها عندما تشتد الجوائح والأوبئة، والأمراض، مما ينعكس بشكل مباشر على أقوات الناس، فيتحول الكثير منهم من مكتفين إلى محتاجين.(2)

يحظى المتسوّل عادةً بتعاطف الفقهاء والصلحاء في ظاهرة تعكس تصدّر هذه الفئة في مواجهة العديد من المشاكل والأزمات التي عرفها مجتمع المغرب الأوسط. فربما كان السائل شاباً وتجاهله عموم الناس وخاصتهم، أو نهره أحدهم فلا يجد من يتعاطف لحاله سوى أحد الفقهاء أو الزهّاد، فهذا فقيه بجاية أبو زكريا يحي الزواوي جمع من أعيان المدينة قدراً من المال والمؤونة، في عام عرفت فيه المدينة مجاعة، ثم قام

(1)-بوتشيش، المرجع السابق، ص. 214.

(2)-البياض عبد الهادي، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والأندلس (ق.6-8هـ/12-14م)، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ط.1، 2008م، ص.21.

بجمع المساكين والمتسولين من الطرقات، فاشترى "لهم من اللباس ما يدفع عنهم البرد، واشترى لهم ما يقوم بهم من الطعام، وجعل عليهم قيماً يقوم بهم، وأغناهم عن السؤال."[1] ممّا يؤكد على تصدر الزهاد للعديد من المواقف الاجتماعية، التي تبدو من صميم مهام السلطة السياسية، كما تؤكد قناعة الزهاد أن بخل الناس وعدم إقدامهم على مساعدة المتسولين هو السبب في نزول القحط والمجاعات.[2] وفي حالات أخرى يبدو الدّافع إلى التسول هو انتقال الشخص من مدينة إلى أخرى، هروباً من أوضاع سياسية واقتصادية سيّئة، فيضطرّ إلى السّؤال؛ وهي حادثة أوردها الدرجيني عن شابّ "اقرع" من مزاتة جاء يسأل المعروف في "آجلو"، فازدراه أحد العامة ونهره،[3] ثم تدخّل الفقيه أبو الربيع سليمان الزلفيني موبّخاً الرجل على طريقة تعامله مع السائل، وطلب الحاضرين في حلقته أن يعطوا السائل مسألته.[4]

كان المتسولون يقفون على أبواب المنازل يسألون ما يسدّون به رمقهم، فقد سُئِل أبو عمار عبد الكافي "في رجل وقف سائل بباب داره، فأخرج له الطعام فلم يجده. قال: ينتفع به، أو يطعمه لغيره إذا أراد."[5] وأفتى نفس الفقيه أن الشخص

(1)-ابن الزيات، المصدر السابق، ص. 429.

(2)-بوتشيش، المرجع السابق، ص. 224. نقلاً عن: التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، بيروت، (د.ت)، ص.60.

(3)- يذهب أحد الباحثين إلى أنه بسبب الإهانة والسبّ التي كانت تطال المتسولين القادرين على العمل، كان التسوّل محدوداً في البيئة الأندلسية، فأصبح عدم العطاء دافعا طبيعيا إلى تقليص الظاهرة. بوتشيش، المرجع السابق، ص. 217. نقلا عن: ابن سعيد، رواية المقري، نفح الطيب، طبعة بيروت 1965م، تح: إحسان عباس، ج1، ص. 205.

(4)-من فقهاء الطبقة العاشرة عند اباضية المغرب (450-500هـ)، الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص. 442.

(5)-مجهول، المعلقات، ص. 71؛ وهي عادة بعض المتصوفة أن يُخْرِجَ للسائل الواقف على باب داره، طعامه. أنظر: بوتشيش، المرجع السابق، ص. 219.

الذي يخرج شجرة "للمساكين فلا يجوز له أن يأكل منها."[1] كما اعتاد المتسولون الوقوف على أبواب المساجد مستغلين التأثير الديني عند المصلين في العطاء، خاصّة في المناسبات على غرار الجُمَع، وكذا دخولهم الأسواق حيث المبادلات المالية، كما يقفون على أبواب الدكاكين، وخاصة التي يقصدها علية القوم كمحلات الجزارة.[2] ويستجدي معظم المتسولون بالتعبير عن سوء حالهم من فقر ومرض، وكثرة عيال.[3] ونجد حالات قليلة عن متسولين انقلبوا من التسوّل إلى الإنتاج والعمل، فقد كان بعضهم يلجأ إلى العلماء والمشائخ، فيشيروا نعليه بما هو أحسن من التسول، ويساعدوه على الاسترزاق حتى لا يسأل. فهذا أبو يعقوب يوسف الطرفي الوارجلاني جاءه رجل من جبل دمّر، فقال: يا شيخ، بلغت إليّ الحاجة وجئتك أريد فضلك ومعروفك" فأقرض له الشيخ مبلغاً من المال ليحسن من حاله ثم ردّ له ماله.[4]

13- النجارون:

تعتبر النجارة من الحرف القديمة في تاريخ البشرية،[5] ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم مقترنة بقصّة نوح عليه السلام عندما أوحى إليه ربّه بأن يصنع سفينة النجاة، فقال تعالى: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ**﴾ (هود،37)، وهي من ضروريات العمران البدوي والحضري على السواء، مع اختلاف في البساطة والتفنّن. فأهل البادية يصنعون من الخشب أشكالاً بسيطة من الأوتاد لخيامهم، والرماح والسهام لسلاحهم. وأمّا أهل المدينة فيتّخذون من

(1)-مجهول، المعلقات، ص. 71.

(2)- نفسه، ص. 107؛ بوتشيش، المرجع السابق، ص. 217.

(3)-بوتشيش، نفسه، ص. 221.

(4)-مجهول، المعلقات، ص. 83.

(5)- ابن خلدون، المقدمة، ج02، ص. 80.

الخشب سُقُفاً وأبواباً لبيوتهم، وكراسي لجلوسهم.[1] وهي حرفة انتشرت في مختلف حواضر المغرب الأوسط، والمصادر تؤكد وفرة المادة الأولية، خاصة في الغابات المحيطة بمدينة بونة وهو من الكثرة بحيث ينقل إلى مناطق من المغرب.[2] ويختص بمهنة النجارة من يعمل في دور صناعة المراكب البحرية،[3] تركّزت هذه الدور خلال العهد الحمادي في كل من بجاية وبونة ومرسى الخرز.[4]

وربما تم توظيفها في منظومة الأمثال والحكم، حيث شبّه الدرجيني ثلاث من المشايخ الذين أرّخ لهم بالنجارين، أحدهم يحسن قطع الخشب من "الشعراء"، والثاني يشقّها وينشرها، والثالث يركب الألواح ويسمّرها فينجز مختلف الأدوات،[5] وتشير الآثار المتبقية من الفترة الحمّادية في مدن بجاية والقلعة على بلوغ الصناعة الخشبية مبلغاً راقياً، أكدته معظم الدراسات الأثرية حول تلك الفترة، ولا يزال بعضها شاهداً على حالة الإبداع والتي تحتفظ به بعض المتاحف الوطنية.

14- الخياطون:

حرفة الخياطة قديمة في التاريخ لحاجة الإنسان الفطرية في ستر جسده، وطلب الدفء. فيقوم بحياكة ما توفر من صوف وكتّان وقطن، وعادة ما يصنع من الصوف الأكسية للاشتمال، ومن القطن والكتان مختلف الثياب واللباس.[6] وهي مهنة متواضعة في ترتيب السُلَّم الاجتماعي، فالحالات التي سنعرضها تؤكّد هذا المنحى، وما يسترعي الانتباه حول هذه الحرفة أنها كثيراً ما كانت ملاذاً للمتصوفة والزهّاد، فمجرد

(1)- ابن خلدون، المقدمة، ص. 79.
(2)- البكري، المصدر السابق، ج02، ص. 716.
(3)- ابن خلدون، المقدمة، ج.2، ص. 80.
(4)- البكري، نفس المصدر، ص. 718؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص. 116، 154.
(5)-الدرجيني، نفس المصدر، ج2، ص. 398.
(6)- ابن خلدون، المقدمة، ج02، ص. 80-81.

إقبال هذه الفئة على هذه الحرفة هو دليل آخر على تواضعها.[1] كما تُقَدِّم لنا دلالة انثروبونيمية من خلال أسماء الأشخاص الذين ارتبط اسمهم بهذه الحرفة، فأصبح لفظ "خياط" أو "الخياط" يحمل دلالة واضحة على علاقة الحرفة بالشخص، أو بأحد أجداده. على غرار بعض متصوفة تلمسان من أمثال أبي عثمان بن الخياط وأبو العباس بن الخياط، وأبو إسحاق الخياط. ومن المعلومات القليلة التي عبّرت صراحة عن هذه الحرفة، وهي حرفة قديمة في المغرب الأوسط، أشارت المصادر من خلال معلومات قليلة إلى انتشارها في تاهرت الرستمية، فقد كان نزول عمر بن حفصون – الثائر على بني أمية في الأندلس–عند رجل من الخيّاطين. وللاستدلال على تواضع هذه الحرفة، النقد الذي لاقاه ابن حفصون من طرف أحد التاهرتيين، وتحريضه إياه على العودة إلى الأندلس بالقول له: "يا منحوس تحارب الفقر بالإبرة!"[2]وظلّت هذه الحرفة متواضعةً في الفترة الحمادية، فقد روت إحدى المصادر، عن أحد سكان بجاية في زمن أبي مدين شعيب أنه "استعمل حرفة الخياطة للمعيشة فلم يكفه ما ينتحله من ذلك فضاقت حاله وساءت"[3] وتبدو من خلال الوصف أنها حرفة قليلة

(1)–يتخلى بعض الفقهاء عن حالهم الميسور وينتقلون إلى حياة الإقلال والزهد، ولترجمة هذا التحول يقبلون على حرف الخياطة والصيادة، وحراسة الأجنة، ثم أصبحت نسبة المتصوف إلى الحرفة كنية. أنظر: الصدفي. طاهر بن مُحَمَّد (ق.6هـ/12م)، السِرُّ المصون في ما أكرم به المخلصون، تح: حليمة فرحات، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط01، 1998م،ص.27؛ومن ألقاب المتصوفة التي ترمز إلى الحرف المتواضعة لقب اللجام، منهم أبو اسحاق بن اللجام، استنقصه أحد رجال تلمسان بسبب لقبه= =على الرغم من أنه كان قاضياً في العهد الزياني. ولقب الفحام، مثل أبو الحسن علي بن احمد المشهور بابن الفحام. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ص. 118، 119

(2)–ابن القوطية "أبي بكر" (ت.367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص. 77.

(3)–الغبريني، المصدر السابق، ص.59؛ ومتصوّف آخر يشتغل في الحياكة، أنظر: ابن مريم "مُحَمَّد بن أحمد التلمساني" (حي في 1025 هـ/1616م)، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تح: بوباية عبد القادر، ط 01، دار الكتب العلمية، لبنان، 2014 م، ص.111.

الفائدة، حتى اشتكى لوالدته "فأخبرها بضيق حاله وما انتهى إليه أمره، ورغب أن يجد عندها فرجا"[1] وظلت هذه الحرفة طيلة الفترة الوسيطة متواضعة، يضطر بعض ممتهنيها إلى مزاولة نشاط ثان. فقد كان أبو الحسن عبيد الله بن مُحَمَّد بن فتوح النفزي (ت.642هـ/1244م)، وهو من فقهاء بجاية يأكل من كدّ يده من الخياطة؛ ولأنها حرفة لا تدرّ الكثير من المال كان يحترف "بعض التجارة"[2] وإلى نهاية الفترة الوسيطة ظلت هذه الحرفة ملاذاً لبعض العلماء والمتصوفة، وأصبحت ملازمة لأسمائهم، منهم إبراهيم بن علي الخيّاط،[3] كما تبدو فرصة لمن أراد الانتقاص من قيمة منتحلها، فهذا ابن خلدون صاحب العبر ينتقص من قيمة أحدهم فيجعل قيمة الإنسان مقترنة بحرفته، فقال عنه أنه "مجرد خيّاط بسيط من بجاية".[4]

15- الفخارة:

من الحرف التي وثّقتها المصادر لكن بشكل مقتضب، حرفة صناعة الفخار وهي حرفة والد عبد المؤمن بن علي، حيث "كان فخاراً يعمل النوافخ."[5]على حدّ وصف إحدى المصادر؛ والواقع أن الفخارين من فئة الحرفيين المنتشرين على نطاق

---

(1)-الغبريني، نفس المصدر، ص. 59؛ التادلي، المرجع السابق، ص. 266؛بوتشيش، المرجع السابق، ص. 235.

(2)-الغبريني، نفس المصدر، ص. 177.

(3)-ابن مريم، نفس المصدر، ص. 142.

(4)-ابن خلدون، العبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، عَمَّان-الأردن، بيت الأفكار الدولية، (د.ت)، ص. 1726؛ يعتقد أحد الباحثين أن ترتيب الحِرَف بين بداية العصر الوسيط ونهايته يحتاج إلى إعادة نظر. دومينيكفاليرين، المرجع السابق، ج01، ص. 278.

(5)-نافخ هي "المجمر" بالعامية الجزائرية والمغربية اليوم. أنظر: ابن أبي زرع "علي" (ت.726هـ/1325م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مرا: عبد الوهاب بنمنصور، المملكة المغربية، المطبعة الملكية، ط02، 1420هـ/1999م، ص. 235. (كلام المحقّق)

واسع حتى لو لم تسعفنا المصادر بالمادة اللازمة في هذا المجال، فمن خلال طبونوميا المدن نجد أن العديد من أبواب المدن سميت باسم هذه الحرفة، كدليل على انتشار أصحاب الحرفة في موقع معيّن من المدينة. ومن الإشارات القليلة تَبيَّن أن لمدينة جزائر بني مزغنة في منتصف القرن السادس هجري باب الفخّارين، وهو أحد أبوابها على ساحل البحر.[1] كما يتأكد انتشار هذه الحرفة من خلال كثرة الأواني الفخارية التي يتم اكتشافها بشكل مستمر في بعض المواقع التاريخية، على غرار القلعة.[2] ومن الحرف القريبة من حرفة الفخارين، توجد حرفة الخزافين وهم المهتمون بصناعة الخزف، وحسب التعريف الأثري للخزف هو ما كان مصنوعاً من طينة طبيعية مضاف إليها مادة السِّليكا (رمل ناعم)، والكاوْلين (طينة بيضاء صلصالية)، ومغطّى ببطانة، ومزجّج بطلاءات تلوينية وزجاجية.[3] وبِصرف النظر عن إهمال المصادر لذكر هذه الفئة من الحرفيين، تبقى المعالم التاريخية والقطع الخزفية والشقف الفخارية في المدن الحمادية على غرار القلعة وبجاية شاهدةٌ على حضور هذه الفئة من الحرفيين.

16- الفرّانون:

الفرّان هو صاحب الفرن الذي يأخذ إليه الناس خبزهم لطهيه، وكان الخبز يصنع بطرق مختلفة: الخبز بالقمح، والخبز بالشعير، والخبز بالسميد.[4] وفي الحالات

(1)-ذكره ابن عبد الملك بمناسبة الحديث عن وفاة أحد أعلام المدينة سنة 548هـ/1153م، كما أفادنا بوجود مقبرة بالقرب من هذا الباب على ساحل البحر تشبه وصف الغبريني لمقابر بجاية بمحاذاة أبواب المدينة. انظر: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، (السفر الاول-القسم الأول)، تح: مُحَمَّد بن شريفة، دار الثقافة، لبنان، ص. 143-144.

(2)- دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، ص. 153. وعن الصناعات الخزفية والفخارية في القلعة، أنظر: لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص. 183 وما بعدها.

(3)-لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص. 184.

(4)-مجهول، المعلقات، ص.204؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص. 162.

الثلاث تعتبر الخميرة ضرورية لتحضير الخبز، وهي عبارة عن دقيق يعجن بالماء أو بشيء من الأدهان أو اللبن، ويترك ليلة أو أكثر.

يستقبل الفرّان مختلف فئات المجتمع، بحكم أنه يبيع لهم وجبة أساسية[1]. أما بالنسبة للعائلات الميسورة التي لها عبيد وإماء فإنها تستنكف عن إيصال الخبز بنفسها. بالمقابل نجد بعض الشخصيات المرموقة كالفقهاء مثلاً تصرّ على إيصال خبزها بنفسها دون مساعدة مِن أحد. وقد كان أحد فقهاء بجاية "يحمل خبزه إلى الفرن بيده، وكان يرغب في أن يُحْمل عنه، فيتمنع من ذلك"[2] وهو نفس حال أحد فقهاء تلمسان أبو مُحَمَّد المليتي حيث "كان يخدم نفسه بحمل خبزه إلى الفرن."[3] وهذه من الإشارات التي تختارها مصادر التراجم الصوفية للاستدلال على تواضع الشخصيات المترجم لها. وهي في أحد أبعادها تعبّر عن درجة التكافل الاجتماعي داخل المجتمع المغربي، وتبيّن خاصة مكانة الفقهاء عند العامة، حيث يتقرّبون إليهم بالخدمة احتراماً لهم ولعلمهم وزهدهم.[4]

(1)-يعتبر دقيق الحنطة أو الشعير هو الأجود. أنظر: الجزائري. خليل بن اسماعيل، مخطوط الذخائر النفيسة لدفع الأمراض العويصة، رقم: 1763، المكتبة الوطنية، الجزائر، 111/ ظ؛ لكن خبز الشعير أضعف غذاءً من خبز القمح. أنظر: ابن حبيب القرطبي. عبد الملك (ت.238هـ/852م)، مختصر في الطب، تع: مُحَمَّد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1424هـ/2004م، ص. 65.

(2)-هو علي بن عمران المليانى المعروف بابن أساطير (ت.670هـ/1271م). الغبريني، المصدر السابق، ص. 199.

(3)-ابن خلدون، بغية الرواد، ج01، ص. 129؛بونابي، المرجع السابق، ص. 158-159.

(4)-الشفشاوني. مُحَمَّد بن عسكر الحسني(ت.986 هـ/1578م)، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر، تح: حجي مُحَمَّد، ط 04، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، المملكة المغربية، 2015 م، ص.26.

17- الزبّالون:

مِنَ المهن المنقرضة التي تبوح بها بعض المصادر والتي نجدها في الواحات الصحراوية، ومنها القريبة من وارجلان، حيث "يبيعون زبل مراحضهم"[1] وهم يحتاجونه ليضعوه في جناتهم والتجربة عندهم علّمتهم أنه ضروري لتسميد أرضهم "لأنها في غاية الجفاف"[2]، تبدو الظاهرة شائعة عند معظم سكان واحات المغرب، بسبب افتقارها إلى الأسمدة، فقد وثّقها التيجاني بالنسبة لسكان قابس وقال أنهم يستعملونها لتسميد نخيلهم، ولسكان الجريد وهم يُعَيَّرون بذلك،[3] ثم نجدها عند حسن الوزان في نهاية العصر الوسيط، حيث وصف نفس الظاهرة في واحات تيغورارين (تيميمون)، وهم يحتاجون إلى كميات كبيرة من الأسمدة، لذلك يعمدون إلى إعارة "مساكنهم للغرباء بدون تعويض كي يحصلوا على سماد الخيل وبراز الآدميين."[4]

يباشر هذه المهنة دلاّل المرحاض الذي يمشي بالزبل في الإناء، وهم يرون أن الزبل يجب أن يكون جافا حتى يكون نافعا، لذلك تجدهم لا يدخلون المراحض بالماء لئلا يفسد الزّبل، وإنما يغتسلون بعيداً عن المراحض، والدلاّل يمشي بين المراحض ليجمع زبلها "فإذا كان جافاً حرص عليه، وإذا كان رطباً زهد فيه."[5] أما عن بيع زبل الدواب فيبدو أنها من الأشياء المألوفة في تلك الفترة، وهي تستعمل كسماد للأرض المزروعة، خاصة في المناطق التي تكون فيها التربة فقيرة من الأسمدة. وقد سئل

(1)-مجهول، الاستبصار، ص. 156.

(2)-مجهول، الاستبصار، ص156.

(3)- التيجاني، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد، (ت.717هـ/1317م)، رحلة التيجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981م، ص. 90، 160

(4)- حسن الوزان، المصدر السابق، ص. 505

(5)-مجهول، الاستبصار، ص. 156.

بعض الفقهاء عن بيع زبل الدواب، فأدرجه بعض الفقهاء ضمن البيوع الفاسدة.[1] وفي سياق ذي صلة، تنقل لنا إحدى مصادر تراجم المتصوفة إقدام أحدهم على النداء عند "ابواب الديار: من أنقل له الزبل ويعطيني ما أمكن. فينقل الزبل على رأسه ويعطى كسر خبز فيحملها إلى الفقراء ويأكلها معهم."[2] وهي ظاهرة تبين بحث بعض المتصوفة على أكثر المهن تواضعا وحقارة، لغرض إذلال النفس، التي يرون أنها السبيل للارتقاء في درجات التصوف.

18- الغطّاسون:

اشتهر بهذا الاسم رجال حرفتهم النزول إلى وسط الآبار والعيون والغطس فيها، لتنقيتها من الأتربة والأوساخ، وعرفت هذه الحرفة رواجاً في واحات المغرب الأوسط، وفي واحات وارجلان خاصة. وهي من الحرف القليلة التي حافظت على نسقها طيلة قرون انطلاقاً من الفترة الوسيطة إلى الحديثة. فقد وصفتها إحدى المصادر الوسيطة، ثم أكدّت إحدى الدراسات الحديثة على استمراريتها في واحات ورقلة إلى غاية منتصف القرن العشرين ميلادي. يشير الدرجيني إلى عزم أحد الفقهاء هو أبو الربيع سليمان بن موسى الزلفيني على حفر عين "بئر" أو كنسها في نواحي وارجلان، فأحضر له بعض أصدقائه مجموعة من العبيد لمساعدته، ومما لاحظه أنهم "يغنون أثناء العمل، مثلما يغنى سائر العبيد."(3)، فالواضح أن المتصدي لهذه الحرفة من الفئات الدنيا للمجتمع. ثم يؤكّد الباحث أَعْزامْ صاحب كتاب غصن البان في تاريخ وارجلان على تواضعها؛ إذ كان شاهداً عليها ورأى أنها آيلة للزوال، خاصّة مع ظهور الآلات الحديثة والمتطورة التي تستخرج المياه الجوفية، كما أنّ ممتهني هذه الحرفة لا يكسبون أموالاً كثيرة من عملهم الشاقّ، وهي تقتصر على "عائلات بذاتها من ذوي البشرة

(1)-المازوني، الدرر المكنونة، ج01، ص. 315.

(2)- ابن الزيات، المصدر السابق، ص. 436.

(3)-الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص. 441.

السوداء في الغالب تتوارث الحرفة جيلاً بعد جيل"،[1] جعل أبنائهم يشعرون بأنها حرفة تحطّ من شأنهم وشرفهم.[2]

19- غاسلات الثياب:

وُجِدَتْ هذه الحرفة في بلاد المغرب عامة، حيث تقتضي الحاجة اجتماع مجموعة من النسوة على ضفاف الوديان، وعند منابع المياه لغسل الثياب، كما وجدت في مدينة بجاية. ويبدو هذا العمل عند العائلات الميسورة منوط بالجواري والإماء، وهو يمثل جزء من باقي الأعمال التي يقمن بها، فالمصدر الذي أفادنا بهذه الحرفة صرّح أنهن "بعض السوداوات من غسّالات الثياب كانت على رأسها رزمة من الثياب"[3]. والحرف الخاصة بالنساء في المجتمع الحمادي، والتي لا تكون خارج المنزل، قد تكون نادرة ومجهولة. وهي مع ذلك لا نشاط المرأة.

خاتمة

هذا ما يمكن قوله عن بعض المهن والحرف التي عرفها المغرب الأوسط في العهد الحمّادي، وهي لا تمثل كل الحرف بالتأكيد، فهناك حرف أخرى، تتأكد لدينا من خلال أوصاف عامة متناثرة عند الجغرافيين، فمن خلال تتبع ظروف نشأة بعض المدن ووتيرة تطورها يتبيّن أنها أنشأت لهدف تجاري وحرفي، واشتهرت بذلك لفترة زمنية طويلة. في هذا السياق، تجعل بعض المصادر بعض المدن مقترنة بفئات التجار والحرفيين. حيث تصف لنا تلك المصادر مدينة وهران أن "أكثرية سكانها من الصناع والحاكة."[4] ومدينة مليانة "يكاد السكان جميعا يكونون من الصناع ومن الحاكة ومن

(1)-ذكر أعزام بعض العائلات الوارجلانية التي اختصّت بهذه الحرفة خلفاً عن سلف. مثل عائلات: "بوراس"؛ "كنوش"؛ "غطّاس". أنظر: أعزام. ابراهيم باباحمو، المرجع السابق، ص.202.

(2)-أعزام، نفس المرجع، ص. 203.

(3)-الغبريني، المصدر السابق، ص. 165.

(4)- حسن الوزان، المصدر السابق، ص. 399.

الخراطين، ويصنع هؤلاء أواني جميلة من الخشب. وسكان مازونة هم من الحياك أو من الفلاحين. ومدينة دلّس أكثر سكانها من الصبّاغين لأن للمدينة عدة ينابيع وجداول. وكل سكان المسيلة "صناع ومزارعون.[1]

كما تسبّبت بعض الحرف في وقوع سوء تفاهم بين فئات من المدينة الواحدة، استلزم تدخل الفقهاء والقضاة والمحتسبين للفصل فيه، ووصل الأمر إلى ضرورة تعطيل بعض الحرف ومنعها طلباً للمصلحة العامة؛ فقد وردت نازلة عن زجَّاج دخل على بلد فصار يعمل الزجاج بنوى التمر وهو قوت بهائم تلك البلدة، حتى ارتفع ثمنه، فأفتى السيوري بمنعه إن كانت حاجة الناس إلى النوى وليس إلى الزجاج.[2]

تبدو النماذج التي قدّمناها من الواقع الحمادي، أو هي قريبة منه، تعبّر عن جوّ حرفي متواضع؛ فباستثناء التجارة، تبدو الحرف الأخرى ضعيفة اجتماعيا واقتصاديا، تقبل عليها الفئات المقهورة اضطراراً لضمان مصدر رزق لها. وهي ملجأ فئات الزهّاد والمتصوفة بشكل متعمّد أحياناً، وربّما أنكرهم الخاصّة والعامة من الناس لجهلهم بحالهم. وهم عند من ترجم لهم من أولياء الله، وهذا ما عبّر عنه بالضبط صاحب مؤلف صلحاء واد شلف أن "ما لبعض العبدان السودان والخواصين، والحدادين، والحجامين، والخرازين، والحاكة، ومن لا يؤبه به من سواسية الناس، ومن تحتقره في النظر لرثّة أطماره، من المناقب الشريفة."[3]

(1)- نفسه، ص. 406، 407، 413، 424.

(2)-الونشريسي "أحمد بن يحي" (ت.914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج08، تح: محمّد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1401هـ/1981م،ص. 440.

(3)-المازوني موسى بن عيسى (ت.833 هـ/1430م)، كتاب صلحاء وادي شلف الجزائري، مخطوط رقم: ك-2343، نسخة مصوّرة عن ميكروفيلم لمخطوط، مجلد واحد، 160 ورقة، المكتبة الوطنية، المملكة المغربية.12/و.

المصادر والمراجع

- الإدريسي. الشريف (ت. نحو 558هـ/1162م)،المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، حققه ونقله إلى الفرنسية: مُحَمَّد حاج صادق

co-edition o.P.u.-publisud, 1983,imprimé en Belgique.

- الأشبيلي البجائي. أبي مُحَمَّد عبد الحق (ت.582هـ)، العاقبة أو الموت والحشر والنشور، تح وتع: أبو عبد الرحمان المصري الأثري، دار الصحابة للتراث، طنطا- مصر، ط.1، 1410هـ/1990م

- أعزام "ابراهيم بن صالح باباحمو" (ت.1384هـ/1965م)، غصن البان في تاريخ وارجلان، درا وتح: بحاز ابراهيم وبومعقل سليمان، مطبعة العالمية، غرداية- الجزائر، ط01، 1434هـ/2013م.

- البخاري "أبي عبد الله مُحَمَّد بن اسماعيل البخاري" (ت.256هـ/869م)، صحيح البخاري، ترقيم وترتيب: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار ابن الجوزي، القاهرة-مصر، ط01، 2010م

- ابن بشتغيراللورقي المالكي "أحمد بن سعيد" (ت.516هـ/1122م)، نوازل أحمد بن سعيد بشتغير، درا وتح وتع: الريسوني قطب، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 1429 هـ/ 2008م

- البكري "أبي عبيد" (ت.487هـ/1094م)، المسالك والممالك،ج02، حققه وقدم له وفهرسه: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، بيت الحكمة- الدار العربية للكتاب، تونس،1992م.

- بوتارن قادة، الأمثال الشعبية الجزائرية، تر: حاج صالح عبد الرحمان، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 2013م

- بوتشيش ابراهيم القادري، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ط01، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2014م

- البياض عبد الهادي، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والأندلس (ق.6-8هـ/12-14م)، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط.1، 2008م

- التيجاني، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد، (ت.717هـ/1317م)، رحلة التيجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981م

- ابن جبير البلنسي الأندلسي (ت.614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت-لبنان، (د.ت).

- الجزائري. خليل بن اسماعيل،الذخائر النفيسة لدفع الأمراض العويصة، رقم: 1763، المكتبة الوطنية، الجزائر

- حاج عيسى إلياس، وارجلان "دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (ق4-10هـ/10-16م)"، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: لعرج عبد العزيز، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 2008-2009م.

- ابن خلدون "أبي زكرياء يحيى" (ت.789 هـ/1387 م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج01، تق و تح و تع: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/1980م.

- ابن خلدون "عبد الرحمن بن مُحَمَّد"، (ت.808هـ/1405م)، مقدمة ابن خلدون، تصحيح وفهرسة: أبو عبد الله السعيد المندوه 1/2، بيروت-لبنان، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط03،(د.ت)

- ابن خلدون "عبد الرحمن بن مُحَمَّد"، (ت.808هـ/1405م)،العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، عَمَّان-الأردن، بيت الأفكار الدولية، (د.ت)

- دحدوح عبد القادر، عمران قلعة بني حماد عوامل التمدن وأسباب الخراب،أعمال الملتقى الدولي حول: مدينة قلعة بني حماد "ألف سنة من التأسيس 398-1427هـ/1007-2007م، جامعة المسيلة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2007م، (ص144-162).

- الدرجيني "أبو العباس أحمد بن سعيد" (ت.670هـ/1271م)، طبقات المشايخ بالمغرب، ج01، ج02، تح: طلاي ابراهيم، (د.م)، (د.ن)، (د.ت).

- ابن الزيات التادلي «أبي يعقوب يوسف بن يحي» (ت.617هـ/ 1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، منشورات كلية الآداب، الرباط- المملكة المغربية، ط2، 1997م.

- ابن أبي زيد القيرواني "أبي مُحَمَّد عبد الله" (ت.386هـ/996م)، فتاوى ابن أبي زيد القيرواني، جمع وتق: لحمر حميد مُحَمَّد، ط02، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م.

- ابن سعيد الغرناطي "علي بن موسى" (ت.685هـ/1274م)، الجغرافيا، تحرير وتعليق وتقديم: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط01، 1434هـ/2013م.

- سيدي موسى مُحَمَّد الشريف، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6-10هـ/12-16م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف: حاجيات عبد الحميد، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 1430-1431هـ/2009-2010م.

- الشفشاوني «مُحَمَّد بن عسكر الحسني» (ت.986 هـ/1578م)، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر، تح: حجي مُحَمَّد، ط 04، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء- المملكة المغربية، 1436 هـ/ 2015 م

- الصدفي "طاهر بن مُحَمَّد بن طاهر" (ق.6هـ/12م)، السِرُّ المصون في ما أكرم به المخلصون، تح و تق: حليمة فرحات، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، ط01، 1998م.

- ابن الصغير (ت.295هـ/907م)، أخبار الأئمة الرستميين، تح: ناصر مُحَمَّد وبحاز إبراهيم، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م.

- ابن عبد الملك المراكشي "أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد"، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، (السفر الاول-القسم الأول)، تح: مُحَمَّد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت-لبنان.

- العربي إسماعيل، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

- عويس عبد الحليم، دولة بني حماد، ط01، دار الشروق، القاهرة-مصر، 1400هـ/1980م.

- الغبريني "أبو العباس أحمد بن أحمد"(ت.704هـ/1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

- فاليرين دومينيك، بجاية ميناء مغاربي(Bougie port maghrébin)، ج01، تر: عمارة علاوة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014م.

– فيلالي عبد العزيز، قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/11م، حوليات الآداب واللغات، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، العدد الثالث: ديسمبر 2013، (ص17- 32).

– القرطبي. عبد الملك ابن حبيب (ت.238هـ/852م)، مختصر في الطب، تع: مُحَمَّد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1424هـ/2004م

– ابن القوطية "أبي بكر" (ت.367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تح وتع: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م

– لعرج عبد العزيز، الإبداع الفني والصناعي في مجال الخزف بقلعة بني حماد وعلاقات القلعة بالمراكز الخزفية مشرقا ومغربا من خلال خزفها، أعمال الملتقى الدولي حول: مدينة قلعة بني حماد "ألف سنة من التأسيس 398-1427هـ/1007-2007م، جامعة المسيلة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، أيام: 9-10-11 أفريل 2007م، (ص178-199).

– المازوني التلمساني "أبي زكرياء يحي بن موسى" (ت.883هـ/1478م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج01، ج02، دراسة وتحقيق: قندوز ماحي، قرأه وصحّحه: محند أو إدير مشنان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط01، 1433هـ/2012م

– المازوني موسى بن عيسى (ت.833 هـ/1430م)، كتاب صلحاء وادي شلف الجزائري، مخطوط رقم: ك-2343، نسخة مصورة عن ميكروفيلم لمخطوط، 160 ورقة، المكتبة الوطنية، الرباط-المملكة المغربية.

– مجهول، كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، دراسة وتحقيق:الحاج سليمان بن ابراهيم بابزيزالوارجلاني، وزارة التراث والثقافة، مسقط-سلطنة عمان، ط01، 1430هـ/2009م.

– مجهول مراكشي من كتاب ق6هـ/12م، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء- المملكة المغربية، 1985م.

– المعداني. أبي علي الحسن (ت.1140هـ/1727م)، رفع الالتباس في شركة الخمّاسِ، تح: رشيد قبّاط، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، ط01، 1433هـ/2012م

- حسن الوزان الزياتي، (ت. قبل957هـ/1550م)، وصف إفريقيا، تر: حميدة عبد الرحمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، 2005م

- الونشريسي "أحمد بن يحيى" (ت.914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج08، تح: مُحَمَّد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1401هـ/1981م،

-Allaoua Amara, **Communautés rurales et pouvoirs urbains au Maghreb central** (**7–14e siècles**), REMMM 126, pp. 185-202.

-GOLVIN, Lucien, **Le Maghreb central à l'époque des Zirides**, **Recherches d'Archéologie et d'Histoire**, **arts et métiers graphiques**, Paris,1957.

حرفة التجليد والتذهيب من خلال كتاب " صناعة تسفير الكتب وحل الذهب"

لمؤلفه أبي العباس أحمد بن مُحَمَّد السفياني والمحفوظ بالمكتبة الوطنية الجزائرية

الأستاذ الدكتور فيصل نايم

معهد الآثار–جامعة الجزائر2

مقدمة:

تعد حرفة تجليد وتسفير الكتب من الفنون الهامة التي اعتنى بها المجلدون عناية فائقة والمهتمون بفنون صناعة الكتاب المخطوط عموما، والجدير بالذكر أنّ قلة ما كتب عن حرفة تجليد الكتب لا يعني بالضرورة عدم الاهتمام بهذه الصناعة، فالواقع يثبت كما تبينه الدراسة أنّ هذه الصناعة الفنية لتجليد الكتاب المخطوط في العهد الإسلامي كان له من القيم الجمالية والفنية ما يجعله لا يقل أهمية وقيمة عن باقي الحرف والصناعات الفنية.

كذلك ينبغي علينا أن ندرك أن هذه الصناعة فضلا عن قيمتها الجمالية والفنية أنها لعبت دورا وظيفيا مهم جدا وهو الحفاظ على أوراق المخطوط من الضياع والتلف ويبقي على المخطوط حالته الجيدة بما يحتويه على كتابات وصور وعلامات مائية وجملة من المظاهر الفنية والجمالية، وبالتالي لولا هذه الآلية أو عملية التجليد ما وصلتنا الأعداد الهائلة من كنوز ونوا ذر المخطوطات في شتى الميادين، وما استطعنا أن نتوصل لدراسة باقي فروع فنون الكتاب.

1. بطاقة فنية للكتاب:

بطاقة القسم العربي:

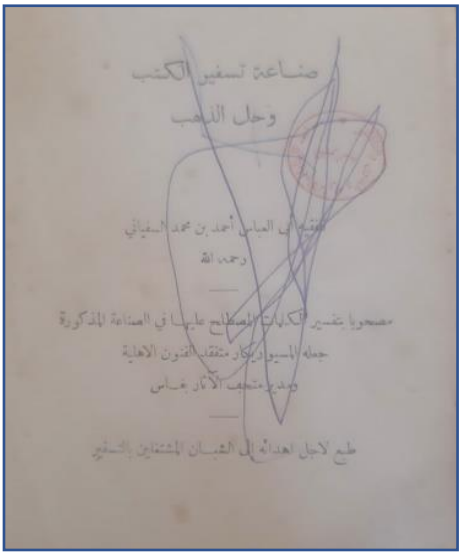
صناعة تسفير الكتب
وحل الذهب

مصحوبا بتفسير الكلمات المصطلح عليها في الصناعة المذكورة
جعله المسيو ريكار متفقد الفنون الاهلية
ومدير متحف الآثار بفاس
طبع لأجل اهدائه إلى الشبان المشتغلين بالتسفير

"صناعة تسفير الكتب وحل الذهب"، للفقيه أبي العباس أحمد بن مُحَمَّد السفياني رحمه الله، مصحوبا بتفسير الكلمات المصطلح عليها في الصناعة المذكورة جعله "المسيو ريكار" متفقد الفنون الأهلية ومدير متحف الآثار بفاس، طبع لأجل إهدائه إلى الشبان المشتغلين بالتسفير.

– بطاقة القسم الفرنسي:

Abou el– Abbas Ahmed ben Mohammed ES–SOFIANI

ART DE LA RELIURE ET DE LA DORURE

Texte Arabe accompagné d'un index de termes techniques, par P.RICARD chef du service des Arts Indigènes au Maroc , 2° Edition, Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 13 ; Rue Jacob, 13 (VI°) 1925.

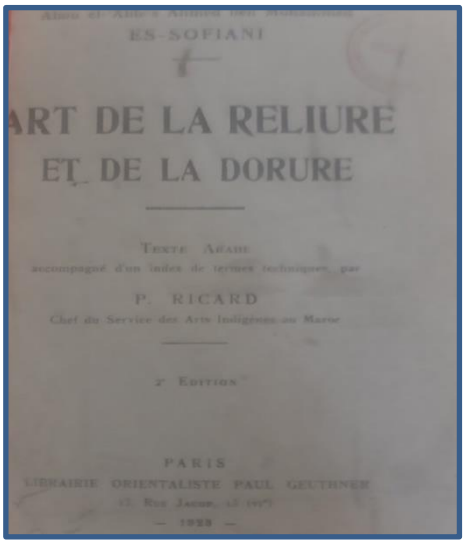
ES-SOFIANI

ART DE LA RELIURE
ET DE LA DORURE

TEXTE ARABE
accompagné d'un index de termes techniques, par
P. RICARD
Chef du Service des Arts Indigènes au Maroc

2e EDITION

PARIS
LIBRAIRIE ORIENTALISTE PAUL GEUTHNER
13, Rue Jacob, (6e)
— 1923 —

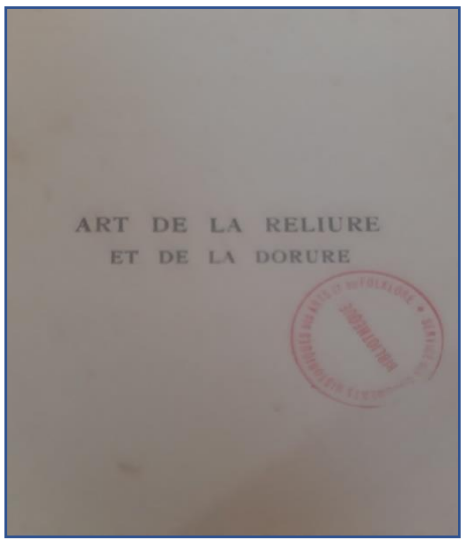
ART DE LA RELIURE
ET DE LA DORURE

– المخطوط الأصلي:

أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد السفياني، صناعة تسفير الكتب وحل الذهب، تم في ذي الحجة عام 1029هـ/ 1619م.

2. التعريف بالكتاب:

يعتبر صاحب هذا المؤلف ثالث المسفرين السعديين ويحمل مؤلفه هذا عنوان" صناعة تسفير الكتب وحل الذهب". ألفه في شهر ذي الحجة عام 1029 هـ /1619م، فيذكر في افتتاحية الرسالة أن الحافز لوضعها أنه لم يجد بين أهل زمانه من فيه الأهلية لتعلم هذه الصناعة، لما طبعوا عليه من عدم الإنصاف فدون قواعدها في هذا الكتيب لينتفع بها من يأتي بعده.

وقد صنف الرسالة في ثلاثة أبواب رئيسية وملحقين:

* **الباب الأول**: في كيفية عمل الدفف، وهي ألواح الورق التي يكسوها الجلد.[1]

* **الباب الثاني**: في طريقة حزم كراريس الكتاب وتتخيتها وكسوته بالجلد، وتوشيح وسطه بالترنجة، وكيفية عمل البرشمان وتركيب السفر عليه.

* **الباب الثالث**: في صفة حل الذهب وغسله وسقيه بالغراء، وصفة الكتابة به على الورق والجلد.

وعند نهاية هذا الباب قال: فهذا آخر ما حضر لذهني في حالة التقييد، وذلك في ذي الحجة تسعة وعشرين وآلف وإثر هذا ألحق بالرسالة بابين:

- **باب صفة صبغ الجلد بنفسج.**
- **باب صفة عمل الترنجة في الجلد للتسفير.**

وبهذا تم الكتيب الذي قام بتحقيقه الأستاذ ريكار متفقد الفنون الوطنية ومدير الآثار بفاس سابقا، ثم نشره بالمطبعة الشرقية بباريس سنة 1925م في 28 صفحة من الحجم المتوسط، مع كلمة تصديرية بالفرنسية، ص5 -7، ثم فهرس للكلمات الفنية الواردة بالكتاب وشرحها بالفرنسية أيضا، من ص8 إلى ص22: القسم الفرنسي.[2]

(1) -مُحَمَّد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية -صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة - **سلسلة بحوث ودراسات** رقم 2، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، جامعة مُحَمَّد الخامس، المملكة المغربية، 1991، ص86.

(2)-مُحَمَّد المنوني، المرجع السابق، ص87.

كما تحدث عنه "السعيد بنموسى" قائلا: وهناك كتاب آخر للفقيه أبي العباس أحمد بن مُحَمَّد السفياني" صناعة التسفير وحل الذهب " والذي قيده في ذي الحجة تسعة وعشرين وألف 1029 / 1619 م أي في عهد السعديين.[1]

وهناك من الكتاب من يشير إلى طبعة قبل هذه وهي طبعة فاس في سنة 1919م مثل الأستاذ زكي مُحَمَّد حسن قائلا: " ومن الكتب العربية في فن التجليد كتاب" صناعة تسفير الكتب وحل الذهب " للفقيه أبي العباس أحمد بن مُحَمَّد السفياني، انتهى من تصنيفه عام 1029هـ/1619م في بلاد المغرب، وقد طبعه الأستاذ "ريكار" في فاس سنة 1919م. مصحوبا بتفسير الكلمات المصطلح عليها في صناعة التجليد..." [2]

3. فهرس ومحتويات الكتاب.

1.3. فهرس السفياني للنسخة المؤرخة في 1029هـ/ 1619م:

-باب في كيفية عمل الدفف.

-باب في كيفية حزم كراريس الكتاب.

-باب صفة حل الذهب.

-صفة صبغ الجلد بنفسج.

-باب صفة عمل الترنجة من الجلد للتسفير.

2.3. فهرس نسخة 1255 هـ / 1839م.

-الاحتياطات في شان تبطين المصحف والحديث

-باب في كيفية عمل الدفف

---

(1) -السعيد بنموسى، **تسفير وتذهيب الكتب وترميم المخطوطات**، ط2، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع الرباط، 1994، ص6.

(2) - زكي مُحَمَّد حسن، **فنون الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1401 هـ/ 1981م، ص109.

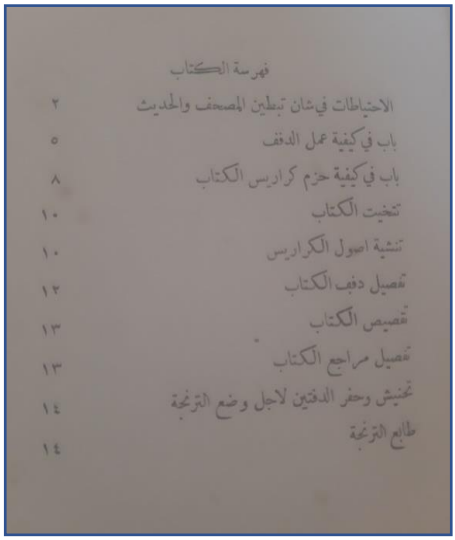
فهرسة الكتاب

الاحتياطات في شان تبطين المصحف والحديث ٢
باب في كيفية عمل الدفف ٥
باب في كيفية حزم كراريس الكتاب ٨
تتخيت الكتاب ١٠
تنشية اصول الكراريس ١٠
تفصيل دفف الكتاب ١٢
تقصيص الكتاب ١٣
تفصيل مراجع الكتاب ١٣
تحنيش وحفر الدفتين لاجل وضع الترنجة ١٤
طابع الترنجة ١٤

-باب في كيفية حزم كراريس الكتاب

-تتخيت الكتاب

-تنشية أصول الكراريس

-تفصيل دفف الكتاب

-تقصيص الكتاب

-تفصيل مراجع الكتاب

- تحنيش وحفر الدفتين لأجل وضع الترنجة

-طابع الترنجة.

-كسوة الدفف بالجلد

-كيفية عمل البرشمان

-تركيب السفر على الكتاب

-باب صفة حل الذهب في العسل

-غسل الذهب في الماء

-سقي الذهب المحلول في الغراء

-صفة الكتابة بالذهب المحلول

-فائدة في شان غراء الحوت

-فائدة أخرى في شان غراء الحوت

-فائدة في شان غسل الجلد الذي زيته الدباغون

-الغراء الشامي

-صبغ الجلد باللون الزبيبي

-صفة صبغ الجلد باللون البنفسج

-باب صفة عمل الترنجة

-نصائح في تعلم الصناعة

-فهرسة الكتاب

4. ابن عرضون صاحب أبيات التبطين في افتتاحية السفياني:

ذكر مؤلف الكتاب في البداية أربعة أبيات شعرية في باب التبطين، لسيدي احمد بن عرضون وهو أبو العباس أحمد بن الحسن بن يوسف الصالحي الزحلي الشفشاوني الشهير بابن عرضون المتوفي عام: 992 هـ مؤلف منظوم في أرجوزة -ولا يعرف الآن عدد أبيات هذه الأرجوزة التي لا يوجد غير مقتبسات منها في أربعة أبيات من باب التبطين وقد نشرت هذه المقتبسات مع الرسالة التالية وشيكا قبيل بدايتها.[1]

وذكر السفياني في بداية مؤلفه: قال الفقيه العلامة سيدي احمد بن عرضون ﷺ ونفعنا به وبأمثاله في نظمه على التسفير

باب التبطين

إياك والتبطين بالكتاب كتاب رب جل عن ذي الباب
أو بحديث المصطفى خير الورى صلى عليه الله مهما ذكرا
أو الذي احتوى على اسم الله واسم حبيبه العظيم الجاه
إلا إذا لجنسه صدر فبعضهم أجازه لدى الضرر.[2]

(1) -مُحَمَّد المنوني، المرجع السابق، ص86.

(2) -أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد السفياني، **صناعة تسفير الكتب وحل الذهب**، ص2.

والبطانات أو التبطين هي تلك التكسيات التي تلصق على الوجه الداخلي لدفتي المخطوط ويراعى في هذه البطانات أن يكون طولها بالحجم الذي يمكن معه لصق نفس البطانة على الوجه الداخلي للمخطوط والنصف الآخر على الورقتين

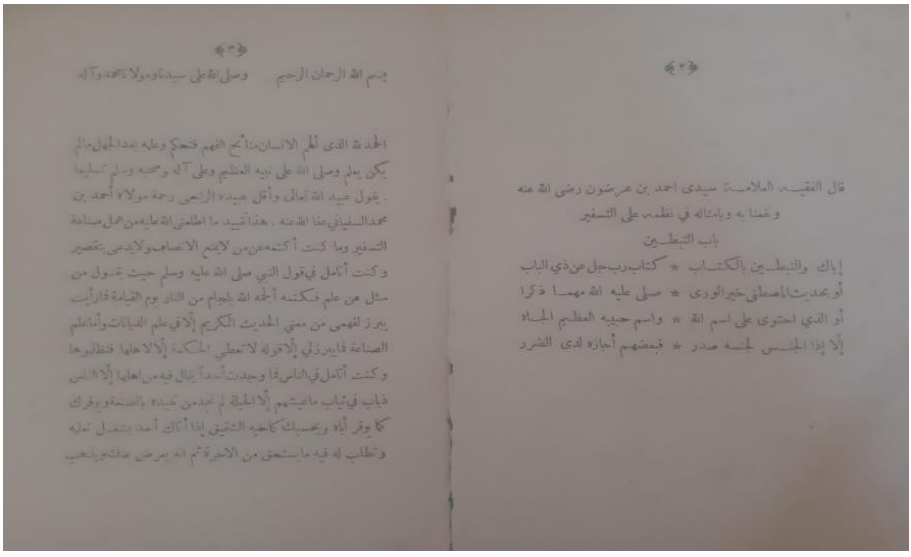

التاليتين لدفتي الكتاب أو بوضع وصلة من نفس مادة البطانات تلصق فوقها وفوق الورقتين الأولى والأخيرة. وتكون البطانات من الجلد الرقيقي أو القماش أو الورق. وتتم عملية التبطين بعد الانتهاء تماما من تركيب الكسوة الجلدية الخارجية وتزخرف بطانات المخطوطات عادة بنفس الزخارف المستخدمة بالوجه الخارجي لجلدة المخطوط أو بأجزاء منها وبنفس أسلوب تنفيذها.[1]

5. مراحل حرفة التجليد عند السفياني

5-1 عمل الدفف:

يعني بالدفف ألواح الكاغط المكساة بالجلد على الكتاب، وذلك بأن نأخذ الكاغط وتدهن الورقة بالنشا وتتركها عن يمينك ونأخذ ورقة ثانية اعني التي تقابلها وتنزل الوجه المدهون من الورقة الثانية وتحط عليها بكفيك وتقلبها للوجه الاسفل على

(1) - نفسه، ص65.

الأعلى، وتنظر حتى لايبقي فيها انكماش ولا رخوة، ثم تأتي بورقتين اخريين وتعمل بهما نفس الورقتين السابقتين وتلتقيان كلاهما، وتنشر في مكان حار على الأرض ليس فيها تراب حتى لا يلصق على الأوراق وحين تيبس نأخذ وتقسم على عدة ألواح ثم تجمع الأوراق في كل دفة وحدها، وذلك بأن نأخذ مثلا خمسة أوراق أو ستة أو سبعة على حسب ما تريد فتأخذ الورقة الأول ونبسطها على لوح من عود او رخام وأدهنها بالنشا وننزلها عن اليمين وادهن الثانية ببعضها والثالثة والرابعة الى آخره وكلما تدهن تتركها بازاء التي قبلها فبعد ذلك تأخذ الأولى وتبسطها عل اللوح المذكور من الرخام الذي دهنت عليه الأوراق ثم نأخد الورقة التي بإزائها اعني المدهونة من قبل فتوضع الورقة على الأخرى المدهونة بالنشا وبعد ذلك تدهن الوجه الأعلى الناشف بالنشا، وتؤخذ الورقة الثالثة المدهونة من قبل وتنزل منهما الوجه المدهون على المدهون وتمحطهم وتدهن أيضا الوجه اليابس وتنزل عليه الورقة الرابعة بعد تنشيتها هكذا الى الورقة الاخيرة. وبعد محطها تؤخد ورقة من الاوراق اليابسة وتجعلها على الورقة الأخيرة من الجهة اليابسة وتدلك على الورقة اليابسة دلكا عنيفا بلوحة غليظة حتى يخرج النشاء الزائد بين الأوراق الملتصقة وتعمل دفة أخرى وتنزلها عليها حتى تقضي ماشئت من عمل الدفف وتنزلهم بين لوحين غليظين من العود الصافي ...[1]

كانت الدفوف الورقية تصنع بواسطة لصق أفرخ الورق الخشن القليل الجودة لبعضها البعض شريطة ألا تقل عن ثلاث طبقات. بحيث تكون دفا سميكا أو تصنع بواسطة عمل دفوف سميكة من معجون الورق (الكارتون).[2] وتعتبر دفوف المخطوطات هي أهم الأجزاء المضافة لصفحات المخطوط في المحافظة على هذه الصفحات وجعلها كتلة واحدة متماسكة عن طريق لصق هذه الدفوف بكعوب

(1) – أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد السفياني، المصدر السابق، ص6،7.

(2) – سامي مُحَمَّد نوار، المرجع السابق ، ص63.

المخطوطات بواسطة وصلات وكذلك عن طريق لصقها بصفحات تضاف إلى بداية ونهاية صفحات المخطوط حتى يتماسك المخطوط ويتصل بعضه ببعض.[1]

5-2 حزم كراريس الكتاب:

أول ما يبتدئ به المسفر بعد عمل الدفف أن يناسب أولا من الكتاب واحدة بعد واحدة وينظر في عقب الورقة وفي اول التي بعدها سواء كانوا الكراريس صحاحا أو محزومين من أصولهم فإذا فرغ من المناسبة وتحقق بصحة كمال الكتاب فليبتدئ بجمع الكراريس بعضها ببعض ويلفها في رق ويجعله على حجرة ملساء صبرة للضرب ويضرب على الرق بمنجم ثقيل يزن ستة أرطال أو خمسة أو أربعة ويكون الضرب مناسبا بعضه بعض حتى يسكن الكتاب و يتلين كاغطه وينضم بعضه بقوة الضرب.[2]

وأول ما يبتدئ به المسفر أو المجلد بعد شق كراريس الكتاب بالمنشار داخل المكبس (الزيار) هو الخياطة بالمرمة حيث يعقد خيطين من القنب أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة حسب حجم الكتاب.[3]

وقبل ذلك يؤخذ ورقا أبيض مزدوجا ويلصقه في أول الكراس وفي آخره ثم يدخل الإبرة بالخيط في الكراريس وفي الشق المرسوم ويكون الخيط الذي يحزم به رقيقا مقوى وهكذا حتى يجمع كراريس الكتاب بالخياطة بعضها إلى بعض، ثم يعقد أخيرا الخيط عقدا محكما ويقطع الخيط (القنب) الذي عقده في المرمة على 7 سم من طوله وإذا كانت الكراريس كثيرة وظهر غلظ في موضع الخياطة، يضرب على موضع الخيط

(1) - نفسه، ص63.

(2)- أبو العباس أحمد بن محمد السفياني، المصدر السابق، ص8، 9.

(3) - السعيد بنموسى، المرجع السابق، ص15.

بمطرقة على لوحة الرخام حتى يسكن ما غلظه الخيط ثم يدهن ظهر الكتاب بالغراء الأبيض ويتركه حتى يأخذ في اليبوسة.[1]

5-2-1 تتخيت الكتاب:

نضع الكتاب في التخت ونقوم بضربه ضربا مناسبا حتى يسكن الكتاب ويلين كاغطه وينظم بعضه ببعض بقوة الضرب لأن الضرب يعمل فيه مالا يعمله التخت بالضغط، وإذا عملته في الضغط بلا ضرب فلا يفيد فيه التخت شيء ولا يسكن الكاغط بعضه على بعض ولو كان ما كان وإذا عملت الكتاب في التخت بعد الضرب بأي تخت تجمعه يطيعك كاغطه ويلين.[2]

5-2-2 تنشية أصول الكراريس:

نضع النشا على أصول الكراريس بوضع أصبع السبابة حتى يسكن بين الكراريس وأمضي في الجر برفق حتى تنتهي ونتيقن من أن النشا دخل بين الكراريس فحينئذ أرخ التخت وأجدب الكتاب كله في قلب التخت حتى تكون أحوال الكراريس مع افلاق التخت وشد التخت بالقوام من الجهتين و أجرد أصول الكراريس بعد المحط حتى تزيل ما فضل من النشا وان ظهر شيء فاضرب به بالخفيف حتى يسكن ويستوي وبعد ذلك أوقف التخت مع الحائط عن يمينك وابشر له جناحين من الجلد اللين الذي ليس فيه صلابة وأتن كل جناح على حد ما تبتغي بجنب الكتاب، فإذا كان الكتاب في أطرافه أوراق مذهبة وملونة والمعقودة بالصمغ العربي والخوف من التصاقها ببعضها البعض فأن تجعل ما طويت من الجناحين من ناحية الكتاب[3]. وان عملت الجناحين عريضين فألصقهما على الكتاب حالة كونهما يابسين فلا ندوة و لا برودة و اذا أردت لصقهما فخل التخت ونفسه برفق عن

---

(1) – نفسه، ص15.

(2) – أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد السفياني، المصدر السابق، ص9 .

(3) – أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد السفياني، المصدر السابق، ص10، 11.

الكتاب وجر مع طرفي الكتاب الجناحين بعد أن تخرج الكتاب من التخت مقدار عزفة وشد التخت شدا جيدا مستويا ومحط بالعود مع أطراف الكتاب حتى يعمل بين الجناح وبين الكتاب وأقلب الجناحين عليه أحدهما عل الآخر بالتمحيط والتسوية ونأخذ بعد ذلك ثلاثة أوراق وندهنهم بالنشا وأجعلهم على قفا الكتاب ثم تدهن فوقهم بالنشا وجر عليهم بالمحط حتى تسكنهن من الجهتين والوسط وأطراف الكتاب ثم تقطع ما فضل من الكاغط الذي جمع من النشا والصق على قفا الكتاب وحل التخت وأخيرا أدخل الخيط بين الكتاب والتخت[1].

5-2-3 تفصيل دفف الكتاب:

أخد ما قمنا به من عمل الدفف وننزلهم بين لوحين غليظين من العود الصافي لضغط التخت بعد أن تعمل بين كل دفتين ورقيتين من الكاغط الذي يكون قالبه يفيض عل الدفتين يمينا وشمالا وفوقا وأسفلا وشد على جملة الدف بالتخت حتى ترى الماء يبرز زمن النشا الذي الصقت به الورق واتركهم في التخت نحو نصف يوم او يوما كاملا وأفرقهم بين الالواح و انزع عنهم الكاغط الذي عملت بينهم فانك تجدهم كما تحب وأنشرهم في موضع حار بغير شمس وعند الصباح توقفهم على طرفهم مع الحائط فإنهم اذا يبسوا يأتون في غاية الحسن ولا سيما إذا كان الكاغط جيدا صحيحا ليس فيه برودة ولا رطوبة أو تنقيع من ماء او بات فيه عفن.[2]

5-2-4 تقصيص الكتاب:

ننزل على طرف الدفة المسطرة بعد أن تحدق أطرافهما بالمقراض وجرهما بحديدة قاطعة حتى تقطعها مستوية لصقها على الجناحين وبعد ذلك نجعل ثلاثة نقط من النشا على كل جناح أو أربعا أو خمسا على حسب حجم الكتاب وتجعل عليها الدفة، وكذلك تفعل بالناحية الثانية وتجعل الكتاب بدفتيه بين لوحين غليظتين لضغط

(1) - نفسه، ص 12

(2) - نفسه، ص7، 8.

التخت ونترك الكتاب بينهما حتى ييبس النشا الذي ألصقت به الدفة على الجناحين فإذا ييبس فك الكتاب من التخت تجده قواما فحينئذ نرسم بالضابط حتى تأخذ صوابه من ثلاثة نواحي ونقصه من كل ناحية ونحك التقصيص بالحجر حتى يذهب أثر قطع الحديد ثم يمسح بالكف ثم ندلكه بالحجارة لصقله[1].

يتم تثبيت الكراريس للمخطوط جيدا بين دفتي الكبس على أن يراعى بروز الحواف الخارجية الثلاث للمخطوط بينما يبقى الكعب داخل المكبس ثم يأخذ المجلد في تسوية هذه الحواف باستخدام سكين ذات شفرة طويلة أو بالسيف.[2]

5-2-5 تفصيل مراجع الكتاب:

عند انتهاء عملية التقصيص نأخذ قدر نصف دفة الكتاب اليمني وهي التي على اول الكتاب من دفة ثالثة وفصل منها مرجعا للسفر وهو الذي يسمى اللسان ونأخذ أيضا مما بقي من النصف الباقي من الدفة التي اخدت منها اللسان فصل منها المرجع الاصغر وهو الحامل بين الدفة اليسرى التي على آخرها الكتاب وبين المرجع الاكبر الذي يتول على الدفة الأولى.[3]

5-2-6 تحنيش وحفر الدفتين لأجل وضع الترنجة:

نقوم بتقسيم الدفة الأولى بالتحنيش على نصفين ونجعل الترنجة على وسط الدفة أن كانت صناعة التسفير مشرقية ودور عليها بالتحنيش ويتبع التحنيش بالحفر وقس الترنجة على الحفر حتى ترى أنك اذا نزلت الترنجة في الحفر تراها نزلت رائحة، فإذا كسيت الدفة الأولى بالجلد ومحطته يمينا وشمالا أنزع الدفة من الكتاب وأبسطها على الرخامة بين يديك وانزل الترنجة على الخفر من فوق الجلد واضرب على عل

(1) -نفسه، ص13.

(2) -سامي مُحَمَّد نوار، المرجع السابق، ص61.

(3)- أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد السفياني، المصدر السابق، ص13.

الترنجة بمطرقة صغيرة ضربا رطبا حتى لا يتقطع الجلد وكرر الضرب بالمطرقة على الترنجة فانه يخرج من تحتها النشا الزائد و وينتفخ الجلد من أطراف الترنجة.[1]

5-2-7 طابع الترنجة:

إذا نزعت الترنجة من موضعها يبقى أثرها من أطرافها بحرف قاطع كأنك رفعتها عن الشمع وبتكرار الضرب على الترنجة يعلو النقش فيها ويؤثر أثرا جيدا.[2]

يكون موقع السرة في وسط الصفحة عموما، أما أجزاء السرة فتوضع في أركان الصفحة، وغالبا ما تحتوي السرة وأجزاؤها على ما يفيد الهدف والغاية من تأليف المخطوط، أو تحوي عنوان الكتاب في السرة الوسطى والغاية من تأليفه في أطرافها ويستخدم لزخرفة السرة التذهيب والترصيع، أما الخط المكتوب داخلها فهو إما مذهب أو مكتوب باللون الأبيض والكتابات داخل السرة وفي أطرافها تكون من نوع واحد.

أما إذا كانت النسخة المخطوطة عبارة عن مجموعة من الرسائل أو الدواوين أو الكتب ففي هذه الحالة يكتب عنوان المجموعة في الوسط واسم الدواوين أو الرسائل في الدوائر الركنية المتعددة.

- **رأس السرة:** (سر ترنج): هما عبارة عن سرتين صغيرتين تخرجان من طرفي السرة وهما مزخرفتان بنفس الزخرفة.
- **نصف السرة:** (نيم ترنج): توجد نصفي سرة تقعان بين رأس السرة والسرة نفسها وربما تحوي النسخة المخطوطة سرة أو سرة ورأس أو سرة ورأس ونصفي سرة أو تحوي كل العناصر السابقة.[3]

(1) - نفسه، ص14.

(2) -نفسه، ص14.

(3) - سامي نوار، المرجع السابق، ص49.

وتعتبر السرة من المميزات التي تتعلق بفن التجليد خلال العهد العثماني وهي تكون أحيانا مستديرة الشكل وبيضاوية أحيانا أخرى، وهو ما كان يعرف لدى المجلدين باسم "**الشمس**" وإذا ما استطالت سرة الوسط عند طرفيها العلوي والسفلي سميت بالشمس المصلوبة، وكانت الشموس أو السرر زمن السلاجقة وأوائل أيام العثمانيين تأخذ شكلا دائريا بصفة عامة لكن ابتداء من القرن السابع عشر وما بعده بدأت تأخذ شكلا بيضاويا.[1]

5-2-8 كسوة الدفف بالجلد:

ويعني بالدفف ألواح من الكاغد الذين يكسونهم بالجلد على الكتاب، ويتم لصق الورق المقوى (الكرتون) المقطع بحجم الكتاب بواسطة الصمغ للغلاف العلوي والغلاف السفلي واللسان ووصلة اللسان، أم الكعب فيترك بدون لصق ورق مقوى حيث يتم لصقه بجلدة الكتاب مباشرة، ويراعى في الأغلفة الداخلية للمخطوطات أن تتكون من ثلاث طبقات على الأقل من الورق المقوى.

ولعمل دفة اللسان يؤخذ قدر نصف الكتاب من دفة ثالثة ويقص منها لسان للكتاب ويؤخذ ما بقي من النصف الباقي لعمل قنطرة اللسان وهي الحامل بين الدفة اليسرى وبين اللسان، وعادة تكون بقدر سمك الكتاب، كما يجب أن يلقى طرف اللسان في وسط الكتاب.[2]

- تغليف دفوف المخطوط: يعتبر الجلد نوعا من أنواع البروتين يعرف بالكولاجين والدباغة هي عملية تجهيز الجلد ليصبح طاردا للماء ومقاوما للتحلل

(1) -آصلان آبا أوقطاي، **فنون الترك وعمائرهم**، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، 1987، ص314.

(2) -ميرفت عز الدين، **تجليد الكتاب القبطي منذ القرن الثالث عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي من خلال مجموعة المتحف القبطي بالقاهرة**، رسالة ماجستير، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة حلوان، 2006. ص85، 86.

بالفطريات ومتعادل بينما يحتفظ بليونته مدة طويلة، وأصلح أنواع الجلود المستخدمة في أغلفة الكتب هو الجلد المراكشي وجلد الخراف والعجول الكبيرة.

– **تجهيز الجلد:** ويبدأ تجهيز الجلد بالدباغة والذي يختلف فيه دبغ جلد الماعز عن جلد البقر، وبالطبع لم يستعمل الجلد بلونه الطبيعي ولكنه في الأغلب كان يتخذ اللون البني بدرجاته والأحمر.

– **صفات الجلد المدبوغ الحقيقي:**

* طاردا للماء.
* مقاوما للفطريات والعفن.
* متعادلا كيميائيا.
* يحتفظ بليونته لمدة طويلة.[1]

استخدم الفرس جلود المعز والخيول في تغليف دفوف كتبهم وذلك بواسطة شد الجلود فوق طبقات متعددة من الورق الملصوق ببعض أو من معجون الورق، أو بواسطة شد الجلود على ألواح رقيقة من الخشب، ويجب أن يكون الجلد المستخدم لعملية التجليد ناصعا جميلا في لونه ومدبوغا بعناية وتختبر جودة دباغة الجلد عن طريق ذلك الجلد باليد فإن كان ناعما خفيف الوزن بحيث لا يقل عن رطلين فهو جيد كما يجب غسل الجلد بالماء الدافئ ويراعى أثناء عملية الدبغ ألا تلمس الجلود المسامير أو القطع الحديدية حتى لا تتمزق.[2]

5-2-9 كيفية عمل البرشمان:

نأخذ صمغ عربي محلى بالماء والعسل يكون خاثرا ونضع شيء منه على رؤوس الكرايس في طرف التقصيص تحت السير الذي تنسج عليه البرشمان بحيث أنك تصنع عليه السير والسير نفسه يكون من جلد مدبوغ قد طلي بالصمغ العربي قبل ذلك

(1) ميرفت عز الدين، المرجع السابق، ص88.

(2) –سامي مُحَمَّد نوار، المرجع السابق، ص63، 64.

حتى ييبس فإذا يبس الصمغ الذي جعلته على رأس الكتاب فريقه بريقك وريق السير وانزله على الموضع الذي فيه الصمغ العربي فإنهما يلتصقان معا بالتعرية وادخل الابرة بالخيط وسط الكراريس الأيمن بعد أن تنشب طرف الخيط في أصل الكتاب من ناحية القفا في الموضع الذي يخرج منه رأس الابرة اذا دخلتها وسط الكراس الأخير وسر كذلك بالخياطة في الكراس الى أن تنتهي الى الكراس الآخر واعقد الخيط في الضربة الأخيرة عقدا محكما وكمل ما بقي بالنسيج بالحرير الملون حتى يكمل عمل البرشمان من الجهتين وبعد ذلك كب التسفير على الكتاب بعد تغريته بالنشا وشد عل القفا بخيط وثيق واجعل الكتاب بين لوحين غليظتين واقرص عليهما بالتخت واتركه بين اللوحين يعقد وييبس فانك تجده يخرج قواما كما تحب.[1]

5-3 حل صفة الذهب في العسل:

هناك طرق عديدة لحل الذهب ومن بينها تلك التي وضحها السفياني وهي كالتالي: تؤخذ ورق الذهب وتفرك بمفراك ثم تمزج مع العسل الأبيض في طبق زجاجي عميق ويصب عليه الماء ويحرك جيدا ويترك لحظة ثم يكرر إضافة الماء ويصفى الماء عنه حتى يذهب منه طيبة العسل ولا يتبقى منه حلاوة وحينئذ ترفع آنية الذهب على رماد ساخن حتى يصير يابسا ولا يتبقى فيه ندوة ثم يصان بعيدا عن الغبار والحشرات التي تنجذب على رائحة العسل والماء الذي يصفى عن الذهب يترك في آنية زجاجية لمدة اثنتي عشرة ساعة حيث نجد ما سال من الذهب مع الماء مترسبا في قاع الإناء ثم يهرق الماء عن الذهب ويضاف إليه الماء مرة أخرى ويترك لمدة ساعة ثم يصفى عنه ويوضع الذهب المترسب في المحبرة ويضاف إليه الذهب المحلول اليابس قليلا أو كثيرا على قدر ما يكفي العمل المراد تذهيبه مع إضافة قدر معين من الصمغ العربي، فإذا ييبس مداد الذهب على الورق المراد زخرفته وتذهيبه يجب ألا يترك مداد الذهب المسقى بالغراء يفسد ويأكله الذباب على رائحة الغراء ويخلف فيه الديدان، ولتفادي

(1) -أبو العباس أحمد بن محمد السفياني، المصدر السابق، ص17 ،18 .

ذلك بعد الانتهاء من الكتابة والزخرفة بمداد الذهب يضاف إليه الماء أكثر من مرة ويصفى الماء عنه في كل مرة حتى لا يتبقى به أثر لرائحة الغراء ثم يرفع ويحتفظ به لوقت الحاجة.[1]

5-3-1 غسل الذهب بالماء:

نترك الماء في آنية مع الذهب ليلة فإذا أصبح وجدت مسال من الذهب والماء ملتصقا في قعر الانية على الزجاج والماء والعسل يروج فأهرق الماء عن الذهب والذهب ملتصقا ولا يتحرك فإذا اهرقت الماء عنه فضمه بين الاصبع وزد عليه ماء آخر فبعد ساعة نقوم بتصفيته في الانية التي يكتب منها وهي انية مزججة صغيرة ظريفة مليحة للنظر.[2]

5-3-2 سقي الذهب المحلول في الغراء:

أضف الذهب المحلول اليابس ما تريد للكتابة قليلا أو كثيرا فأعمل فيه الصمغ العربي أو غراء الحوت ما يكفي وأسقه بالماء واجعل ليقة من الصوف لتحريكها بالقلم واكتب في الكاغط وأدلكه بمحارة ونبقي على حال التقليب والتحريك وإذا استعملت الكتابة على الجلد لا داعي لاستعمل الصمغ العربي وتكتفي بغراء الحوت وإذا كتبت به اتركه حتى ييبس وأدلكه بمحارة أو شبيهها كما تحب[3].

5-3-3 صبغة الكتاب بالذهب المحلول:

نصفي الماء عن الذهب حيث نتركه في آنية ليلة فإذا أصبح وجدت مسال من الذهب مع الماء ملتصقا في قعر الآنية على الزجاج والماء والعسل يروج فأرهق الماء عن الذهب والذهب ملتصق ولا يتحرك فإذا أرهقت الماء عنه فضمه بين الاصبع ونضيف

---

(1) -شادية عبد العزيز الدسوقي، **فن التذهيب العثماني في المصاحف الأثرية**، الطبعة الأولى، دار القاهرة، القاهرة،2002، ص43، 44.

(2) -أبو العباس أحمد بن محمد السفياني، المصدر السابق، ص19.

(3)- نفسه، ص20.

عليه ماء آخر وبعد ساعة نصفيه في الآنية التي نكتب منها وهي آنية مزججة بحيث نضيف اليها الذهب المحلول اليابس بقدر ما تريد قليلا أو كثيرا للكتابة ثم نعمل فيه الصمغ العربي قدر ما يكفي أو حتى غراء الحوت إن كنت تحسن استعمله واسقه بالماء ونحركه ونقلبه بليقة من الصوف بقلم فإذا يبس في الكاغط فقد تم ذلك.[1]

5-3-4 فائدة في شأن غراء الحوت:

يعتبر هذا الغراء أجود من الصمغ العربي وغير معروف عند كثير من أهل الصنعة باستثناء ذوي الخبرة منهم.

وغراء الحوت على نوعين، نوع من أصفر اللون ويطلق عليه غراء الحوت الأبيض ويطبخ على النار كما يطبخ الغراء المستخرج من الجلد، والنوع الثاني هو غراء غير مطبوخ يطلق عليه الثريد الميبس.

- غراء الحوت الأبيض:

يحل هذا الغراء بالماء على نار هادئة وهذا النوع مستخرج من عراقب البقر ويسقى به الذهب الذي يستخدم في تذهيب العناصر الزخرفية المنفذة على أغلفة المصاحف الجلدية، ويفضل استخدام هذا الغراء في الأيام الحارة، ولكن في الأيام الشديدة البرودة يلاحظ أنه إذا سقي به الذهب فإنه يجمد ولا يجري على الجلد ويذهب لون الذهب، لذلك يجب أن يجعل الإناء الذي به الغراء فوق هواء النار الذي يتقارب مع هواء حرارة الصيف في الظل، وليست حرارة الشمس المباشرة بأن يعلق الإناء فوق جمار به شيء من النار حتى يظل الغراء سائلا ولا يتجمد أبدا، ويستخدم بمرونة ويسر في تذهيب الجلد.

- الثريد الميبس:

هذا الغراء أبيض اللون، ويأتي ملفوفا بعضه فوق بعض ويسقى به الذهب المستخدم في تذهيب العناصر الزخرفية التي بالأغلفة الجلدية في العصر العثماني، وهذا

(1) - نفسه، ص19.

النوع مستخرج من حيتان البحر، يوضع في الماء حتى يترطب ثم يخرج من الماء، ويدق على حجر الرخام ويطوى ثم يعاد عليه الدق حتى يصبح كالرق، ويطوى مرة أخرى حتى يمتد ويقطع منه قطع صغيرة، وتوضع في وعاء به قليل من الماء بقدر ما ينحل فيه على نار هادئة، ثم يرفع عن النار ويترك ليبرد ثم يسقى به الذهب.[1]

5-3-5 فائدة في شأن غسل الجلد الذي زيته الدباغون:

يقوم الدباغون بصبغ الجلد بإضافة الشب فيلعب بهم الشب فيخرج لون الصباغ أشرق حتى يدهنوا الجلد بالزيت فيأتي لونه ثم نقوم بفركه بأصابع اليد فيخرج الزيت ويطلع على وجه الماء.[2]

5-3-6 الغراء الشامي:

هذا الغراء معروف عند العاطرين ويسقى به الذهب المستخدم في تذهيب العناصر الزخرفية المنفذة على الأغلفة الجلدية، ويحل الغراء الشامي بأن يذوب في آنية ويترك ليجمد، وعند استعمله في التذهيب يضاف إليه قليل من الماء مقدار ما يسقى به الذهب ويفرك بإصبع السبابة ثم يستعمل في تذهيب الجلد إذا كان الجلد مغسولا أم لا فإن النتيجة تأتي حسنة، حيث أنه عند صقله لا قشر الذهب، ولكن يلاحظ أنه إذا سقي الذهب بغراء الحوت يشترط أن يغسل الجلد لأنه عند صقل العناصر الزخرفية المذهبة يقشر الذهب إذا كان الجلد غير مغسول، ولكن هذا الغراء ينفرد باستعماله على الجلد قبل أن يغسل.[3]

5-3-7 صبغ الجلد باللون الزيتي:

يدهن الجلد بالزيت فيأتي ثم يفرك حتى يطلع على وجه الماء فأرهق الماء ويكرر الغسل والفرك بين اليدين فأنه يطلق زيتا على وجه الماء فتتبعه حتى يضعف منه

(1) – شادية الدسوقي، المرجع السابق، ص78. وانظر أيضا: السفياني، المصدر السابق، ص 20.
(2) – أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد السفياني، المصدر السابق، ص23.
(3) – شادية الدسوقي، المرجع السابق، ص79.

الزيت لأنك اذا كسوت الكتاب قبل غسله وجريت عليه الذهب فان الزيت يمنع الجلد من الغراء أن يشربه يعني غراء الحوت،وان اردت ان تصبغ الجلد زبيبي فان الصبغ يطلع مبرقعا يدفعه الزيت عن بعض المواضع وإذا غسلته من الزيت ظهر لون الجلد وكسي به الكتاب فانه يسقط لون الجلد بخروج الزيت منه بل اذا ادلكته وكررت عليه الدلك ظهر لك من اللون ما لم يظهر للدباغ بوجود الزيت فيه.[1]

5-3-8 صفة صبغ الجلد باللون البنفسجي:

نأخذ الجلد المصبوغ ونغسله غسلا جيدا بالماء ونسقعه بحديدة حتى لا يبقى فيه وسخ ونخرزه حتى يكون ينتفخ وبعد ذلك نسقيه بأوقية من الشب محلولا في الماء وننفخه ثم نعركه حتى يسري فيه الماء بالشب ونفرغ عليه الماء وبعد ذلك نسقيه بالماء المطبوخ بالبقام الكحال الجيد الذي به حلاوة إذا دقته بلسانك وانفخ الجلد بعد السقي فإذا انتفخ برمه بين يديك وأقلب أسفله وأعلاه أسفله.[2] نحصل عليه بعدما نغسل الجلد بالماء ثم نعصره جيدا ونمده مدا محكما وحل شبا في الماء ونضف إليه البقم ونطل به الجلد.[3]

5-4 صفة عمل الترنجة:

يؤخد الجلد المقشر ثم نطليه بالغراء الشديد من وجهين ونلصق عليه جلدين بدون تقشير مدهونين بالغراء من الناحية السفلى ونتركه حتى ييبس ونلصق ورقة من الكاغط مرشومة بالمداد وفيها من الصنعة ما تريد وصفه ورشمه وذلك بأن تأخذ ورقة من الكاغط الرقيق وتريقها بريقك واتركها تشرب الريق وتجف قليلا وتنزلها على أي رسم من ترنجة أو ركن أو نوارة أو توريق أو غير ذلك من المرسومين في الكتاب ونضبط عليه بالإبهام والأصبع وبعد قطعه في الرشم نتركه ييبس ونتبعه بالقلم والمداد

(1)- أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد السفياني، المصدر السابق، ص24،23.

(2) - نفسه، ص 25

(3) - شادية الدسوقي، المرجع السابق، ص177.

حتى تظهر لنا الصنعة ثم نلصقها على الجلد المتقدم ذكره ونتبعه بالرسم والحفر على الصفة المرسومة وإذا انحفر نضرب على الجلد المبلول فيرسم فيه ما رسمت في الصنعة.[1]

يكون موقع الترنجة في وسط الدفة، أما أجزاؤها فتوضع في الأركان ومنها الرأس (سر ترنج) هما عبارة عن سرتين صغيرتين تخرجان من طرفي الوسطى وهما مزخرفتان بنفس الزخرفة. والنصف (نيم ترنج): تقعان بين الرأس والترنجة نفسها، أما الربع (الجكي) ويطلق عليه أحيانا اسم ركن أو زاوية وعادة ما تزخرف ربع السرة الأركان الأربعة.[2] والترنجة التي تستخدم في زخرفة لسان المخطوط ويجب أن يساوي حجمها ¼ حجم ترنجة جلدة الكتاب المخطوط.[3]

خاتمة

وبعد هذا العرض لجميع خطوات التجليد والتذهيب من خلال كتاب السفياني يمكن اعتبار هذا الأخير من أهم المصادر التي تناولت هذه الصناعة من جميع الجوانب سواء تعلق الأمر بالمواد أو الأدوات أو التقنيات والأساليب، ومما زاد من قيمة هذا الكتاب أن مؤلفه يعتبر من كبار معلمي عصره في هذا الميدان وبالتالي يصبح الاعتماد على المصطلحات والطرق الواردة في كتابه من ضرورات البحث في صناعة التجليد والتذهيب لأنها مصطلحات وتقنيات أصلية ذات علاقة مباشرة بهذه الصناعة.

(1) -أبو العباس أحمد بن مُحَّد السفياني، المصدر السابق، ص26.

(2) -سامي مُحَّد نوار، المرجع السابق، ص49، 50.

(3) -نفسه، ص55.

قائمة المصادر والمراجع:

- آصلان آبا (أوقطاي)، **فنون الترك وعمائرهم**، ترجمة: أحمد مُحَمَّد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، 1987.
- الدسوقي (شادية عبد العزيز)، **فن التذهيب العثماني في المصاحف الأثرية**، الطبعة الأولى، دار القاهرة، القاهرة، 2002.
- زكي (مُحَمَّد حسن)، **فنون الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م.
- السعيد بنموسى، **تسفير وتذهيب الكتب وترميم المخطوطات**، الطبعة الثانية، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 1994.
- السفياني (الفقيه أبي العباس أحمد بن مُحَمَّد)، **صناعة تسفير الكتب وحل الذهب**.
- المنوني (مُحَمَّد)، تاريخ الوراقة المغربية –صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة –منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، **سلسلة بحوث ودراسات**، رقم 02، جامعة مُحَمَّد الخامس، المملكة المغربية، 1991.
- نوار (سامي مُحَمَّد)، **فن صناعة المخطوط الفارسي**، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية.
- عز الدين (ميرفت)، **تجليد الكتاب القبطي منذ القرن الثالث عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي من خلال مجموعة المتحف القبطي بالقاهرة**، رسالة ماجستير قسم الآثار كلية الآداب، جامعة حلوان، 2006.

الحرف والصنائع بالجزائر في العهد العثماني

الدكتور سمير بوطيش

باحث بالمتحف الوطني للفنون الجميلة –الجزائر

مقدمة

كل صنعة تتطلب معرفة ومهارة يدوية تسمى حرفة وفنا، فالفن في المفهوم الإسلامي يجمع الصنعة مع العلم والمهارة، وينطبق هذا الشرط على جميع الفنون التطبيقية من صناعة المعادن إلى الزجاج والجلود والأخشاب والمنسوجات والرخام والجص و...[1].

أما الصناعة فقد عرّفها ابن خلدون، فقال: " إعلم أن الصناعة هي مَلَكة في أمر عملي فكري... ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها المركّب، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات، والمركب هو الذي يكون للكماليات... ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجيال، ولهذا تجد الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة، ولا يوجد منها إلا البسيط... "[2].

عمل المسلمون منذ دخولهم بلاد المغرب على تنمية القطاع الصناعي في جميع المجالات التي كانت بدورها منظمة تنظيما دقيقا وكان الحرفيون منخرطون في نقابات حسب التخصص، وكل حرفة تخضع لسلطة رئيس يلقب بالأمين يُرجع إليه في حل المشاكل التي تشمل شؤون المهنة، وكانت كل حرفة تختص بشارع أو سوق ينسب

(1)- وجدان علة بن نايف، سلسلة التعريف بالفن الإسلامي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د. تا.، ص18.

(2)- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الدار الذهبية للطبع والنشر، القاهرة، 2006، ص 434

إليها كسوق الدباغين وسوق اللوح وسوق الصفارين وغيرها[1]، وعلى هذا المنهاج سارت مدينة الجزائر في الفترة العثمانية هذا ما سوف نتطرق إليه في هذا البحث.

1- الأوضاع السياسية بالجزائر في العهد العثماني:

لم يكتف المسيحيون باضطهاد المسليمن في إسبانيا وتهجيرهم نحو شمال إفريقيا، بل تبعوهم إلى برّ المغرب، فاستولوا هناك على مرسى الكبيرومدينة وهران وبجاية وغيرها من مدن الساحل الجنوبي للمتوسط[2]، وكان هذا هو السبب المباشر للتواجد العثماني بالمنطقة بعد استنجاد أعيان البلاد بهم، ليشهد بذلك مطلع القرن 10هـ / 16م سقوط إمارات المغرب الإسلامي بداية بالحكم الحفصي من شرق الجزائر وتونس وطرابلس، وانتهى حكم الزيانيين من غرب الجزائر، وسقطت إمارة الثعالبة بمدينة الجزائر، وحلّ محلها الحكم العثماني الموحّد، واستكملت الجزائر أنظمتها الداخلية وتحقّقت لها وحدتها السياسية وظهرت الجزائر كشعب ودولة ذات مقومات واضحة ومتينة.[3]

كما تعتبر هذه الفترة بمثابة المعبر الزمني الذي حافظ على قِيم البلاد الحضارية ومقوماتها العربية الإسلامية وفي اختيار عاصمة قارّة ورسم حدود واضحة ووضع أجهزة إدارية وسنّ أنظمة اقتصادية وإقرار أوضاع اجتماعية وانتهاج علاقات سياسية خارجية تتلاءم وأوضاع البلاد.[4]

---

(1)- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، العهد العثماني، الجزائر، 1984، ص 61.

(2)- أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، ط2، الجزائر، 1980، ص 25

(3)- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، دار الطباعة للنشر، 1965، ص 153

(4)- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص29

التقسيمات الإدارية وأهم المراكز الحضارية:

كانت الجزائر في العهد العثماني مقسمة إلى أربعة بايلكات قصد تسهيل إدارة البلاد وضبط أمورها تحت يد حاكم واحد، وهي:[1]

1-1- دار السلطان: تمتد من دلس ووادي سباو شرقا إلى شرشال وتنس غربا وإلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا، وهي تحت تصرف الباشا أو الداي مباشرة، وهي مقره ومقر الديوان والإدارة العامة، كما توجد بها مقرات قناصل الدول الأجنبية[2]، أما حضاريا فضمّ المدن التالية:

مدينة الجزائر: إتخذ العثمانيون المدينة عاصمة للبلاد وأصبحت في ظرف وجيز من أمهات مدن المتوسط، زارها ووصفها العديد من الرحالة على رأسهم حسن الوزان سنة 921هـ /1515م ووصفها بأنها" ...**مدينة كبيرة... فيها دور جميلة وأسواق منسّقة، لكل حرفة مكانها الخاص...**" [3]، أما التمجروتي الذي وصفها سنة 999هـ / 1590م، فقال فيها " **وهي عامرة كثيرة الأسواق ... وريّاسها موصوفون بالشجاعة وقوة الجاه ونفوذ البصيرة في البحر يقهرون النصارى ... فبلادهم بذلك أفضل من جميع بلاد إفريقية وأعمر وأكثر تجّارا وأنفذ أسواقا وأجود سلعة ومتاعا** ..."[4].

كما وُصِفت من طرف عديد الرحالة الغربيين على غرار Nicolas De Nicolay الذي زارها في القرن 10هـ/ 16م وقال عنها بأنها مدينة صناعية وتجارية

(1)- مُحَمَّد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، الجزائر، 2007، ص 34.

(2)- حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر، ط1، 2008، ص 146.

(3)- حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص37

(4)- أبو الحسن التمجروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، د.م، د.تا، ص 139

بامتياز ومركز النشاط الاقتصادي للوطن[1]،شوارعها منظّمة وكان لكل حرفة سوق خاص بها، كما كانت المدينة مأوى اللاجئين الأندلسيين الذين فتحت لهم أبوابها واستفادت من خبراتهم في إحياء الكثير من الحرف[2].

كانت المدينة تحوي في القرن 11هـ / 17م حسب بعض الإحصائيات على 1200 خياطا و600 مربي دودة القز و200 نساجا و180 سكاكا و80 حدادا وعددا آخرا معتبرا من الصناع[3].

– **دلس**: هي آخر مدينة في إقليم الجزائر من جهة الشرق على ساحل البحر المتوسط، جل سكانها صبّاغون، اشتهرت المدينة خلال العهد العثماني بكثرة مدابغها وكان بها سوق يتوسطها مقسّم إلى رحبات، كل رحبة تحمل اسم السلعة التي تصنّع وتباع فيها.[4]

– **شرشال**: تقع غرب مدينة الجزائر، هُجرت المدينة وبقيت خالية من السكان زهاء ثلاثة قرون، إلى أن أحياها الأندلسيون الذين اشتغلوا بصناعة الحرير وأصبحت المدينة من أكبر مراكز المغرب الأوسط[5].

– **القليعة**: تقع غرب مدينة الجزائر، يوجد بها أزقة مكوّنة من دكاكين متقابلة تُصنع بها مختلف أنواع الأنسجة، كما يوجد بها مجموعة من ورشات الخرازين[6].

---

(1)- Nicolas De Nicolay, Les quatre premiers livres des navigations orientales, Lyon, 1568, p 08.

(2)- Golvin L., Aspects de l'artisanat en Afrique du Nord, Paris, 1957, p. 217.

(3)- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص49

(4)- إسماعيل بن نعمان، مدينة دلس، دراسة تاريخية وأثرية خلال العهد الإسلامي، تيزي وزو، 2011، ص 98

(5)- حسن الوزان، المصدر السابق، 34

(6)- Anonyme, Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger, Paris, 1830, p.6

– **البليدة:** تقع جنوب مدينة الجزائر، كانت تمثل نقطة التقاء العمليات التجارية بين العاصمة والمناطق الأخرى، اشتهرت كمركز حضاري أواخر العهد العثماني[1].

أما فيما يخص إمارة كوكو، فسياسيا كانت تابعة إلى خلافة مدينة الجزائر مع تمتّعها باستقلال ذاتي، اشتهر سكانها بممارستهم للعديد من الصناعات المعدنية والخشبية والنسيجية[2].

1-2- بايليك الشرق: عاصمته قسنطينة، يمتد من البحر شمالا إلى ما وراء بسكرة ووادي سوف جنوبا ومن الحدود التونسية شرقا إلى جبال جرجرة غربا، وعليه نائب يحمل لقب باي الشرق، أما حضاريا فضمّ المدن التالية:

– **قسنطينة:** دخلت تحت سلطة الحكم العثماني في حوالي سنة 935هـ/1529م، وتأتي بعد مدينة الجزائر من حيث الأهمية خلال هذه الفترة، كون مدينة وهران ظلت تحت الحكم الإسباني وضعف مكانة مدينة تلمسان، كانت هي الأخرى مقصدا ومستقرا للعديد من الأسر الأندلسية التي أثّرت في العادات والتقاليد الفنية وأعطت حركية للحِرف والصنائع وأكسبتها طابعا مميزا[3].

– **عنابة:** تقع شمال شرق مدينة قسنطينة، لها أسواق حسنة ويُزرع بها الكتان، ومن تجارتها الغنم والصوف والماشية، الرجال فيها بعضهم تجار وبعضهم صناع وحاكة، ويوجد بها شاطئ يكثر فيه المرجان[4]، اشتهرت المدينة بإنتاج الأصواف والجلود،

(1)- Venture De Paradis J. M., Alger au 18 è siècle, Tunis, S. D., p 12.

(2)- مُحَمَّد الصغير فرج تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، ترجمة موسى زمولي، مطبعة تالة، 2007، ص29

(3)- مُحَمَّد الصالح بن العنتري، فريدة منسية حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، الجزائر، 2007، ص 25

(4)- حسن الوزان، المصدر السابق، ص 62

وكانت تقدم غاباتها نصيبا من الأخشاب الجيدة، كما تملك المنطقة موارد طبيعية معدنية منها النحاس والحديد[1].

– **بجاية:** تقع شرق مدينة الجزائر، إحتلها الإسبان سنة 916هـ / 1510م رغم المقاومة الشديدة التي لقوها من طرف المجاهدين البجاويين واستحوذوا على كل نفائسها ونقلوها نحو إسبانيا، وفي سنة 972هـ / 1555م سار الجيش العثماني نحو المدينة، عزّزهم في طريقهم أهل إمارة كوكو وحاصروا المدينة ليدخلوها مسترجعينها وتسترجع وبسرعة مكانتها وازدهر اقتصادها خاصة مع توافد المهاجرين الأندلسيين الذين نشطوا في مختلف الحرف ونقلوا خبراتهم إلى سكانها[2]، وعرفت عندها المدينة تنظيما حرفيا وكانت لها أسواق لا تختلف عن أسواق تونس وفاس ومراكش وكانت أكثر تخصصا[3].

– **جيجل:** تقع على ساحل البحر المتوسط شرق مدينة بجاية، غالبية أهلها من الصناع[4]، كما كثرت بها الأسواق والورشات المخصصة لدباغة الجلود، إستقبلت هي الأخرى مجموعة من الأندلسيين، كما كانت المنطقة خزانا للأخشاب بفضل ما تملكه من أشجار.

(1)- سعيد دحماني، عنابة، وزارة الإعلام، الجزائر، 2007، ص 68

(2)- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، الجزائر، 2007، ص 109 -322

(3)- مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج3 ، مدن الشرق، الجزائر، 2007، ص 275

(4)- مارمول كربخال، إفريقيا، ج.2، ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1989، ص 380

– **القالة:** تقع شمال شرق مدينة قسنطينة، تكمن أهميتها الاقتصادية في استغلال تلك الكميات الهائلة من المرجان، كما اشتهرت بوفرة الجلود والأصواف ومختلف أنواع المنسوجات[1].

– **القل:** مدينة مليئة بالصناع الذين يمتلكون كمية كبيرة من الجلود، كما يوجد بها غابات شاسعة والكثير من أشجار التوت، حيث يكسب سكانها ثروات عظيمة من تربية دودة القز[2].

– **مدن أخرى:** هناك مدن ومراكز أخرى ثانوية تابعة لبايلك الشرق على غرار المسيلة التي كان سكانها صناع أو فلاحون ويجود عندهم القطن، وبسكرة وتقّرت المدينة العامرة بالصناع، وورقلة التي كان الصناع فيها كثيرون[3]، ومدينة سطيف وميلة وغيرها، ولم يكن لها شأن حضاري كبير في هذه الفترة.

1–3– بايليك الغرب: تأسس سنة 980هـ/1563م، نُقلت عاصمته من مازونة إلى معسكر سنة 1122هـ/1710م، ثم وهران سنة 1206هـ / 1792م وضمّ:

– **تلمسان:** بها أسواق منتظمة عبارة عن محلات تطلّ أبوابها مباشرة في الشارع، ماجعلها قطبا صناعيا بارزا في كامل شمال إفريقيا، كما كانت مركز تقاطع مسلكين، الأول من الشرق إلى الغرب قادما من تونس نحو المغرب والثاني من الشمال إلى الجنوب قادما من البحر المتوسط نحو الصحراء[4].

---

(1)- يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا، 1500-1830، الجزائر، 1980، ص 26 - 35

(2)- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص 362

(3)- Boyer P., Op., Cit., p.23

(4)- Marçais G., Les villes d'art célèbres, Tlemcen, édit. Tel, Blida, Algérie, 2003, réédition de l'ouvrage paru en 1950, p 90.

زار المدينة العديد من الرحالة ووصفوها منهم حسن الوزان الذي قال عنها: "... إن جميع الصنائع والتجارات بتلمسان موزعة على مختلف الساحات والأزقة وينقسم أهل تلمسان إلى أربعة طبقات: الصناع والتجار والطلبة والجنود... الصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة... "[1].

كانت المدينة مركز إشعاع فكري وثقافي ومدينة الثراء التجاري والصناعي، كان بها عدد كبير من الورشات والمصانع[2]، إستقبلت هي الأخرى الكثير المهاجرين الأندلسيين، كما هاجر إليها الوهرانيون بعد سقوط مدينتهم في يد الإسبان، فورثت تلمسان عن هؤلاء جميعا فنونا مميزة، يُذكر أنه كان بالمدينة سنة 1070هـ/1660م ما يقارب ثلاثة آلاف محل وورشة، وكان الحرفيون يتمتعون بحياة هادئة وكانوا ذوو مكانة اجتماعية[3].

أما مدينة ندرومة فكان سكانها يصنعون أجمل ما في بلاد البربر من أقمشة ومدينة هنين، المدينة الصغيرة التي كانت آهلة بالصناع والتجار، توجد بها معادن كثيرة إضافة إلى الأصواف والجلود، وتفسرة التي يشتغل سكانها في الحدادة[4]، فكل هذه المدن كانت قريبة من تلمسان.

– **وهران:** هي مقر إقامة باي الغرب، كان يقصدها العلماء والتجار وسائر أرباب البضائع، كان معظم سكانها من الصناع والحاكة ويعيش الكثير من أهلها من مدخولهم، إحتُلَّت المدينة من طرف الإسبان لمدة 205 سنوات إلى أن فتحها المسلمون الفتح الأول سنة 1119هـ / 1707م، ثم عادت تحت الاحتلال

(1)– حسن الوزان، المصدر السابق، 19.

(2)– Estry S., Op., Cit., p. 44.

(3)– Davity P., Description de l'Afrique, Seconde partie du monde, Paris 1660, p. 169.

(4)– حسن الوزان، المصدر السابق، ص 15 – 24

الإسباني، ثم فتحها المسلمون فتحا ثانيا سنة 1206هـ / 1792م وأصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة بايلك الغرب إلى أن إحتلها الفرنسيون[1].

– **مستغانم**:تقع شرق مدينة وهران، فيها صناع كثيرون ينسجون الأقمشة، اكتسبت المدينة مكانة مهمة أثناء احتلال الإسبان لمدينة وهران، ولكنها فقدتها بعدما استعادت الجزائر المدينة[2].

مازونة: تقع بين مستغانم وتنس، أغلب سكانها من النسّاجين والصنّاع والفلاحين، تتمركز في ملتقى كبريات الطرق الرابطة بين الشرق والغرب وكانت لها روابط تجارية مع فاس[3].

– **معسكر**: تقع شرق مدينة وهران، بناها الأتراك، تنعقد بها سوق يقصدها التجار من كل مكان لبيع منتجاتهم من منسوجات وبرانس وعباءات وسروج، عرفت المدينة في العهد العثماني تطورا في عمرانها وخضع تخطيطها للوظائف التجارية، كانت تشكّل مفترق طرق خاصة ذلك الذي يربط بين وهران ومستغانم وقلعة بني راشد، أما عن سكانها فقد كانوا يمارسون حرفة النسيج والجلود[4].

– **قلعة بني راشد**: تقع بالقرب من مدينة معسكر، كانت تُصنع بها الزرابي والمنسوجات الصوفية ذات التقاليد المحلية والمشرقية، وكانت القرى المجاورة لها تموّن تلك الصناعات بالمواد الأولية[5].

---

(1)- الأغا بن عودة المزاربي، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990، ص 58 - 142

(2)- وليام شالر، مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا بالجزائر (1816-1824)، تعريب إسماعيل العربي، الجزائر، 1977، ص 35

(3)- مولاي بالحميسي، مازونة مقصد الدارسين، الجزائر، 2005، ص 5

(4)- عدة بن داهة، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2005، ص 37-53

(5)- Prosper R., L'artisanat indigène en Oranie, Oran, S. D., p. 33

مليانة: تقع جنوب غرب مدينة الجزائر، يكاد يكون سكانها كلّهم صنّاع السروج، نساجين أو خراطين، عرفت المدينة خلال العهد العثماني إنتشار العديد من الحرف والنشاطات الفنية[1].

تنس: تقع شرق مدينة مستغانم، بها أسواق كثيرة، بناها أهل الأندلس وانظم إليهم بربر هذا القطر[2].

1-4- بايليك التيطري: كان أصغر البايلكات ومقره مدينة المدية، أُسّس سنة 947هـ / 1540م،يحدّه من الشمال الأطلس البليدي ومن الجنوب الأطلس الصحراوي ومن الغرب الشلف ومن الشرق جبال ونوغة، ويضم:

- المدية: تقع جنوب غرب مدينة الجزائر، إنتشرت بالمدينة مختلف الحرف والنشاطات الصناعية والفنية كالنّجارة والحدادة والدباغة والحياكة وصناعة الجلود وخاصة الأحذية[3].

- بوغار: لا تبعد كثيرا عن مدينة المدية، عرفت ازدهارا كبيرا في المجال الفني نظرا لوجود عدد كبير من الحرفيين والصناع بها في مختلف المجالات.

الأغواط: عُرِفت المدينة كمركز مزدهر واشتهرت بصناعة التحف المعدنية[4].

- بوسعادة: لعبت المدينة دورا اقتصاديا وتجاريا، كما كانت نقطة التقاء بين الشرق والغرب بفضل موقعها الجغرافي الهام، كان جلّ سكانها يشتغلون في الصناعة المعدنية[5].

---

(1)- ودان بوغفالة، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية وملیانة في العهد العثماني، الجزائر، 2007، ص 203

(2)- البكري (ت. 485 هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، جزء من كتاب الممالك والمسالك، بغداد، د.تا.، ص 726

(3)- ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص 156

(4) - Golvin L., Op., Cit., p. p. 32 - 52

(5) - Nacib Y., Culture oasicienne, Alger, 1986, p. 203.

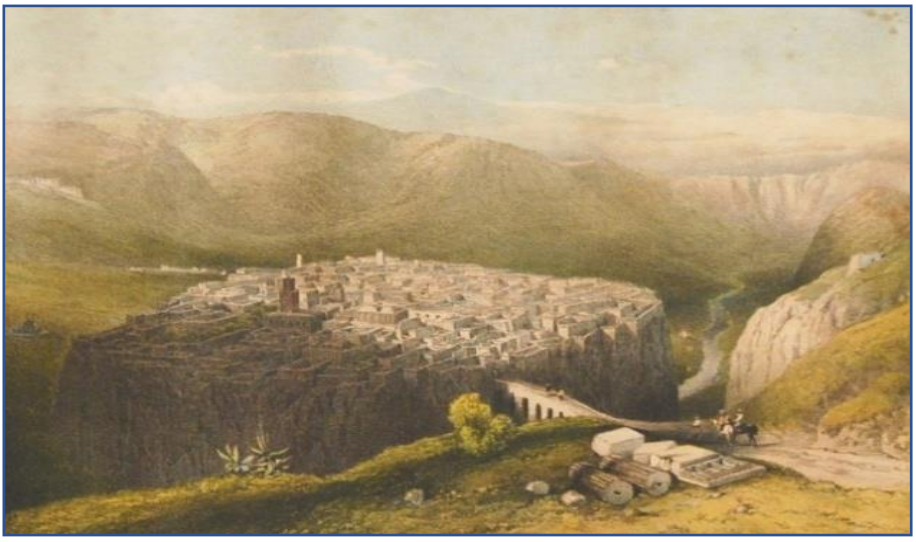

صورة رقم: 02

صورة رقم: 03

منظر لمدينة الجزائر خلال ق. 17 م لـ: رامكر س. منظر لمدينة قسنطينة لـ: فيلناف

مجموعة المتحف الوطني للفنون الجميلة

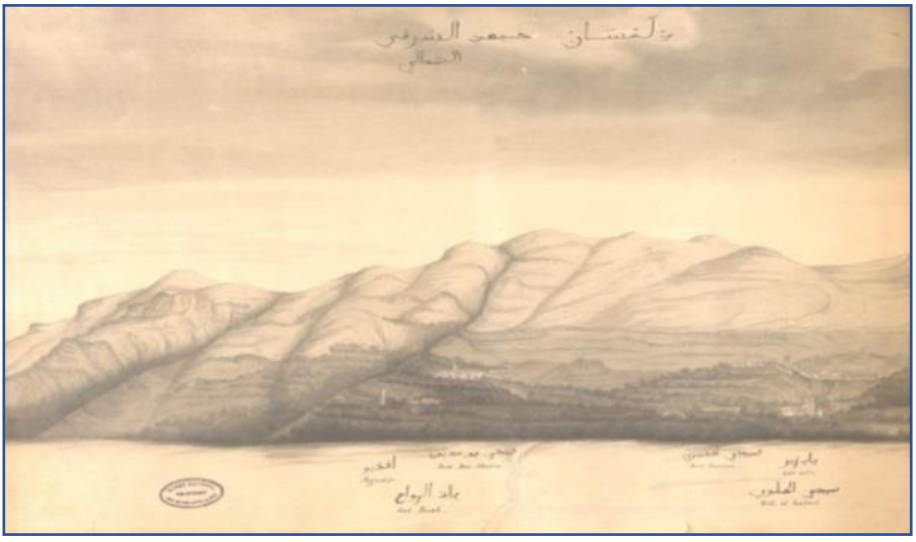

صورة رقم: 04

منظر شامل لمدينة تلمسان سنة 1858 لباتاي ب.

مجموعة المتحف الوطني للفنون الجميلة

صورة رقم: 05 مجهول،

ساحة مدينة المديةمجموعة المتحف الوطني للفنون الجميلة

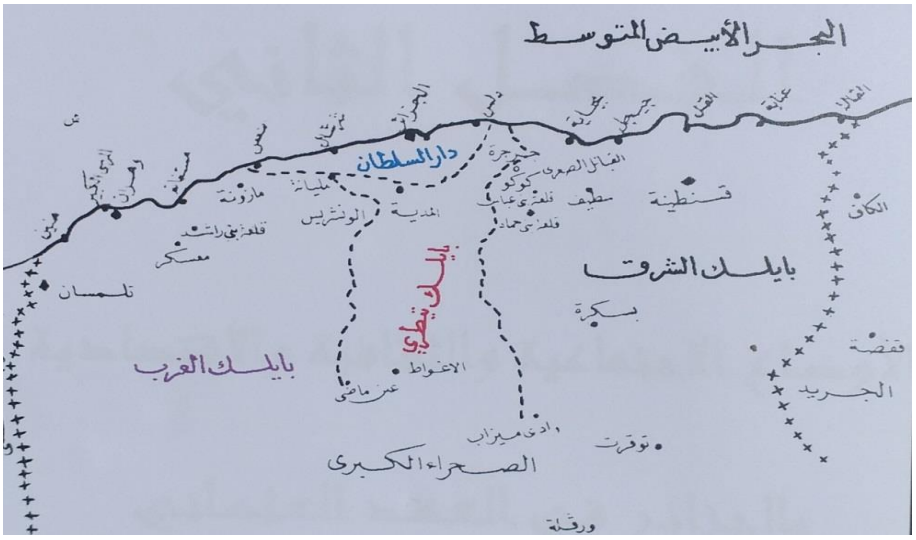

خريطة رقم 01: التقسيمات الإدارية للجزائر في العهد العثماني

عن: يحي بوعزيز / بتصرف

2- المجتمع الجزائري:

تميّز الوضع الاجتماعي بالجزائر في العهد العثماني بوجود عدة شرائح تخصّصت كل واحدة منها بدور في المجتمع، كلٌّ حسب مهاراته، هذا ما أكسب البلاد وضعا اجتماعيا خاصا[1]، كانت هذه التركيبة تتكون من الحضر والأتراك والكراغلة واليهود والعبيد والزنوج، وكان هذا الخليط البشري يخضع لعادات ونُظُمٍ متكاملة يسودها التفاهم، خلقوا انسجاما اجتماعيا متماسكا[2]، ومنه ظهرت خصوصية التنظيم الحرفي للمجتمع الجزائري واختصت كل تركيبة في نوع من الصناعات:

- **الحضر**: تتكون هذه الطبقة من أربعة أصناف هم البَلْديّة، وهم السكان الذين سكنوا البلاد وهم ليسوا أتراكا ولا مسيحيين ولا يهود[3]، فأغلب يمتهنون وظائف، وكان منهم أمناء الحرف ومنهم النجارين والطرازين والخياطين والصاغة، أما بالنسبة للقبايل فيعيش أغلبهم في الجبال مشكِّلين جزءا مهما من سكان الجزائر، كانوا صُنَّاعا بامتياز يشتغلون بالمناجم، يصنعون معدات الحرب والصيد والزراعة، كما تفنّن النسوة بنسج الصوف[4]، أما العرب فلا يقومون بالكثير من الأعمال سوى ما يلبي حاجياتهم اليومية، وأخيرا الأندلسيين الذين كان أكثرهم من أصحاب الصنائع، حيث

(1)- عبد الله بن مُحَمَّد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/1695-1705م)، تحقيق وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، ط1، بيروت، 2006، ص 25

(2)- نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي، الجزائر، 2007، ص64

(3)- Marçais G., Le costume musulman d'Alger, collection du centenaire, 1830-1930, p. 10

(4)- عبد الله بن مُحَمَّد الشويهد، المرجع السابق، ص 25

لعبوا دورا هاما في الاستثمار الصناعي، ما أدى إلى إنعاش بعض الأنشطة خاصة المتعلقة بالحرير والنجارة والخياطة[1].

– **الأتراك**: جاءوا من مختلف أنحاء الإمبراطورية العثمانية، كوّنوا الطبقة الحاكمة وكانوا منعزلين عن الأهالي من أجل الحفاظ على سطوتهم السياسية، كان جلّ المقيمين هنا من الجند، كانوا يواكبون التطورات التي تحدث عندهم خاصة في مجال الملبس ونمط العيش[2]، كانوا يعيشون مما يجنونه من عملهم في الجيش، ومارس البعض منهم التجارة والصناعة، أثّر هؤلاء على الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للجزائريين، وأوّل هذا التأثير هو ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع المشرقي من خلال ما جاءوا به من وسائل حضارية شرقية من مأكل وملبس وألقاب وصنائع وتقاليد[3].

– **الكراغلة**: تكوّنت هذه الفئة من الزواج بين الأتراك والنساء الجزائريات، ورغم اشتراكهم مع الأتراك في الأصل، إلا أنهم أُبعِدوا عن المهام الكبرى خوفا من سيطرتهم على شؤون البلاد بحكم قرابتهم مع الأهالي، فكانوا جنودا في المؤسسة العسكرية، وساهموا في تطوير البحرية الجزائرية وبناء السفن، كما ساهموا في الجانب العمراني في تحصين المدن[4].

– **أهل الذمة**: ويقصد بهم اليهود والمسيحيين، فبالنسبة لليهود فقد جاء أكبر عدد منهم من أوربا وجلبوا معهم كفاءتهم واستعدادهم للتجارة والصناعة خاصة ما تعلّق بصناعة الزجاج النحاس والخياطة، وأصبحوا مع مرور الوقت يشكّلون عنصرا

(1)- Rozet M., Voyage dans la régence d'Alger, t3, Alger, 1833, pp 162-170

(2)-Haëdo D., Topographie et histoire générale d'Alger, traduit par De Monnereau et Berbrugger, édit. Boucem, 1998, p. 10

(3)- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 (1500-1830)، الجزائر، 2007، ص 149

(4)- أحمد السليماني، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989،ص 31

آخرا من عناصر المجتمع الجزائري[1]، أما المسيحيون فكانوا عمالا دبلوماسيين وتجارا، وأن عدد قليل منهم فقط من كان يقطن بالجزائر وبشكل مؤقت فقط ويعودون إلى بلدانهم مع انتهاء فترة عملهم[2].

– **العبيد:** أصبحوا يشكلون مع مرور الزمن جزءا من سكان البلاد، كانوا يشتغلون في الأعمال المنزلية ودهن البيوت والزراعة والرعي وتربية الحيوانات ودودة الحرير، أما الجنس الثاني من العبيد فهم الأسرى الأوربيين الذين أُسِروا في البحر، كانوا يُسخّرون لخدمة الباشاوات وفي صناعة وتسيير السفن[3].

– **الدمشقيون:** عرفت الجزائر قدوم عدد من الدمشقيين أواخر الفترة العثمانية قصد بيعهم لتحف نحاسية جلبوها معهم، والتي لاقت رواجا كبيرا، ما أدى فيما بعد إلى جلبهم لأحسن الصناع، فاستقر عدد منهم بالجزائر، لعبت هذه الفئة دورا هاما في تطوير وإعادة إحياء هذه الصناعة[4].

3– الأوضاع الاقتصادية بالجزائر في العهد العثماني:

أكد الكثير من المؤرخين على الرخاء الاقتصادي الذي عرفته الجزائر طيلة القرون التي سبقت الإحتلال الفرنسي، وكان اقتصاد البلاد متوازنا قبل أن يلحق به الخراب إبان فترة الاحتلال، حيث هدّموا ودمّروا وردموا ورشات الصناعة التي صنعت مجد وشهرة الجزائر، ومع هذا تمادى بعض المؤرخين الغربيين وخاصة الفرنسيين منهم في الحطّ من واقع الصناعة الجزائرية في هذه الفترة وتفنّنوا في احتقارها، كما ساهموا في تعتيم الحقيقة للحقبة التي سبقتهم أكثر مما بحثوا عن الحقائق بطريقة موضوعية، وهو ما ذهب إليه.Emerit M الذي قال عن الجزائر أنها لم تكن أبدا مركزا صناعيا قبل

(1)- Rozet M., Op. Cit., p. p 211-225

(2)- Haëdo D., Op. Cit., p 56

(3)- Lespès R., Alger, esquisse de géographie urbaine, Alger, 1925, p. 74

(4)- Eudel P., Op., Cit., p. p 200-284.

دخول الفرنسيين إليها[1]، كما دعّمه في الرأي .Denontes V، الذي قال أن الجزائر لم تصل قبل دخول الفرنسيين إلى تكوين مراكز صناعية قادرة على قيادة النشاط الاقتصادي[2]، أما .Lespès R، فقال أنها لم تكن أبدا بلدا اقتصاديا بسبب نقص اليد العاملة المؤهلة[3]، نفس الشيء بالنسبة لـ .Estry S، الذي قال أن الصناعة في الجزائر كانت منعدمة، بل ظهرت وتطور ت بفضل دخولنا للبلاد[4].

3-1- تنظيم الطوائف والتجمعات الحرفية:

تعتبر الطائفة وحدة اقتصادية واجتماعية سادت في الكثير من المجتمعات، وهي التي ينتظم فيها أصحاب رأس المال والعمال المشتغلون بها، مشكّلة مجتمعا قائما بحد ذاته[5]، هدفها الإشراف المهني على عملية التصنيع ونوعية المنتج وتحديد الأسعار وتسوية الخلافات بين أعضائها، ومن هذا التنظيم أخذت بعض العناصر العمرانية اسم الحرفة الممارَسة فيها كالأبواب والمساجد والفنادق، فكانت منطقة أو شارعا بأكمله يخصِّص كل ورشاته ومحلاته وواجهاته لنفس الحرفة[6].

ومن الأسباب الأخرى التي خلقت نظام الطوائف هذا هو كون الإنسان بطبيعته لا يمكنه الإلمام بكل أنواع الصناعات، لذا ظهر ما يُعرف بالتخصّص الذي

---

(1)- Emirit M., « Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque turque », in Algeria., 1952, p.6

(2)- Denontes V., Algérie industrielle et commerçante, Paris, 1930, p. 109

(3)- Lespès R., Pour comprendre l'Algérie, Alger, 1937, p. 109

(4)- Estry S., Histoire d'Alger depuis les temps les plus reculés à nos jours, Tours, 1841, p. 93

(5)- عبد السلام عبد الحليم عامر، طوائف الحرف في مصر 1801-1914، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص14

(6)- أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، القاهرة، ط1، 1991، ص 99

يؤدي إلى إتقان صنعة واحدة والتفنّن فيها، وتطور الأمر إلى انضواء أصحاب الحرفة الواحدة في مجموعة أُطلق عليها مصطلحات عديدة كأصحاب الحرفة أو الصنعة أو الجماعة والتي كانت أكثر استعملا في الجزائر كجماعة البابوجية وجماعة الخراطين وجماعة الخياطين وجماعة الصفارين، عرفت هذه البنية في الجزائر في العهد العثماني تنظيما محكما، اتبعته كل الحرف مراعية في ذلك تسلسل الرتب والمهام، وكانت مبنية كما يلي:

– **أمين الأمناء:** يُنتخب من بين الأمناء وأقدمهم، وهو الخبير المتضلّع في شؤون السوق، تنحصر مهمته الأساسية في التنسيق بين الأمناء والعمّال والسلطات[1]، وله صلاحية اتخاذ القرارات حول المشاكل التي تخص تلك الحرفة، ومن مهامه كذلك مساعدة شيخ البلد في تحصيل الضرائب[2].

– **الأمين:** هو رئيس الحرفة ورمز وجودها، استعمل هذا المصطلح في كل من مدينتي الجزائر وقسنطينة وغيرها وهو سابق للعثمانيين[3]، يتم اختياره من قبل رفقائه من المعلمين المهرة، وأن البقاء على رأس الجماعة لم يكن محددا بمدة زمنية معينة، فقد كان باستطاعته البقاء مدى الحياة ما لم يصدر منه ما يتوجب عنه إقالته، يقوم الأمين بدور الرقيب على الصنعة وجودتها وله مساعدان يعيّنهما بنفسه لإدارة شؤونه وهما الشاوش والخوجة، كما يعمل على تحديد كمية المنتَج وحل النزاعات.

– **المعلّم:** يُشترط فيه أن يكون مُلِمًا بكل كبيرة وصغيرة عن الحرفة، يوجد في كل ورشة معلم واحد يشتغل تحت أوامره الصناع، وهو المكلف بتدبير شؤونها من

(1)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، 1700-1830، مقاربة اجتماعية-اقتصادية، الجزائر، 2007، ص 105

(2)- Eudel P., L'orfèvrerie algérienne et tunisienne, Alger, 1902,p. 88

(3)-Missoum S., Alger à l'époque ottomane, Alger, 2003, p. 41

حيث دفع المستحقات والضرائب، كما يكمن دوره في حل المشاكل التي قد تقع بين العمال، كما أنه هو المكلف باقتناء المادة الأولية.

– **الصانع**: هو من تعلم أسرار الحرفة وتقاليدها، ولم يكتسب مهارة بعد، وتُشكِّل فئة الصنّاع أعلى نسبة من المشتغلين في الورشة، ولا تُعرف الضوابط التي يخضع لها كي يرتقي إلى رتبة المعلم[1].

– **المتعلم**: وهو المبتدئ بالصنعة، لم تكن هذه الفئة تتحصل على أجرة بل كانوا يتحصلون على مصروفهم وعلى بعض الهدايا فقط، نجده على مدى حوالي سنتين أو ثلاثة يتدرب ليصبح فيما بعد مساعدا قبل أن تُعهد إليه الأعمال الأكثر أهمية وتعقيدا[2].

3–1– الحوانيت والورشات:

يعتبر الحانوت الخلية القاعدية للنشاط الاقتصادي، وهو محل إنتاج ومقر بيع، تُرفَق به أحيانا مخازن، تتجمع معظم هذه الأخيرة في الأحياء الرئيسية والبعض منها يُوَزَع في أنحاء المدينة[3]، أما الورشة فهي عبارة عن مكان مربع يعلوه طابق يستعمل كمسكن لصاحب الورشة أو الصنّاع أو يستعمل أحيانا أخرى كمخزن، ترتفع أرضية الورشة على مستوى الشارع بمقدار قدمين أو ثلاثة، يعاين الزبون السلعة من الخارج، هذا هو الوصف العام لمجمل الحوانيت التي لم يتغير طرازها في الجزائر[4].

---

(1)– عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 142

(2)- Quemeur J., Les corporations tunisiennes, Tunis, S. D., p. p. 31-32

(3)– زهية بن كردرة، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد علم الآثار، جامعة الجزائر، السنة الدراسية 1999–2000، ص 82

(4)– كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510–1541، ترجمة جمال حمادنة، الجزائر، 1991، ص78

صورة رقم: 01

محلات بمدينة الجزائر، طباعة حجرية

مجموعة المتحف الوطني للفنون الجميلة

3-3- أهم الحرف والصنائع بالجزائر في العهد العثماني:

إهتم الصناع والحرفيين في الجزائر في هذه الفترة بأنواع من الصنائع على حساب أخرى لعدة أسباب منها المهارة المكتسبة ووفرة بعض المواد الأولية وحاجة المجتمع لأنواع من التحف على حساب الأخرى، لذا نكتفي في بحثنا هذا التركيز على الصناعات المعدنية والخشبية والنسيجية والجلدية، وهذا راجع أيضا إلى توفر نماذج لتحف مصنوعة من هذه المواد محفوظة بالمتاحف والمؤسسات العمومية وعند الخواص، مع عدم وجود نماذج لتحف مصنوعة محليا من المواد الأخرى على غرار الزجاج والخزف وغيرها.

3-3-1- الصناعات المعدنية:

تعتبر المنتجات المعدنية أكثر ما وصل إلينا من تحف تعود للفترة العثمانية وأن أكثر ما وصلنا من هذه التحف مصنوعة من النحاس، وربما يعود هذا إلى مقاومة المعدن للظروف الطبيعية المؤثرة سلبا مقارنة مع المواد الأخرى.

أ- المادة الأولية: توجد المعادن في الطبيعة على شكل صخور تحوي على نسب معينة من المعدن الأصلي في شكل أكاسيد مخلوطة بكميات من التراب والمياه والغازات، وعمليات التعدين، أي صهر تلك الصخور هي التي تقوم بفصل هذه العناصر عن بعضها وتعطينا معادن خالصة[1].

عرف الإنسان المعادن منذ أقدم العصور وأتقن طريقة استخراجها واستخلاصها مما علق بها من شوائب، وأن أوّل استخدام للمعادن كان في مجال الأسلحة، وكان النحاس من أبرز هذه المعادن وأوّلها استعملا[2]، وقد ورث المسلمون الصناعات المعدنية عن حضارات الأقطار التي فتحوها، غير أنهم لم يلبثوا أن طوّروا أساليب فنية راقية خاصة بهم ذات طابع إسلامي صرف[3].

- النحاس وعناصره: يتميز النحاس بسهولة تشكيله وتوفره بكثرة، وهو ذو لون أحمر أو أصفر، يمتاز بالمرونة ما يسمح بتشكيله بسهولة، من مميزاته كذلك أنه لا يمتزج مع الحديد[4]، أما عن أهم أنواعه فنجد النحاس الأحمر الذي لا يدخل في تشكيله معادن أخرى، والنحاس الأصفر يتحصل عليه بمزج 86% من النحاس

(1)- محمود أبو نعيم، الرسم والتصميم على المعادن والنحاس، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007، ص24

(2)- عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص148

(3)- حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مجلد 1، بيروت، 1999، ص 115

(4) - راشل وار، الأعمال المعدنية الإسلامية، ترجمة ليديا البريدي، دار الكتاب العربي، 1998، ص64

الأحمر مع 10% من القصدير و4% من الزنك، والنحاس الذهبي الذي يتكون من 90% نحاس أحمر و10%زنك[1].

– **البرونز**: وهو النحاس مضاف إليه القصدير والزنك، وهو مادة مثالية لتقنية الصب في القالب لكونه صلب ومتماسك وقليل التقلّص عند التجمّد، استعمل هذا الأخير في صناعة مقابض الأواني وفي صناعة بعض أنواع وسائل الإنارة.

– **الحديد**: معدن أبيض مائل إلى الفضي، قابل للطرق، استعمل بكثرة في صناعة الأسلحة ولاسيما السيوف والخناجر، ولمنحه صفات معينة كمقاومة الصدأ والحرارة تضاف إليه معادن أخرى كالكوبالت والنيكل والمنغنيز وغيرها[2].

– **الفضة**: لا فرق بينها وبين النحاس من حيث الإستخدام وسرعة الأكسدة عند تعرضها للهواء، ونادرا ما تستعمل لوحدها بل تُضاف إليها نسبة من النحاس لإكسابها مقاومة أكبر، وكلما كان لون الفضة فاتحا ولامعا دلّ على جودتها ونقائها، استعملت هي الأخرى في صناعة الأواني والحلي والعملات[3].

– **القصدير**: معدن ليّن ورفيع ونادر، لونه أبيض مائل إلى الرمادي، يستعمل في تغطية الأواني وتبييضها كطبقة واقية[4].

– **المرجان**: حلية تُستخرج من البحر على شكل شعاب حيوانية تنمو على الصخور، ويتواجد هذا الأخير بكثرة في السواحل المتوسطية، أما عن أجود أنواع المرجان فهي الأكبر سنا، وأكثر الأنواع إنتشارا هو المرجان الأحمر بدرجاته، يستعمل هذا الأخير في تزيين مختلف التحف خاصة الحلي[5].

---

(1)- محمّد أحمد زهران، فنون أشغال المعادن والتحف، المكتبة الأنجلومصرية، 1965، ص4

(2)- محمود أبو نعيم، المرجع السابق، ص 48

(3)- Thiery E., « Argent » in G. E., t.3, Paris, S.D., p. 838

(4)- Perrier M., Le livre de dinanderie, dessin et tolra, Paris, 1979, p.19.

(5)- Poiret A., voyage en Barbarie, Paris, 1789, p. 52

– **المواد الدخيلة:** يُقصد بها المواد التي تدخل في تركيب بعض المعادن أو لإعطائها صلابة أكثر كالمنغنيز والزنك والرصاص والذهب والياقوت وغيرها، وكانت نادرة الاستعمال.

مراكز الصناعات المعدنية:

لم تكن تخلو المراكز الصناعية الجزائرية في العهد العثماني إلا نادرا من أحياء خاصة تُصنع وتُباع فيها التحف المعدنية، وكان لكل مركز ما يميّزه عن الآخر من حيث الأنماط والأساليب الفنية، ومن أهمها مدينة الجزائر التي طغت شهرتها من خلال تلك التحف المزينة بزخارف نباتية وفروع ومعينات، ثم تاتي مدينة قسنطينة التي أولت لهذه الصناعة أهمية تليق بها كمركز صناعي هام، وتمتاز صناعاتها بمواضيع نباتية داخل أشكال هندسية بأسلوبي الحز والتطريق، كما تعتبر مدينة تلمسان من المراكز الصناعية الهامة التي اختصت في صناعة وسائل الإنارة بأساليب أندلسية مغربية، كما ظهرت بعض المدن الأخرى، لكن بدرجة أقل على غرار مدينة الأغواط التي عُرفت كمركز مزدهر في إنتاج بعض التحف المعدنية كالأباريق التي جاءت خالية تقريبا من الزخارف[1]، ومدينة بوسعادة التي كان سكانها يشتغلون في هذا النوع من الصناعة، كما اشتهرت مدينة غرداية التي ضمّت بعض الورشات التي امتازت منتجاتها بالبساطة والموجهة للاستعمل اليومي[2] ومدينة بوغار التي عرفت ازدهارا كبيرا في مجال الصناعات المعدنية، إضافة إلى مدن البليدة ووهران وسعيدة ومعسكر وغيرها[3].

(1)– شريفة طيان، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص76-77.

(2)- Nacib Y., Culture oasicienne, Alger, 1986, p. 203.

(3)- Carayon G., Le travail artistique de fer et de cuivre en Algérie, S.L., S.D., p .6.

ب – مجالات الصناعات المعدنية:

يمكن تقسيم منتجات الصناعات المعدنية حسب وظيفتها إلى ثلاث مجموعات رئيسية، تتمثل الأولى في أواني تحضير وتقديم الأكل كالأطباق والقدور والطناجر والصحون والصواني والمسمنات والسكريات والأباريق والظروف والملاعق والسكاكين، أما المجموعة الثانية فهي الخاصة بأواني الغسل وحفظ الماء كالدلاء والجرار والمحابس والطاسات والسطال، وتتمثل المجموعة الثالثة في وسائل الإنارة والتبخير والزينة كالمشكاة والشمعدان والفانوس والمبخرة، إضافة إلى عدة الفارس وأدوات المكتب والصفائح التي تزخرف الصناديق والأبواب، كما استعمل المعدن في صناعة المسكوكات والحلي.

جـ– تقنيات الصناعة وأساليب الزخرفة:

إعتمد الصناع المسلمون في بداية أمرهم على الأساليب الصناعية والزخرفية السابقة للإسلام، لكنها كانت محلية، أي أنها كانت من نفس البلاد المفتوحة، تعتمد هذه الحرفة الإنطلاق من المادة وهي مصهورة أو من صفائح نحاسية بالاستعانة ببعض الأدوات وبعض الجهد العضلي والفكري[1]، وقبل الوصول إلى هذه التقنيات هناك مجموعة من المراحل يجب اتباعها لتصبح المادة الأولية جاهزة.

د– مراحل تحضير المادة الأولية: هي مراحل ضرورية ولا غنى عنها قبل الشروع في أي عمل معدني وتتمثل:

– **الصهر:** هي الطريقة الأساسية لاستخلاص المعدن، وأثناءها تُزال أغلب الشوائب، ليُحَوّل إلى فرن آخر يسمى فرن التنقية الذي يقوم بإزالة الشوائب المتبقية، ومن هنا يقوم بتحويله إلى صفائح ينطلق منها في عمله أو لاستعمله على هذه الحالة في تقنيات الصب[2].

(1)– إتيين جوسلين، دليل منهجي لجمع البيانات عن الحرف اليدوية، اليونسكو، 1992، ص 117.

(2)– Lebon G., La civilisation des arabes, Syracuse, Italie, S. D., p 407.

– **التخمير**: تضمن هذه المرحلة سهولة تطويع المعدن، فجلّ مراحل الصناعة المعدنية تتسبب في تنشيف وتصلّب الصفيحة المعدنية، لذا يجب تخميرها وغطسها في الماء من حين لآخر، ثم تترك لتبرد تدريجيا.

– **التنظيف**: هي عملية إزالة الأكسدة التي تتكوّن على سطح المعدن أثناء تسخينه وتعريضه للهواء، وتتم بغطس القطعة في حوض يتكون من حامض الكبريتيك ثم يُغسل بعد إخراجه، وينتظر حتى يجف كي لا يؤثر التبلّل على المطرقة لأن أي بقعة تلتصق بهما قد تنتقل إلى المعدن أثناء الطرق[1].

– **تحضير الصفيحة النحاسية**: لا تستدع هذه الأخيرة أعمالا إضافية كثيرة فيما بعد عدا اللّحام أو التدسير لجمع القطع مع بعضها بواسطة الطرق على السندان.

– **إقتطاع الجزء المعدني المراد تشكيله**: تُعمل معظم التحف من صفائح معدنية وباستعمل القلم والمقص في اقتطاعها، فيبدأ في تحديد المقاسات والأشكال المراد تجسيدها[2].

هـ– التقنيات الصناعية:

قبل شروع الفنان في عمليات الزخرفة، يجب عليه إعطاء تحفه شكلها النهائي المطلوب وينجز عمليته تلك بإحدى الطرق التالية:

– **التخطيط والتقطيع**: يقوم بالتخطيط الأوّلي للقطعة على الصفيحة المعدنية بمساعدة المدور، يحصل بعدها على جزأين؛ القاعدة والبدن، ثم تأتي عملية التقطيع بواسطة المقص متبعا تلك الخطوط.

(1)– مُحَمَّد أحمد زهران، المرجع السابق، ص 119-120

(2)– راشل وار، المرجع السابق، ص 41.

– **الترويض والتهذيب**: يبدأ الصانع وبمساعدة المدور بتحديد الدائرة المركزية، والتي إما أنها تُقطع وتلحّم أو بإحداث حزوز على محيطها ثم يرتفع منها البدن ثم الحافة، وبهذا تبدأ التحفة تأخذ شكلها المراد.

– **التقويس**: هي عملية تمتين حواف التحفة لتجنب انشقاقها أو زيادة اتساعها.

– **التشكيل بالطرق**: تدخل عملية الطرق في جلّ مراحل الصناعة، تجرى للحصول على الأشكال المختلفة وإعطاء القطع الشكل والأبعاد المطلوبة، وتتم بالطرق على البدن من الجهة الداخلية، كما تسمح بالحصول على أشكال مكوّنة من أجزاء مختلفة تُجمع معا بواسطة التلحيم[1].

– **الفصالة**: تُفصّل أولا القاعدة ثم وسط البدن فالحافة، ثم تجمع هذه القطع بطرق مختلفة، ثم يضاف إليها بعض الأجزاء الأخرى كالأرجل والمقابض وغيرها.

– **الجمع**: تتم على السطح الخارجي للقطعة بواسطة المطرقة على السندال، حيث يتوجب أن لا تنزل الطرقة على المشغول في نقطة التقائه برأس السندال بل على نقطة قريبة منه[2].

– **التلحيم**: هي عملية وصل قطع معدنية بواسطة الضغط أو بالضغط والحرارة معا إلى وحدة غير قابلة للانفصال، توضع هذه القطعة بعدها في الفرن، وبعد إخراجها يتم الطرق عليها في المناطق الملحّمة.

– **الترقيع**: يقصد بها تجميع أكثر من وصلة سواء من نفس المعدن أو من معادن مختلفة.

---

(1)- Ayachi T., L'artisanat du cuivre en Tunisie, Tunis, 1968, p. p.164 - 171

(2)- محمود أبو نعيم، المرجع السابق، ص 97 - 107.

– **التدسير**: تستعمل لتثبيت القطع الثانوية كالمقابض، فيقوم الصانع بتحضير البرشام، ثم يقوم بتجهيز ثقبين عند طرفي القطعة المضافة ثم يضغط بواسطة المثقاب كي يتحصل على الثقب الثاني في التحفة ويضع المسمار ويضرب بواسطة المطرقة طرفي القطعتين مع المسمار جيدا حتى تتماسك[1].

– **المراجعة والتصحيح**: تكون غاية الصانع الحصول على أشكال جميلة خالية من العيوب، ولا يتحقق له ذلك إلا إذا أجريت عمليات مراجعة على دقّة التقوّسات والانحناءات بواسطة الطرق أو البرد.

– **الصب في القوالب**: تتم بصهر المعدن وسكبه في حالته الذائبة في قوالب، يمكن خلالها تشكيل الآنية على وجه التقريب، ثم يقوم بتنظيفها وتصحيح عيوبها، وهناك نوعان من القوالب، الأول فني ويستخدم لمرة واحدة فقط، والثاني الدائم الذي يمكن أن يتكرر استعماله[2].

– **التبييض والتذهيب**: استعملت هذه التقنية على نطاق واسع في النحاس الذي يعتبر أكثر ملاءمة بطليه بمعدن القصدير كطبقة واقية تحمي البنية الداخلية للمعدن ولإعطاء التحفة مزيدا من الجمال، أما التذهيب فهي عملية ترسيب طبقة رفيعة من الذهب الممزوج مع الغراء[3].

و– الأساليب الزخرفية:

إتبع الفنان الجزائري جلّ الأساليب الزخرفية بفضل إلمامه بكل هذه التفاصيل بالرغم من أنه في بعض الأحيان ليس الفنان من كان يختار المواضيع بل كان ينفّذها تحت ذوق الزبون، ونجد:

(1) - Ayachi T., Op., Cit., p. 169.

(2) _ محمد أحمد زهران، المرجع السابق، ص 110 - 121.

(3)- Yanni P., L'art décoratif ottoman, Paris, 1982, p. p. 33 - 34

– **الحز**: يستخدم لتشكيل الزخارف الدقيقة والإمضاءات أو لتحديد حواف العناصر الزخرفية وإبرازها، يبدأ هذا الأسلوب بتخطيط الأشكال ثم يقوم الفنان بالضغط ونزع جزء دقيق من المعدن.

– **التنقيط**: تتم بنزع جزء بسيط من المعدن على شكل ثقوب أو نقاط متبعا الشكل المراد شغله.

– **التطريق**: بعد تشكيل المعدن على الهيئة المطلوبة، يشرع في عملية الدّقّ من الخلف بإظهار الزخارف طبقا لتصميمات مسبقة، يمتاز هذا النوع من الأساليب أن العناصر تكون بارزة، ويتم بطُرق مختلفة، منها: التطريق على الزفت والتطريق على الشمع والتطريق على الرصاص والتطريق على السندال[1].

– **الطبع والختم**: تنقش الزخارف والكتابات محفورة ومقلوبة في أداة صلبة لها مقبض ويُطبع بها على المادة وهي ليّنة، فتظهر تلك الأخيرة بارزة، ينحته الفنان حسب طلب المالك، مضمونه ربما يشير إلى اسم صاحبه أو كنيته أو مقامه أو مهنته، كما أنه يؤكد ملكيته على الشيء الذي يحمل طبعه.

– **التكفيت**: يستعمل هذا الأسلوب في تنفيذ الزخارف على التحف النحاسية أو البرونزية، ويكون التكفيت بمعدن الفضة، تتم هذه الأخيرة بتنفيذ الزخارف على سطح التحفة، ثم يتم شق مسار الزخارف وتنزيل المعدن المكفّت، تملأ هذه الأخيرة تلك المساحات والفراغات وهي في حالة سائلة[2].

– **أسلوب المينا والنيللو**: المينا عبارة عن عجينة زجاجية شفافة تثبّت على بدن التحفة بواسطة التسخين، تتشكل من البوراكس والصودا والمغنزيوم والكبريت وملح النشارد، توضع وهي في حالة سائلة على سائر البدن لتوضع بعدها التحفة في الفرن، وإذا ما بردت ظهر لونها الأسود اللامع، أما الزخرفة بالنيللو فهي نوع من

(1)– محمود أبو نعيم، المرجع السابق، ص 99

(2)– محمّد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص211 – 212

الترصيع، بواسطتها تملأ الأخاديد المحزوزة المشكلة للموضوع، وهي عبارة عن خليط أسود مكوّن من الفضة والنحاس والرصاص والكبريت، بعد ملء تلك الأخاديد توضع القطعة في الفرن كيتلتصق هذه المادة جيدا ثم ينزعها ويتركها لتبرد ثم يقوم بكشط الزوائد[1].

– **التفريغ والتخريم**: تتم بقطع المخلفات الزائدة أو الفراغات الموجودة بين العناصر الزخرفية بواسطة آلة حادة للحصول على المواضيع المطلوبة بوضوح، أولى خطوات هذا الأسلوب تبدأ برسم الموضوع على السطح،ثم يقوم بإحداث ثقب وسط المجال المعدني الذي سيتم نزعه للسماح بإدخال منشار التفريغ، بعدها يقوم بتشطيب الحواف المنزوعة بالمبارد، يستعمل هذا الأسلوب بكثرة في تزيين وسائل الإنارة[2].

ز– **الزخرفة الخيطية**: تكون هذه الخيوط من مادة أغلى من المادة الأصلية أو نفسها، تثبّت على المعدن وهي ملتفّة حول نفسها بشكل لولبي متبعة حزوزا صغيرة على البدن أو أنها تلصق بغراء لاصق[3].

(1)– بتراك ف.، طرق تشكيل المعادن، ترجمة محمود إسماعيل ومُحَمَّد عبد المجيد نصار، د.م، د.تا، ص 120.

(2)– مُحَمَّد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 213.

(3)–Anonyme, Techniques et matériaux…, p. 344

صورة رقم 06:

طبق كسكسيي من مدينة الجزائر (ق.12هـ/18م) محفوظ بالمتحف الوطني للآثار القديمة.

الوصف:

طبق كسكسي ذو حجم متوسط من النحاس الأحمر، يتكون من صحن وغطاء، ينتهي في الأعلى بشكل جرسي، يعرف هذا الأخير محليا باسم تبسي عشاوات، زخرف بصفوف من المعينات نفذت بأسوب التطريق، أما أعلى الغطاء فقد زخرف بأشرطة نباتية تتوسطها كتابة.

صورة رقم 07:

مسمنةمن مدينة الجزائر (ق.12هـ/18م) محفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة.

الوصف:

مسمنة ذات حجم متوسط، بيضاوية الشكل من النحاس الأحمر، تتكون من بدن يرتكز قويعدة وغطاء يعلوه زر ماسك، زخرفت بصفوف من المعينات شملت كلا من البدن والغطاء، نفذت بأسلوب التطريق، مع وجود شريط هندسي عند حافة البدن، كما تحوي على كتابة أعلى الغطاء.

صورة رقم 08:

صينية من مدينة الجزائر (ق.12هـ/18م) محفوظة بالمتحف الوطني الباردو.

الوصف:

صينية ذات حجم كبيرمن النحاس الأحمر، تتكون من قاعدة وحافة قصيرة، تستعمل للأكل عليها، تعرف هذه الأخيرة محليا باسم سني، زخرفت بكتابة في المركز تحيط بها أشرطة نباتية وأخرى هندسية متناوبة، كما تحوي على كتابة أخرى بالقرب من الحافة.

صورة رقم 09:

دلو حمام من مدينة الجزائر (ق.12هـ/18م) محفوظ بالمتحف الوطني الباردو.

الوصف:

دلو حمام ذو حجم متوسط من النحاس الأحمر مطلي بالقصدير، يتكون من قاعدة مسطحة وبدن أسطواني وحافة بارزة للخلف ومقلوبة إلى الأسفل، يعرف هذا الأخير محليا باسم محبس، زخرف بأشرطة هندسية ونباتية مكررة، وكتابة على الحافة.

نماذج من الصناعات المعدنية الجزائرية في العهد العثماني

3-3-2- الصناعات الخشبية:

يمكن تعريف أعمال النجارة على أنها ذلك التعامل مع الأخشاب لغرض الحصول على تحف، هذا التعامل يعني فهم طبيعة الأخشاب ومميزات كل نوع منها.

أ- المادة الأولية:

بدأ الانسان استغلال الأخشاب منذ فترة فجر التاريخ، ثم توسع استعملهاخلال الحضارات القديمة، لترتقي هذه الصناعة في العالم الإسلامي واحتلت مكانة مرموقة بين سائر الصناعات، كما كان عليه الحال في الجزائر، أين لعبت هذه الصناعة في القرون التي أعقبت القرن 16م دورا فعالا في الزخرفة والتزيين، حيث تخصص فيها الأندلسيون والحضر[1].

- **الأخشاب:** تعتبر الأخشاب من المواد الضرورية التي تدخل في مجمل الصناعات كونها تتقبل مختلف التقنيات الصناعية والأساليب الزخرفية خاصة إذا عولجت واستخدمت عند تشغيلها في اتجاه الألياف، وهي تتفاوت في طبيعتها بين الصلابة والنعومة وسهولة التعامل معها ولعل أهمها:

- **الأُرز:** من أكثر الأخشاب استخداما، تنتشر غاباته في الجزائر في المناطق المرتفعة، وهو يمثل النوعية الرفيعة إذ يتميز بصلابته وصموده أمام التغيرات الجوية ويصلح للكثير من المشغولات[2].

- **الصنوبر:** هو من الأخشاب اللينة والخفيفة، ذات المسام المغلقة، شديد التحمّل وسهل التشغيل، قليل الانكماش نسبيا، يستعمل في مختلف أعمال النجارة.

(1)- محمّد رزق عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، 2000، ص 55

(2)- Gast M. et Assie Y., Des coffres puniques aux coffres kabyles, Paris, 1993, p. 30

– **الجوز**: يتميز بصلابته ومرونته، ويعتبر من أثمن الأخشاب وأصلحها للحفر الدقيق لاندماج أليافه، ويُعد الجوز المحلي من أجود أنواع الأخشاب المستعملة في صناعة الأثاث.

البلوط: يعتبر من الأخشاب الصلبة، يتميز بالقوة والمرونة وتراكم أليافه، قابل للتنعيم والصقل، مسامه مفتوحة، كما يمتاز بالاستقامة[1]، وهو من أكثر أنواع الأخشاب انتشارا في الجزائر.

– **القرو**: يتميز بالمتانة والصلابة، لونه داكن، منه العاجي والأبيض، يحتاج تشغيله إلى مهارات خاصة لصلابة أليافه وصعوبة تشكيله.

– **الزان**: يجمع بين الصلابة والليونة، وهو من أكثر أنواع الأخشاب استعملا في أشغال الحفر والخرط وفي صناعة الأثاث الفاخر، لأنه سهل التشغيل ومستقيم الألياف ويلوَّن بسهولة[2].

– **الأبنوس**: من أصلب أنواع الأخشاب، يتميز بقابليته للصقل، يستعمل في عمليات التطعيم والترصيع بجانب مادة العاج[3]، وكان من الأنواع التي كانت الجزائر تستوردها من الخارج.

– **العرعار**: يعتبر من الأخشاب الثمينة في الأشغال الزخرفية، لونه أحمر فاتح وأليافه مستقيمة، يستغل في صناعة مختلف أنواع الأثاث.

– **الكاليتوس**: هناك ما يزيد عن 150 نوعا منه في أنحاء العالم، يعطي البعض منه أجود أنواع الخشب ويصلح للعديد من الصناعات[1]، إلا أن النوع المحلي ليس بالنوعية الجيدة.

---

(1)– علي حسن حمودة، فن الزخرفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972، ص 134

(2)– علي حسن حمودة، المرجع السابق، ص 134

(3)– شادية الدسوقي عبد العزيز، الأخشاب في العمائر الدينية في القاهرة العثمانية، مكتبة زهراء الشرق، 2003، ص 86

– **الماهوجني**:هو من الأخشاب الصلبة، يمتاز باستقامة أليافه وامتصاصه الجيّد للغراء وقلة احتوائه على العُقَد، يُستعمل في صناعة الأثاث الفاخر، كما تستعمل قشرته في تلبيس أسطح بعض المصنوعات، تنمو أشجاره غرب الهند وأمريكا الوسطى وفي بعض المناطق بإفريقيا[2].

– **الصفصاف**: قليل الاستعمل، وهو شديد المقاومة وشديد الصلابة.

إضافة إلى هذه الأنواع، استعمل الفنان الجزائري في العهد العثماني أنواعا أخرى في أشغال ثانوية على غرار خشب الزيتون والتوت والعناب والبرتقال والليمون والدردار وغيرها، كما استعمل مواد أخرى استخدمت في الزخرفة تمثلت في:

– **الصدف**: مادة بيضاء تستخرج من بعض أنواع المحارات، وهناك نوعان منها حسب اللون، الأول أبيض والآخر متعدد الألوان يشبه قوس قزح، تستعمل في تقنية تطعيم وترصيع التحف الخشبية.[3]

– **العاج**: يتميز بصلابته التي تساوي صلابة العظام وهو من المواد النادرة، لذلك فإن الفنان لا يفرّط في أية قطعة منه، تستعمل هذه المادة في عملية التطعيم والترصيع[4].

ب– مراكز الصناعات الخشبية:

كانت الصناعة الخشبية بمدينة الجزائر في العهد العثماني تحتل مكانة مرموقة بين سائر الصناعات وكانت متمركزة فيما يعرف بسوق اللوح بباب عزون، وهي منطقة تجمع النجارين والنقاشين والخراطين، أما منطقة القبائل فكانت تمثل المنطقة الصناعية الثانية للجزائر في هذا المجال، أين كانت تصنع الأواني والأدوات المنزلية، كما

(1)- Lescure, L'agriculture algérienne, Alger, 1892, p. 340

(2)- يونس خنفر،صناعة الأثاث والموبيليا، فن النجارة، دار الراتب الجامعية، بيروت، د.تا.، ص 30

(3)- Arseven C. E., Op. Cit., p. 218

(4)- عبد العزيز مرزوق، المرجع السابق، ص 159

زاول سكان مدينة مليانة صناعة الأواني الخشبية التي لاقت رواجا كبيرا، كما كانت مدينة شرشال من أكبر المراكز الحضارية والصناعية في هذا المجال[1]، ومدينة المدية التي انتشرت بها بعض الحرف والنشاطات المتعلقة بالأخشاب شملت الكثير من المنتجات، كما كان الحال بالنسبة لمدينة بوغار القريبة منها التي اشتهرت بمنتجاتها المزينة بأسلوب الدّهن[2].

كان نجارو المناطق الشرقية من جهتهم وبداية بمدينة قسنطينة ثاني المراكز الصناعية يصنعون الصناديق والموائد والأبواب والنوافذ وغيرها، اشتهرت المدينة في هذا المجال بما يعرف بسوق النجارين وسوق القصاعين وسوق الخراطين[3]، في حين اشتهرت منطقة الأوراس بصناعة مختلف أنواع البارودیات وقوالب الحلوة والقبقاب العالي والملاعق الخشبية والقصاع وغيرها[4].

أما بالمناطق الغربية، فكان النجارون بمدينة تلمسان يصنعون الأبواب والأواني المنزلية وبعض أجزاء البنادق والصحون والملاعق والكراسي والطاولات والصناديق، كما انتشرت بمدينة وهران مجموعة من المحلات شكلت سوقا يتوزع فيه عدد معتبر من الحرفيين على غرار النجارين[5].

جـ- مجالات الصناعات الخشبية:

يمكن تقسيم المشغولات الخشبية إلى نوعين: يتعلق الأول بالتحف الثابتة على غرار الدرابزينات والأسقف والمنابر والأبواب، ويتمثل الثاني في التحف المنقولة على غرار الصناديق بمختلف أحجامها والخزائن والكراسي والموائد والأسرّة والمهاد

(1)- Rozet M., et Carette, L'Algérie, Paris, 1850, p. 60

(2)- Guiauchain G., Alger, imprimerie algérienne, Alger, 1909, p. 137

(3)- Feraud C., « Les corporations de métiers à Constantine avant la conquête française », in R. A., t. 16, Alger, 1872, p. 452

(4)- Marçais G., L'art des Berbères, Alger, 1956, p. 11

(5)- Lespès R., Op., Cit., p. 97

والرفوف الجدارية وأُطُر المرايا وقوالب صناعة الحلوة والملاعق والأطباق والقصاع وطابع الخبز والمهراس ومحيط الغربال والقبقاب وحاملات البارود، كما استعمل الخشب في صناعة دعامات المنسج وحاملات المصاحف، كما وجهت كميات منها لصناعة السفن وفي تحضير الفحم.

د- تقنيات الصناعة وأساليب الزخرفة:

استخدم الصناع المسلمون في عمل المنتجات الخشبية طرقا وأساليب متعددة سواء في الصناعة أو الزخرفة أضفت عليها طابعا فنيا مميزا[1]، كما كان الحال في الجزائر في الفترة العثمانية، ولكن لابد من التذكير ببعض الإجراءات الواجب اتباعها قبل تشغيل الأخشاب والتي تتمثل في تحضير الأخشاب، بتركها لتجف في الهواء حتى تتخلص من الرطوبة الموجودة بها، لتأتي عملية تقطيع الأخشاب بأحجام مختلفة حسب نوع التحفة الموجهة لصناعتها[2].

هـ- تقنيات الصناعة: وتتمثل في:

- التجميع والتعشيق: هو تركيب أجزاء من الخشب وتثبيتها بواسطة تشكيل مواضع التثبيت لتتزاوج بينها بإحكام، وهي ابتكار إسلامي دفع إليه ندرة الخشب في بعض الأقطار مما يضطر الصانع إلى الاستفادة من القطع الصغيرة، كما أن التفاوت الكبير في درجات الحرارة يؤدي إلى تمدد الألواح الخشبية أحيانا وانكماشها أحيانا أخرى، مما يترتب عليه تقوسا وتشوها.[3]

- الخرط: هي عملية جمع قطع خشبية صغيرة طبقا لتصميم هندسي لتكوّن أشكالا فنية على غرار المشربيات، ومقاصير الأضرحة والدرابزينات وغيرها، تنفذ الوحدات المكونة لأشغال الخرط عن طريق التعشيق دون استعمل مسامير، حيث

(1)- حسن الباشا، المرجع السابق، ص 270

(2)- Dument K., Le bois, Londres, 1987, p 10

(3)- حسن الباشا، المرجع السابق، ص 270

تحدد تشكيلاتها الهندسية داخل حشوات مؤطرة تشمل تجمعات منتظمة من وحدات مختلفة، وفي الأخير تُبرد تلك العناصر الزخرفية وتُصقل قبل أن تصبغ، ثم تهيأ زوايا الإطارات وتوضع تلك العناصر الزخرفية المخرمة ثم تمسك الزوايا بالإطارات مع بعضها[1].

– **الدوسرة:** هي عملية تجميع قطعتين أو أكثر بواسطة الدُّسُر، تزيد من تقوية وشدّ القطع الخشبية، وذلك بعمل ثقب يخترق النقر واللسان معا وتُشحط فيهما الدسرة وتغرى.

– **التشريب:** الغرض منها هو تنظيف الأخشاب من الشُّعث وما علق بها من الغراء بواسطة المكشط وفارة التشريب حتى تسوى القطع الخشبية تماما.

– **المسح والتسوية:** مسح السطح حتى يصبح ناعما ونظيفا، ويتم اختبار استواء السطح باستعمل الزاوية القائمة، بحيث يكون السلاح ملامسا للسطح في كل مكان[2].

و– الأساليب الزخرفية:

استخدم المسلمون في عمل المنتجات الخشبية أساليب مختلفة في تنفيذ الزخارف أضفت عليها طابعا فنيا مميزا، إختلفت باختلاف نوع الزخرفة ونوع المواد المستخدمة، ويرتبط الإخراج الفني لتلك المواضيع بقدرات الفنان من جهة، وبطبيعة المادة من حيث طواعيتها من جهة أخرى[3].

– **الحفر:** تنجز أولا التصاميم المقترحة على التحفة بواسطة قلم، ثم تبدأ العملية أولا بإحداث ثقب صغير وسط الموضوع، ثم وبواسطة الإزميل يبدأ بتتبع ذلك

(1)– مُحَمَّد رزق عاصم، المرجع السابق، ص 123

(2)– عزت رجب، تاريخ الأثاث منذ أقدم العصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978، ص 134

(3)– حسن الباشا، المرجع السابق، ص 270

المخطط، ثم تُزال الأرضيات مع ترك باقي الأجزاء بارزة، ويكون الحفر على الخشب باتجاه أليافه، بلغ هذا الأسلوب درجة عالية من الجودة خلال جل الفترات الإسلامية وزادت خلال الفترة العثمانية، ويمكن التفريق بين أنواع كثيرة منها حسب العمق ولعل أهمها الحفر المائل والحفر البارز والحفر الغائر والحفر المجسّم.

– **الحزّ**: يتم بالضرب على الأزاميل بواسطة مطرقة خاصة، ولأجل الحصول على نتيجة جيدة يجب الطرق مع نفس اتجاه الألياف مع مراعاة تثبيت القطعة المشغولة جيدا، وقد استخدم هذا الأسلوب بمفرده في تنفيذ بعض المواضيع أو إلى جانب نوع آخر من أنواع الحفر(1).

– **التفريغ**: تشكَّل الزخارف هنا عن طريق تحديد الأشكال في المناطق المراد زخرفتها ثم تُفرَّغ المناطق الحرة في الأرضية بين العناصر بواسطة منشار خاص وإزميل، فبعد تشكيل فتحة داخل المساحة المراد تفريغها، يمرر شفرة المنشار منها ثم يعيد ربطها مع المقبض ثم يقوم بتتبع الشكل بتلك الشفرة، ومنه يتحصل على عناصر مفرغة(2).

– **الرسم على الخشب بالألوان**: قبل تنفيذ الرسومات على المشغولات الخشبية يُفضَّل وضع طبقة أولية من الغراء على السطح تعمل على تسويته وسدّ مساماته، ثم يتمّ دهنها حتى يصبح السطح أكثر نعومة، وتتم أولا باختيار كمية من الصبغة تعادل ما يحتاجه الفنان أو تزيد، ثم يبدأ بتمرير الفرشاة على جميع أنحاء الخلفية(3)، ثم تُنفّذ الوحدات الزخرفية بلون مختلف، وإذا اقتضى الأمر فيما بعد يتم

(1)- يونس خنفر، المرجع السابق، ص 243

(2)- Arseven C. E., Op. Cit., p. 195

(3)- Anonyme, L'art de pyrograver, bois, le cuir, les étoffes, 8è édition, Paris, 1930,p 33

طلاء هذه المواضيع بمادة اللاكية، مع تجنب تعريض التحفة إلى أشعة الشمس أو خاصة للغبار.

– **الكيّ**: يتم هذا الأسلوب بتنفيذ الزخارف على التحفة بواسطة قلم رصاص ثم تنقش أو تحفر ثم يمرر فوقها بواسطة أداة حادة ساخنة، حيث ينتج عن ذلك لون بني داكن قريب من الأسود، استخدم هذا الأسلوب كذلك على التحف العاجية.[1]

– **الترصيع**: يعتمد هذا الأسلوب على تجميع حشوات صغيرة من العاج أو الصدف أو الزجاج، ثم تلصق على أرضية خشبية غير محفورة، تتم هذه العملية أولا بتفريغ العنصر الزخرفي المراد تطبيقه على القطعة الخشبية حسب الرسم، ثم وبواسطة إزميل تحفر تلك الأجزاء التي سوف ترصّع، حيث يكون سمك المناطق المفرغة يساوي سمك الأجزاء الموجهة للترصيع، وتصبح معا تمثل مستوا واحدا[2].

– **التطعيم**: يتم هذا الأسلوب بحفر الأجزاء المراد تطعيمها، ثم تثبّت هذه القطع الصغيرة في الأجزاء المحفورة لتشكيل الزخرفة المطلوبة عليها[3]، حيث ترسم تلك التصاميم على الخشب ثم تفرّغ، ويراعَى أن يكون سمك التفريغ المنفذ في الخشب مساو لسمك الخامات المستخدمة في التطعيم، توضع تلك الوحدات الزخرفية في أماكنها المفرغة فوق الحشوة الخشبية، ثم ترفع القطع الصغيرة المكونة للتصميم من أماكنها مرتبة ثم تدهن بالغراء ثم تُردّ إلى أماكنها بالحشوة الخشبية، يوضع ثقل فوق الحشوة ويُترك إلى أن يجف الغراء وتتماسك الوحدة معا[4].

(1)- مُحَمَّد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 204 - 221

(2)- Arseven C. E., Op. Cit., p. 197

(3)- مُحَمَّد رزق عاصم، المرجع السابق، ص 54

(4)- محمود أبو نعيم، المرجع السابق، ص 46

أما الفرق بين الترصيع والتطعيم، فالأول يأتي عن طريق لصق الخامات المراد تطعيمها فوق أرضية من الخشب وتغطيتها كلها بخامات الترصيع، بينما التطعيم فيأتي عن طريق حفر أرضية الحشوة وتلقيمها بخامات التطعيم طبقا للرسم[1].

صورة رقم 10:

رف جداري من مدينة الجزائر (12هـ/18م) محفوظ بالمتحف الوطني الآثار القديمة.

الوصف:

رف جداري ذو حجم كبير خاص بالمطبخ لوضع علب التوابل وبعض مستلزمات المطبخ الأخرى، مصنوع من الخشب، مثبت في الجدار بواسطة مقبضين معدنيين، صممت التحفة على بشكل متناظر، يعرف هذا الأخير محليا باسم مرفع، زخرف بعناصر نباتية ورمزية متناظرة منفذة بأسلوبي الدّهن والتخريم، أما في الوسط فنجد تناوب لأشكال تشبه الجامات باللونين الأخضر والأحمر، إضافة إلى وجود كتابة في الجهة اليمنى من الأسفل.

(1)- لمزيد من المعلومات حول طرق الصناعة وأساليب الزخرفة أنظر شريفة طيان، الفنون التطبيقية في الجزائر في العهد العثماني وسمير بوطيش، الخطوط والكتابات الأثرية على الفنون التطبيقية بالجزائر في العهد العثماني

صورة رقم 11:

مائدة من مدينة الجزائر (12هـ/18م) محفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة.

الوصف:

مائدة مستطيلة الشكل من الخشب والبلاطات الخزفية، ترتكز على أربعة أرجل ويحيط بالسطح حاجز من العرانس، تعرف هذه الأخيرة باسم سكامبلا، زخرفت في كل واجهة بشريط من الفروع النباتية والمراوح النخيلية المخرمة، يكتنف هذا الشريط من الجانبين مجموعة من الأشكال الزخرفية الهندسية والنباتية، يعلوها صف من الأعمدة والعقود تتخللها أهلّة، كما تحوي القطعة على أربعة كتابات على مستوى الأرجل محصورة داخل شريط.

تعتبر هذه التحفة واحدة من الروائع الفنية التي توصّل إليها الفنان الجزائري في العهد العثماني من حيث تقنيات الصناعة وأساليب ومواضيع الزخرفة.

نماذج من الصناعات الخشبية بالجزائر في العهد العثماني

3-3-3- الصناعات النسيجية:

اهتدى الانسان بشيء من التفكير إلى استغلال الألياف التي حوله في عمل سترة لجسمه، وعن طريق الزراعة حصل على أولى هذه الألياف، كما استغل صوف ووبر الحيوانات وتمكّن من تحويلها إلى رداء يحمي به جسده، وكان ذلك باهتدائه إلى عملية تقاطع صفّ من الخيوط الأفقية مشكِّلة ما يُعرف بالسدى وصفّ آخر بشكل

عمودي مع الأول مشكِّلا ما يعرف باللحمة، وقام بتمرير تلك الخيوط فيما بينها مرة من فوق ومرة من تحت، فنتج عن ذلك شريط من الخيوط المتقاطعة[1].

أ- المادة الأولية:

هناك ثلاثة أنواع من الألياف كمادة أولية وهي الألياف ذات المصدر الحيواني والألياف ذات المصدر النباتي والألياف المعدنية.

الألياف الحيوانية: وتتمثل في:

- **الصوف:** هي الشعر الذي يغطي جسم الغنم، وتختلف من حيث الجودة والمتانة باختلاف المناخ والسلالات، تمتص الصوف الماء والملونات بدرجة عالية وتدخل في صناعة مجمل أنواع المنسوجات[2].

تعتبر الصوف الجزائرية من أجود الأنواع، وهي المادة الأولية الأكثر استعملا، حيث كانت لكباش الجزائر صوف طويلة وجافة وقاسية، ولهذا فإن عملية معالجتها كانت سهلة.

- **شعر الماعز:** نجده منتشرا في جميع أنحاء القطر الجزائري، وهو شعر أملس ناعم، يستعمل ممزوجا مع الصوف كي يكسبها صلابة وتماسكا أكثر.

- **وبر الجمل:** يعطي صلابة ومتانة جيدة منفردا أو ممزوجا مع الصوف، يتحصل عليه من مناطق في الجمل، خاصة الرقبة[3]، و يعتبر شعر الماعز ووبر الجمل قليلا الاستعمل مقارنة مع صوف الخراف.

(1)- مصطفى مُحَمَّد حسين، دراسات في تطور فنون النسيج والطباعة،دار النهضة للطبع والنشر، مصر، د. تا.، ص 8

(2)- مُحَمَّد أحمد سلطان، الخامات النسيجية، الإسكندرية، د. تا.، ص 103

(3)- Golvin L., Les arts populaires en Algérie, t1, techniques de tissage, Alger, 1950, p.p 41-50

– **الحرير**: هو الإفراز الذي يخرج من الغدتين اللعابيتين لدودة القز على شكل سائل هلامي يجف ويتصلب بمجرد ملامسته للهواء، مكوِّنا خيطين يلتصقان معا ليكوِّنا خيطا واحدا بواسطة مادة صمغية تدعى السيرسين تلفّه اليرقة حول نفسها لتكوّن الشرنقة،[1]أما عن عملية فصل الحرير عن الشرانق فكانت تتم بطريقة بسيطة، حيث كانت توضع تلك الأخيرة في الماء المغلى وتُحل خيوطها وتُلف، ثم تضرب على حجارة مسطحة ثم تُخمّر في الماء للحصول على حرير ذو لون أبيض ناصع ثم تفتل ثم تصبغ[2].

– **الألياف النباتية: وتتمثل في:**

الكتان: نبات يُزرع في المناطق المعتدلة والدافئة، يتكون من ألياف بين القشرة والقلب في ساق النبات، فبعد عملية الجني تُجمع على شكل حزمات وتُترك لتجف، ثم تنزع الألياف من اللحاء بعد أن تغمر النبتة كليا في الماء وتترك كي تتخمر وتتحلل، مما يسهل عملية فصل الألياف بسهولة.

القطن: يدخل في جميع أغراض الغزل والنسج سواء على شكل خيوط رفيعة وفي إنتاج أقمشة المفروشات وخيوط لحياكة الألبسة، ثماره ذات شكل بيضوي، مقسمة إلى 3 أو 4 حجيرات، تحوي كل واحدة على 5 أو 6 بذور سوداء تحمل بداخلها ما سيشكّل القطن[3].

وجد القطن بمنطقة البربر منذ القدم، ويغزل هذا الأخير يدويا ويخلط أحيانا مع الصوف، واستعمل في الجزائر في مختلف الصناعات النسيجية منذ وقت بعيد.

– **الألياف المعدنية**: استخدمت كذلك الألياف المعدنية في التشكيل مثل الذهب والفضة:

(1)– سعاد عساكرية الناعوري وليلى حجازين نشيوات، المنسوجات، القاهرة، 2002، ص 70–72

(2)– ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص 237

(3)– Windels F., Le tapis, un art, une industrie, Paris, S. D., p. 35

خيوط الذهب: يُتحصل عليها بتدوير أسلاك ذهبية رفيعة حول خيط حريري، وهي منأنفس الخيوط المعدنية التي استعملت على نطاق واسع بالرغم من سعرها المرتفع وثقل وزنها.

خيوط الفضة: تُمدَّد الأسلاك الفضية وتُحوّل إلى خيوط رقيقة جدا لتصل إلى سمك عُشر المليمتر، كما هو الحال بالنسبة للخيوط الذهبية، وتُلف هي الأخرى حول خيط حريري[1].

بالإضافة إلى هذه المواد، هناك مواد أخرى تنتج عن اتحاد مادتين أو أكثر نسجت أنواعا مختلفة منها خلال العهد العثماني، وأكثر المواد الأولية التي تدخل في تركيبها هي الحرير والقطن والصوف، ومن أشهرها الديباج والدمشقي والقطيفة والموصلي والأطلس والهاطاي[2].

ب – تحضير المادة الأولية:

يمر تجهيز خامة الصوف بعدة مراحل قبل أن تصبح صالحة سواء للصناعة أو الزخرفة، فتأتي أولا عملية الجز، ثم الفرز والانتقاء، والتي تتم أولا على جسم الحيوان، فهو يحوي على صوف طويلة وأخرى قصيرة، بعضها خشنة والأخرى رقيقة، كما يتم فرز الصوف البيضاء لوحدها والسوداء لوحدها والبنية لوحدها[3]، تليها عملية الغسل ثم التبييض بغطس الصوف في إناء به ماء وجبس مطبوخ على نار هادئة، ثم تُمشط لتتخلص من الشوائب، إضافة إلى عملية فرز الفتيلات الطويلة الموجهة لصناعة خيوط السدى لوحدها والقصيرة الموجهة لصناعة خيوط اللحمة لوحدها، ثم تأتي عملية

(1)- Golvin L., Les arts populaires…, p. 53

(2)- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص 240

(3)- Golvin L., Les arts populaires…, p. p. 45 - 60

الغزل وهي عملية تحويل الألياف النسيجية إلى خيوط طويلة مستمرة ومنتظمة، وفي الأخير تأتي عملية الفتل والبرم، ومن هنا تصبح تلك الصوف جاهزة للصباغة[1].

ج – صباغة الألياف الموجهة للزخرفة: لابد من توفر ألياف مختلفة الألوان لإظهار المواضيع الزخرفية ولزيادة جمال الأقمشة، كما تتوقف عليها قيمة المنتج، تحتاج هذه العملية إلى كفاءة ومهارة، ذلك أن طريقة معالجة مواد الصباغة لها أثر قوي في ثبات اللون وبهائه وتعطي نتائجها المرجوة عندما يَنفَد اللون داخل الألياف، تتم هذه العملية بطريقتين، تُصبغ في الأولى الألياف قبل غزلها وبهذا تتخلل الصبغة في الشعيرات أكثر، فيأتي اللون كجزء من مكونات الخيط، فلا تتأثر تلك الألوان مع الاستعمل والاحتكاك، أما في الطريقة الثانية فتتم بصباغة الخيوط بعد غزلها[2].

– مواد الصباغة: أمدّت الطبيعة الصانع بمصادر عديدة لاستخراج مادة الصباغة، منها النباتية والمتمثلة في النيلة التي تعطي اللون الأزرق والفوة للّون الأحمر بدرجاته وقشور وأزهار الرمان للّون الأصفر بدرجاته والوزال للّون الأصفر والجوز للّون الأبيض العاجي والعفص للّون الأسود والبليحاء للّون الأصفر بدرجاته ولزاز للّون الأصفر المائل إلى الخضرة والزعفران للّون الأصفر الذهبي والقرنفل للّون الأبيض العاجي والبني والحنة للّون البرتقالي بدرجاته والشاي والميموزا للّون الأصفر، ويتحصل من الأرجوان وشقائق النعمان والتفاح على درجات متباينة من الأحمر، كما يتحصل على اللون الأخضر من النعناع البري، أما من بتلات زهرة الورد فنتحصل على اللون الوردي[3].

(1)- Bel A., Le travail de la laine à la Casbah, in Amina, Alger, N 19 jan.-fév. 1939, p

(2)- Windels F., Op. Cit., p. 32

(3)- Yvonne S., Le tissage dans le Haut Atlas marocain, S. L., S. D., p. 46

أما الصبغات الحيوانية، فهي عبارة عن إفرازات العصارة الحيوانية كالدودة القرمزية التي تعتبر مصدر لدرجات اللون الأحمر والمريق الذي يعطي ألوانا متعددة إذا أضيف له الأملاح المعدنية، ويتحصل على اللون الأحمر بدرجاته من دماء الثيران والأغنام، كما يتحصل على اللون الأصفر من مرارة الحيوانات بعد تجفيفها ودقها[1].

وبالنسبة للصبغات المعدنية فهي غالبا ما تعمل كمثبّتات لتلك الصبغات، وتتمثل في أملاح المعادن وأكاسيدها كالشب ورواسب الكلس وكبريت الحديد وأملاح القصدير والنحاس والألمنيوم والبوتاسيوم وحامض الكبريت وغيرها[2].

د- مراكز الفنون النسيجية:

تعتبر صناعة النسيج والمطرزات والزرابي من أهم الصناعات الجزائرية عند كل عائلة وعبر كامل القطر الجزائري، فسيطرت مدينة الجزائر على إنتاج بعض المصنوعات على غرار الشاشية والبرانيس والسراويل وظلّت المدينة المركز الرئيسي لهذا النوع من الصناعة، كما اشتهرت المدينة أيضا بصناعة حاشيات من الحرير مختلفة الألوان والأحجام والأحزمة الحريرية المزركشة بالذهب والفضة والستائر، كما كانت المدينة مركزا فائق التطور في مجال التطريز[3]، كما اشتهرت من جهتها منطقة القبائل بصناعة أجود أنواع البرانس الحريرية والمنسوجات الصوفية على غرار مناطق بني عباس وبني عيدل وبني يعلى وزمورة[4]، إضافة إلى مدينة شرشال والبليدة ودلس التي كانت تنتج مختلف أنواع المنسوجات والأقمشة والثياب الصوفية ومختلف المنتجات الحريرية،

(1)- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص 278

(2)- Touchon A., « Note sur la teinture de la laine à Djebel Amour », in Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord, t. 3, 1954, p 112

(3)- وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم: عبد القادر زيادية، الجزائر، 2007، ص 145

(4)- Feraud C., Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie, 1869, p. 451.

ومدينة المديةالتي اشتهرت بالحياكة وبصناعة ملابس الرجال والنساء من القطن والصوف والكتان[1].

كانت مدينة قسنطينة بالشرق ثاني المراكز الحيوية بعد مدينة الجزائر، فبقيت الصناعات النسيجية بها متمسكة بمكانتها ضمن الحرف الأخرى، حيث تجد في كل بيت قسنطيني من يشتغل في تحضير الصوف وتحويلها إلى برانيس وحياك وأغطية وزرابي بألوان وزخارف تميزت بالدقة والجمال[2]، كما كان يصنع بالمدينة البدعيات والغليلات المطرّزة، في حين كان جل سكان مدينة القالة من صناع الأقمشة والزرابي والأغطية الحريرية من الكتان المطرز بخيوط ذهبية على الطراز المغربي، كما اشتهرت بصناعة البرانس والعمائم خاصة بالمناطق الجبلية والمعامل اليدوية المنتشرة بالمنطقة[3].

كانت مدينة تلمسان بالغرب ثالث مركز صناعي بفضل ما أنتجت أنوالها من أقمشة صوفية مشهورة بخفّتها ومتانتها، كما اشتهرت بالتطريز الذي استوجبه نمط الحياة السائد في تلك الفترة من ترف وبذخ،[4] أما مدينة معسكر فاشتهرت بصناعة الأغطية الصوفية والبرانس، ومدينة هنين التي كان سكانها يصنعون أقمشة جميلة وأنسجة أخرى من القطن، في حين اشتهرت مدينة مستغانم بالمنتجات القطنية والزرابي والأغطية والحياك، ومدينة ندرومة بأقمشتها القطنية جميلة الألوان، وإنتشر بمدينة وهران عدد كبير من الحرفيين على غرار الخياطين والطرازين والنساجين.[5]

(1)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمّد العربي الزبيري، الجزائر، 2007، ص 105.

(2)- Champ M., L'artisanat du tissage dans le Constantine, in Alg., Noël, 1951, p. 34.

(3)- Lecuyer E.,Les métiers constantinois à l'époque des beys, Alger, 1946, p. 354.

(4)- Eudel P., L'orfèvrerie algérienne…, p. 207.

(5)- Lespès R., Oran, étude de géographie et histoire, Paris, 1938, p. 97.

هـ- مجالات الصناعات النسيجية:

من أهم ما كان ينتج في هذه الفترة نجد في المقام الأول الملابس، حيث مما لا شك فيه أنه كان لسكان المغرب الإسلامي ألبسة تميّزهم عن غيرهم، كما كان الحال بالنسبة للجزائريين الذين ورثوا حبهم وإقبالهم على ارتداء الملابس الثمينة والفاخرة، خاصة مع ظهور نماذج جديدة جاءت مع مجيء الأندلسيين والعثمانيين[1]، فقد نظر الجزائريون إلى أنفسهم كمركز ثقافي عثماني في المغرب، وكان لباس الرسميين والحكام صورة طبق الأصل للذوق العثماني بطراز مغربي، أما اللباس المحلي التقليدي فهو عبارة عن مزيج من الطرز العربية المشرقية والتركية والمغربية إندمجت في طراز واحد، أما خارج المدن فكانت تلك التأثيرات شبه منعدمة[2]، فتمثلت ملابس الرجال في القفطان والبدعية والجبادولي والغليلة والشاشية والحزام والبرنوس والجلابة والجبة والعمامة وغيرها، أما ملابس النساء فتمثلت في الكراكو والبنيقة والعجار والحايك والصدرية والفريملة والسروال والفوطة والتنشيفة وغيرها، كما تفننوا في صناعة الزرابي والسجاجيد ومنتجات التأثيث كالستائر والوسائد وأغطية الموائد والطاولات والمناديل وغيرها.

و- تقنيات الصناعة وأساليب الزخرفة:

بعد تجهيز الصانع لمادته الأولية يشرع في تحويلها إلى منتجات نهائية لاستعملها في مختلف شؤونه، ولم يكتف هنا أيضا بالاتفادة منها فقط بل عمل أيضا على تزيين ما يصنعه وترتاح له نفسه.

- تقنيات الصناعات النسيجية:

كانت تتم هذه التقنيات بطرق تقليدية وبمساعدة بعض المعدات، ولعل أبرزها ما يلي:

(1)- شريفة طيان، المرجع السابق، ص 166

(2)- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 103

التسدية: هي عملية تحضير المنسج للنسج، تتطلب هذه الأخيرة جمع وتوزيع الخيوط توزيعا متوازيا وبعدد متساو مع ما سنجده في عرض النسيج، كانت هذه العملية منتشرة جدا لدى كل العائلات الجزائرية تقريبا، ولو أنها كانت تتم بطرق تقليدية بدائية[1].

النسج: هي عملية تعاشق مجموعتين من الخيوط مع بعضها بزوايا قائمة، تعرف الأولى باسم السدى وتكون في وضع طولي، والثانية اللحمة وتكون بوضع عرضي، تحول إلى أقمشة تختلف في تركيبها حسب تصميم مسبّق، وهو ما يتحكم في مواصفات المنسوج.

الحياكة والخياطة: هي عملية تحويل الأقمشة بواسطة القص والتفصيل وشبك أطراف القماش بعضها ببعض باستعمال الإبرة والخيط إلى قطع ملبسية جاهزة للارتداء.

التنظيف بالفرشاة: لإزالة الألياف السائبة والشوائب من على سطح القماش بعد نزوله من النول، وهي عملية ذات أهمية بالغة خاصة عند تحضير القماش للطباعة[2].

– الأساليب الزخرفية:

جمع في ذلك بين الألوان والأشكال، ولعل أهمها:

التطريز: هو زخرفة القماش بعد الانتهاء من نسجه بواسطة إبرة الخياطة وبخيوط ملونة لتبدو أكثر وضوحا وجمالا، ويبدو أن التطريز الجزائري كان الفن الوحيد

(1) -De laye A., Notions pratiques de tissage manuel sur métier à hautes lisses, Alger, 1928, p.55

(2)- Bel A., et Ricard P., Le travail de la laine à Tlemcen, Alger, 1913, p 106

تقريبا الذي لم يعرف انحطاطا في أواخر القرن 12 و13هـ/18 و19م، كما يعتبر واحدا من أكثر الفنون كمالا في زينته وانتشاره[1].

يتم هذا الأسلوب برسم الموضوع على القطعة القماشية بقلم رصاص، ثم تثبت في إطار المنسج الخاص بعملية الطرز، كما تتم هذه العملية بلصق نوع خاص من الورق الذي يحمل الموضوع الزخرفي على القطعة المراد زخرفتها، ثم يتبع المطرز تلك المواضيع بواسطة إبرة، فيدخل الخيط المعدني من الوجه ويعيد إخراجه من الجانب الآخر، ويثبت دون أن يظهر أنه مخاط ولا ينتزع من موضعه[2].

تميزت الأعمال المنجزة بهذا الأسلوب بالدقة والتحكم الجيد في الألوان والتقنيات المستعملة، وقد استمدّ هذا النوع من الفنون أهميته وأشكاله وثرائه من الحضارات والشعوب التي توافدت على الجزائر، هذا دون الإنقاص من أهمية الطابع المحلي الأصيل[3].

الزخارف المنسوجة: تنسج الزخارف هنا مع المنسوج نفسه، بتعاشق مجموعتين من الخيوط مع بعضها، فقط تكون بألوان مختلفة عن بقية خيوط المنسوج، وتتميز بكونها تشكل جزءا عضويا من المنسوج، وتوضع في التصميم العام للزخرفة حتى يقوم النساجون بنسجها أثناء عملهم[4].

منسوجات ذات زخارف مطبوعة على القماش: تصنع الأقمشة المزخرفة بهذه الطريقة من القطن وتطبع عليها المواضيع الزخرفية بنقشها في قوالب، حيث تغمس في

(1)- Berque A., L'Algérie terre d'art et d'histoire, Alger, 1937, p. 275

(2)- De Laye A., Op. Cit., p. 11

(3)- Guiauchain G., Op. Cit., p. 109

(4)- محمّد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 214.

الصبغة المراد التلوين بها ويوضع القالب فوق سطح القماش ويُطرق عليه بمطرقة خشبية حتى ينتقل التصميم إلى القماش.[1]

منسوجات ذات زخارف مضافة: هو إضافة قطع صغيرة من النسيج إلى مساحة كبيرة مختلفة عنها في اللون وفي المادة، ويتم تثبيتها بواسطة إبرة، وينتج عن هذه الإضافة موضوع زخرفي جميل.

تنفيذ الزخارف بصباغة الأقمشة المنسوجة: وهي أكثر الأساليب شيوعا، إلا أنها تعتبر من أقل طرق الصبغات ثباتا، يستعمل هذا الأسلوب على الكتان والحرير والقطن وغيره[2].

نماذج من الصناعات النسيجية بالجزائر في العهد العثماني

3-3-4-الصناعات الجلدية:

تعتبر الجلود من المواد المطاوعة والمرنة وتُظهر مقاومة عالية ضدّ التمزّق

صورة رقم 12: سترة من مدينة الجزائر (12هـ/18م)، محفوظة بالمتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالعاصمة.

الوصف: سترة نسائية مصنوعة من القطيفة البيضاء وبطانة برتقالية مطرزة بخيوط ذهبية، تحوي على عنق تليه قطعة أخرى متدلية، وهي خالية تماما من الأكمام، بها أزرار من نفس تلك الخيوط الذهبية للزينة، زخرفت بعناصر نباتية مكررة ومتقابلة وبعض العناصر الهندسية كالأشرطة والدوائر، إضافة إلى وجود كتابة منفذة بأسلوب الطغراء، هي الأخرى مكررة في الجهتين، مزينة بأحجار كريمة باللون الأزرق،

(1)- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص 245

(2)- سعاد عساكرية الناعوري وليلى حجازين نشيوات،المرجع السابق، القاهرة، 2002، ص 131

والتلف، استعملاتها وظيفية وتزيينية، وهي المادة الأنسب لصناعة العديد من الأدوات الخاصة بالاستعمال اليومي[1].

ورث المسلمون فنون هذه الصناعة عن الأمم السابقة، آخذة بالطابع العربي الإسلامي تدريجيا، إذ طوّروها وابتكروا لها أساليب جديدة، كما اغتنموا بشكل جيّد خاصية هذه الخامة المتمثلة في المرونة والإمكانيات المتعددة في التشكيل والزخرفة التي تمتاز بها أكثر من غيرها من الخامات الأخرى.

أ – أنواع الجلود: إن مصدر هذه المادة هو الحيوانات باختلاف أنواعها، ولعل أهما ما يلي:

– جلود الأغنام: تُعدّ الأغنام أهم مصادر الجلد الخام لكونه من أكثر أنواع الحيوانات انتشارا في أنحاء العالم، وعبر مختلف الفترات، ويدخل ضمنها الكباش والماعز.

لوحة رقم 13: زربية أو بساط من مدينة الجزائر (12هـ/18م) محفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة

الوصف: زربية على شكل نجمة ثمانية الرؤوس مصنوعة من القطيفة والحرير، تنتهي في حوافها بأحداب طويلة باللونين البني الفاتح والرمادي الداكن، تعتبر هذه الأخيرة قمة ما وصل إليه الفنان الجزائري العثماني في هذا المجال، فغطى السطح كله بزخارف متنوعة ومتناسقة بأسلوب الطرز، بدأ الموضوع من المركز بنجمة سداسية الرؤوس على هيئة مثلثان متقابلان، تتخللها كتابة باللغة العثمانية، يليها ثمانية جامات كبيرة

(1)- Barbe J., Les cuirs, histoire et techniques et projets, traduction française de Véronique V, Paris, S. D, p. 7

– **جلود الأبقار**: تعتبر من أجود أنواع الجلود، وهي ذات سطح ناعم وتحوي على الكثير من الألياف التي تساعد في الحصول على جلود ليّنة، وخاصة عندما تكون صغيرة السن ومتوسطة الحجم.

– **جلود الجمال**: هي خشنة الحبيبات وإسفنجية الألياف، ويمكن اعتبارها من أنواع الجلود الأقل جودة، إلا أن جمال شمال إفريقيا يعتبر جلدها من الأنواع الجيدة نسبيا، كما استعمل جلود الحمير والبغال والخيل، التي تعتبر جلودها رقيقة وأقل سمكا من جلود الأغنام والأبقار[1]، إضافة إلى جلود بعض الحيوانات المفترسة كالأسود والنمور والزواحف.

ب – مراكز الصناعات الجلدية:

كانت ورشات الدباغين منتشرة في جلّ المدن الجزائرية وتعمل بطرق تقليدية، إلا أن منتجاتها كانت تتميز بجودة عالية وأتقن الصناع الجزائريون جيدا عبر أرجاء الوطن مهنة تحضير وصناعة ودباغة الجلود، كما قطعوا أشواطا كبيرة في مجال الصباغة[2]، وإحتلت عمليات دباغة الجلد والتطريز عليه مكانة عظيمة بمدينة الجزائر أين كانت تُصنع وتطرّز أجود المشغولات الجلدية المحكمة الصنع، وكان دباغو المدينة يجتمعون فيما يسمى بسوق الدباغين بشارع باب عزون، كما كان بالمدينة انطلاقا من مسجد علي بتشين باتجاه باب الوادي مجموعة من الأسواق النشطة في هذا المجال كسوق الجلد والبلاغجية وأسواق بيع السروج والبابوش والأحذية الجلدية الصفراء[3]، إضافة إلى مدينة المدية التي اشتهرت بدباغة الجلود وصناعة الأحذية[4].

(1)– مُحَّد إسماعيل عمر، تكنولوجيا دباغة الجلود، د. م.، د.تا.، ص 28 – 38

(2)- Carayon C., Le travail artistique du cuir en Algérie, Alger, S D., p.3.

(3)- Eudel P., L'orfèvrerie algérienne…, p. 217.

(4)– ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص 156.

كما أعطت المناطق الشرقية أهمية كبيرة لهذه الحرفة على غرار مدينة قسنطينة، حيث كانت طائفة الدباغين فيها من أهم الطوائف الصناعية، وعند احتلال الفرنسيين للجزائر وجدوا بالمدينة33 ورشة لدباغة الجلود و176 معملا لصناعة الأحذية و75 لصناعة السروج[1]، كما اشتهرت مدينة بجاية بدباغة الجلود، نفس الشيء بالنسبة لمنطقة الأوراس وبعض مناطق شرق البلاد الأخرى التي كانت تُصنع فيها أنواعا من الأحذية من جلد الخروف الذي يحضَّر بطريقة جيدة[2].

من جهتها أشارت بعض التقارير أن الفرنسيين لما احتلوا مدينة وهران وجدوا بها عددا معتبرا من الورشات، خاصة ما تعلق بصناعة الأحذية والدباغة، والتي أنشئت في فترة قصيرة فقط بعد استرجاعها من يد الإسبان[3]، وغير بعيد عن وهران نجد مدينة تلمسان قلعة الفن الأندلسي المغربي أنتجت مصنوعات رفيعة على غرار السروج ولواحقها ذات الرقش العربي، كما كان الكثير من سكان مليانة يشتغلون في صناعة المشغولات الجلدية خاصة تلك السروج على طريقة المغاربة[4].

ج – مجالات الصناعات الجلدية:

تنوعت المشغولات الجلدية تنوعا كبيرا، حيث استخدمت في صناعة الأحذية والحقائب والسروج ولواحقها والأحزمة وحاملة الخراطيش والجبيرات والتزدام والأغمدة والمخدات والآلات الموسيقية وتجليد الكتب وغيرها، كما استعمل الجلد الرقيق كذلك كحامل للأعمال الزخرفية الخطية والمنمنمات، وهو ما يسمى بالرّق.

(1)- Feraud C., Les corporations de métiers, p. 13.

(2)- Carayon G., Le travail artistique du cuir…, p. 4.

(3)- Lespès R., Oran, ville et port…, p. 58.

(4)- كربخال مارمول، المصدر السابق، ص 360.

د- مراحل تحضير الجلود:

تخضع الجلود قبل تصنيعها إلى عمليات دقيقة لتجهيزها وتبدأ بنزع الصوف عنها ثم تجفيفها ثم تمليحها ثم تنقيعها في الماء المملّح ثم تجفيفها مرة ثانية ثم تجييرها، للعلم تتشابه مراحل تحضير ودباغة جلود الغنم والماعز، في حين أن جلود البقر والجمال فتتبع نفس الطرق.

- الدباغة: هي معالجة الجلود بمواد دبغ لتحويلها إلى جلد مصنّع أو مدبوغ جاهز للعمليات التالية، فهي تُحوّل الجلد من مادة رطبة حساسة للماء الساخن شبه شفافة إلى جلد مقاوم للماء الساخن ومتماسك وليّن، أو هي عملية تحويل الجلد المعالج وغير القابل للتعفن إلى جلد جاهز للعمليات التالية، كما يمكن تعريف الدباغة أنها عملية معالجة الجلود بمواد لها صفات خاصة تغيّر من صفاته وتتّحِد مع أليافها لتكوّن مادة جديدة هي الجلود المدبوغة والتي تكسبها مقاومة أكثر ولا تتعفن[1].

أما عن مواد الدباغة فتتمثل في قشور الثمار وجذور النباتات، كالصنوبر والميموزا وغيرها، وقبلها توضع الجلود في الماء لمدة يوم كامل لتتبلّل جيدا ثم تنزع وتُقطّر، وبعد تحضير مواد الدباغة يحضّر العامل الحفرة التي ستُدبَغ فيها تلك الجلود بملئها بالماء والدبغ، وبعد وضعها لفترة في الحمام الأول، تقلب وتترك لتقطر، وتكرر العملية مرتين ثم تنزع تلك الجلود من الحفر، تعتبر هذه الخطوة كعملية دباغة أولية، إذ يجب اتباع عمليات أخرى كي تسمح بولوج الدباغة داخل الجلد جيدا، بعدها تفتح هذه الجلود وتمدد على جهة البطن، ثم تُحك بالماء والليمون كي تزال منها الروائح التي علقت بها في الحمامات السابقة، ولإعطائها نوعا من اللمعان، ثم تفرش وتترك لتجف[2].

(1)- Letourneau R. et Paye L., « La corporation des tanneurs et l'industrie de la tannerie à Fès », in Hesperis, t. 21, 1935, p. 182

(2)- Jemma D., Les tanneurs de Marrakech, Alger, S. D., p. 40

– **حمام الدباغة:** تغطس الجلود في هذا الحمام لمدة 15 إلى 30 يوما في فصل الشتاء وما بين 4 إلى 5 أيام في فصل الصيف ثم تُغسل ثم تترك لتجفّ، وبهذا تكون عملية الدباغة قد انتهت ويصبح بذلك الجلد يتميز بالمقاومة العالية والتحمل الكبير والمرونة الملحوظة.

– **التطرية:** بعد الانتهاء من عملية الغسل وخروج الجلود من الورشة، يتوجب عليها المرور بعملية التطرية بوضعها فوق ما يشبه القبة، وبواسطة منشفة مع رش الجلد ببعض القطرات من الماء جهة الوجه فقط ثم تلين بكشطها بدقة جهة اللحم[1].

– **الصقل والتمليس:** تتم بواسطة أداة تعرف بالصدرية (أداة تتكون من حد قاطع مدبب من الحديد موصول بمقبض خشبي تتباعد نهايتهما المقبض والحد القاطع بحوالي 45سم)، تمدد القطعة الجلدية حيث توجه الجهة المقببة نحو الأمام ويمسك العامل الجهة الأكثر اتساعا بصدره ويشدّ باليد اليمنى المقبض، ويقوم بيده اليسرى بتصليح وضعية الجلد وتليينه، وبهذا تنتهي عملية التطرية [2].

– **الصباغة:** تأتي بعد عملية الدباغة، الغرض منها هو إعطاء الجلد اللون المناسب[3]، حيث تمدد الجلود بعد تبليلها ثم يقوم العامل بتفريغ الصبغة بكميات قليلة مع حكّها باليد بطريقة تجعلها تتّحد اتحادا ثابتا، وتنْفَذ في طبقات المادة، وغالبا ما تُذاب الصبغة قبل أن تستعمل، ويرجع ثبات اللون ضد الماء إلى حدوث اتحاد كميائي للصبغة مع ألياف المادة[4].

تُصبَغ الجلود وهي مبللة ومفروشة داخل ما يسمى الجفنة، فيقوم الأخير بصبّ كمية من هذه الصبغات وهي ساخنة على الجلد ويقوم عاملان آخران في نفس

(1)- Letourneau R. et Paye L., Op. Cit., p. p. 189 - 190

(2)- Letourneau R. et Paye L., Op. Cit., p. 192

(3)- المهدي عنايات، فن الزخرفة على الجلد، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1991، ص 9

(4)- محمّد إسماعيل عمر، المرجع السابق، ص 242

الوقت بتوزيع تلك الصبغات على أنحاء القطعة بواسطة راحة اليد مع إضافة قطرات من الزيت لتسهيل عمليات ولوج الصبغات، ثم تمدد تلك الجلود وتترك لتجف، وقد تستغرق كل قطعة جلد حوالي نصف ساعة[1].

أما بالنسبة للصبغات فهي نفسها تقريبا المعتمدة في الصناعات النسيجية وهي مواد تؤثر على ألياف الجلد وتتفاعل معها، بعضها طبيعي من أصل نباتي أو حيواني كلحاء بعض الأشجار وأخشابها وأوراقها وثمارها كالرمان وخشب الفوستيك[2] ولحاء شجر البقم والفوة والنيلة والحناء وحشرة القرمز واللّك[3] والأرجوان[4] وأصفر المرارة والسيبيا[5]، أما الصبغات المعدنية فتتمثل في أملاح الحديد والشب وبعض الأملاح المعدنية والأكاسيد التي تلعب دور المثبّت لتلك الألوان أو لإعطائها درجات لونية.

هـ– طرق الصناعة:

– هناك مجموعة من الطرق يختار الصانع واحدة منها أو أكثر في إخراج تحفه قبل إضفاء عناصره الزخرفية عليها، وتتمثل أهمها فيما يلي:

(1)- Letourneau R. et Paye L., Op. Cit., p. 191

(2)– تستخلص منه صبغة صفراء، ويتغير هذا اللون بإضافة أملاح معدنية، فيتحول إلى الأحمر بدرجاته إذا أضيف إليه أملاح القصدير والرصاص، ويتحول إلى بني محمر بإضافة أملاح النحاس، ويتحول إلى اللون البرتقالي مع أملاح الألمنيوم.

(3)– تؤخذ الصبغات من إفراز هذه الحشرة التي تعيش على أشجار خاصة تنمو في شرق القارة الآسيوية، تعطي صبغة حمراء مائلة إلى البرتقالي، وتؤثر فيها أكاسيد المعادن وأملاحها وتغير ألوانها.

(4)– هي صبغة نادرة تؤخذ من محارة صغيرة تعيش بشواطئ البحر المتوسط، واسمها العلمي هو موراكس براند راويس.

(5)– صبغة قاتمة تؤخذ من غدة في أسماك السيبيا تتراوح بين البني والأزرق القاتم والأسود، حسب نوع وحجم هذه السمكة.

– **وضع التصميم**: توضع التصاميم فوق القطعة الجلدية بواسطة قلم مع محاولة إيجاد أحسن الوضعيات والتقليل من القطع الزائدة قبل عملية القطع، ثم تقطع وتجزّء تلك القطع المتحصل عليها[1].

– **التقطيع**: تقطع الجلود حسب العناصر المراد الحصول عليها، والتي غالبا ما تكون ذات ألوان مختلفة، تُلصق على وجه قطعة جلدية أخرى بواسطة الغراء، تتم بواسطة مقص أو سكين خاص، ويتبع الفنان تخطيطه الذي حصل عليه انطلاقا من التصميم[2].

– **القص**: بعد وضع العلامات على القطعة الجلدية يقوم بتقطيعها باستعمال سكين حاد، ومن الأفضل القطع على سطح صلب يوضع تحت القطعة الجلدية، ثم القطع على طول العلامات مع الحرص على عدم إنزلاق الجلد وكذا السكين، والقبضة المتماسكة والتي هي سرّ العمل الجيد.

– **التجميع**: لجمع قطعتين من الجلد أو أكثر بواسطة ثقب حواف القطعتين المراد تجميعهما، ثم تمرير خيط من مادة مختلفة كالحرير أو الصوف ووصلها فيما بينها بما يشبه الخياطة، أي بإدخال الخيط في الثقب الأول من الأسفل وإخراجه من الأعلى، ثم إعادة إدخاله من الثقب الثاني من الأسفل وإخراجه من الأعلى، ثم من الثقب الثالث وهكذا، وهناك أنواع أخرى من التجميع بإضافة قطع ثانوية، التجميع بواسطة الدوسرة، التجميع بواسطة الغراء[3].

– **التركيب**: هو إضافة قطع جلدية أخرى ملونة على سطح الجلد الأصلي لإبراز جمال التصميم عن طريق لصقها أو خياطتها، وتتم هذه الطريقة دون إحداث تفريغات.

(1)- Moreau F., Le travail du cuir, Paris, 1985, p 34

(2)- Arseven C. E., Op. Cit., p 305

(3)- Moreau F., Op. Cit., p 62

– **التضفير**: تستعمل هذه التقنية في الجلد الرقيق، حيث يُخرّم الشكل المراد تخريجه على شكل ثقوب منتظمة يمكن من خلالها تمرير الجلد الرقيق لتدكيك التخريمات طبقا للتصميم المطلوب، وتستعمل الضفائر بألوان متشابهة أو مختلفة، ويمكن زيادة عدد شرائط الضفيرة عن ثلاثة[1].

– **الثقب**: تتم بواسطة الطرق على أداة حادة بواسطة مطرقة خشبية لتجنب إتلاف أداة الثقب، كما يمكن اتخاذ هذه التقنية كأسلوب زخرفي برسم أشكال مكونة من دوائر مختلفة القطر[2].

– **ترتيب الحواف وضبطها**: عند قطع أجزاء الجلد فإن حوافه تخرج مستقيمة وتعطي حافة قريبة من شكلها النهائي، فما يبقى على الصانع إلا تنظيف هذه الحواف[3].

و– الأساليب الزخرفية:

كثيرا ما تزخرف الأسطح الخارجية للمشغولات الجلدية لإكسابها مزيدا من الجمال خاصة وأن الجلود تقبل أنواعا مختلفة من أساليب تنفيذ الزخارف، ولعل أهمها:

– **الطرز**: يُعتبَر أسلوب الطرز من أجمل الأساليب الزخرفية في أشغال الجلود، وأن جميع الغرز الصالحة لأعمال المنسوجات صالحة للتنفيذ على الجلود الخفيفة، ويمكن إجراؤها بالخيوط الطبيعية أو بالأسلاك المعدنية، تُنجَز التصاميم على ورق مقوى ثم يُقص الموضوع ويُلصق على الجلد ثم يطرَّز[4]، كان هذا الأسلوب محببا جدا

(1)– مُحَمَّد إسماعيل عمر، المرجع السابق، ص 314 – 315

(2)- Moreau F., Op. Cit., p 39

(3)– مُحَمَّد إسماعيل عمر، المرجع السابق، ص 217

(4)- Carayon G., Le travail artistique du cuir…, p. 4

لدى الجزائريين، وكان أحد أهم أساليبهم الفنية واحتلت هذه الحرفة مكانة كبيرة في العديد من المدن الجزائرية، وهي الحرفة التي كانت مشتركة بين الرجال والنساء[1].

– **النقش**: يجب على الجلد هنا أن يكون مبللا، كي يسمح بتمرير أداة النقش بسهولة بالضغط عليها ليتحصل على الرسومات مضغوطة بدقة، وعندما يجفّ الجلد يصبح الرسم صلبا، كما يظهر بشكل أوضح عند تلوين تلك العناصر.

– **الحفر**: يتم هذا الأسلوب بعد رسم التصميم خفيفا ثم إجراء عملية الحفر، وكلما كان الجلد أكثر سمكا كلما أمكن للحفر أن يصل إلى عمق أكثر ودون أن يصل إلى نهاية سمك الجلد، يتطلب هذا الأخير بكل بساطة تتبع الرسومات المنقولة على الجلد بواسطة محفار ويكون الجلد مبللا قليلا ليحتفظ جيدا بالأشكال المنقولة إليه عند جفافه.

– **الخز**:يتم هذا الأسلوب بتشكيل أخاديد تكون أكثر عرضا بقليل من الرسم متبعا التخطيط بواسطة سكين مدبب، وتكون قطعة الجلد هنا جافة، وبعد الانتهاء من تشكيل هذه الأخاديد يبلل الجلد ثم تُفتح تلك الأخاديد وتُلون أو تملأ بأشرطة جلدية ذات ألوان مغايرة[2].

– **الحرق أو الكي**: يمسك بسن أداة الحرق ويبدأ بتتبع المخطط المنجز تاركا علامة بلون بني داكن، وبتغيير الضغط على أداة الحرق ومقدار الوقت المستغرق في الإمساك بسن الأداة في مكان واحد يغير من شخصية تلك الخطوط رفيعة أو سميكة.

– **الضغط**: توضع القطعة الجلدية وهي مبللة فوق عجينة بلاستيكية رخوة، ثم يوضع فوقها ورقة تحمل الموضوع المراد تنزيله وتثبّت جيدا، ثم وبواسطة أداة غير قاطعة يقوم بالضغط بقوة على الموضوع فتنزل تلك الأشكال بشكل يكفي لأن يحدث أثرا

(1)- Marçais G., L'art en Algérie, imprimerie algérienne, Alger, 1906, p. 147
(2)- Anonyme, L'art du cuir repoussé, ciselé, pyrogravie, mosaïqué, Paris, 1951, p. p. 6-9

غائرا في سطح الجلد، فتظهر محفورة، يتم وضع الموضوع بشكل معكوس على الجلد ليعطي عند نقله إلى سطح الجلد الاتجاه الصحيح له.

– **البصم أو الختم**: يتم هذا الأسلوب بواسطة أختام تعطي أشكالا هندسية وزهورا وأوراقا وحتى كتابات، وتتم بالإمساك بأداة الطبع تجاه الجلد فيضرب على الأداة بواسطة مطرقة، ويطبع التصميم على الجلد، وطالما أن التصميم يكون مضغوطا بشدة كافية فسيظل على الجلد[1].

– **التفريغ والتخريم**: تتم بتفريغ وتخريم مساحات صغيرة من الجلد، ويجب أن يتوافر شرطان لضمان نجاح هذا الأسلوب، وهما: أن يمتاز الجلد بالمتانة وقوة التحمل حتى لا تضعفه هذه الثقوب وأن تكون وحدات العناصر الزخرفية صغيرة وعلى شكل مساحات مغلقة وأن تكون المسافات الموجودة بينها متباعدة، ويمكن ترك هذه التخاريم مفتوحة للهواء أو لإظهار خلفيات الثقوب.

– **التطعيم**: تستخدم فيه رقائق الجلد والزجاجالملون والعاج، يتم تجريح سطح الجلد حسب المساحات الزخرفية المحددة ليزيد هذا التجريح من جودة إلتصاق الجلد، ثم تلصق مواد التطعيم المجهزة في أماكنها باستخدام مادة لاصقة ثم يضغط فوق الجلد بجسم ثقيل[2].

– **الرسم والتلوين بالصبغة**: يضفي هذا الأسلوب الإخراج الإضافي الضروري للتفاصيل باستعمل الفرشاة والألوان، ويتمبعد رسم التصميم على الجلد أولا.

– **التذهيب**:ينفذ هذا الأسلوب بكثرة على أغلفة المصاحف والكتب القيّمة، تعوَّض هذه المادة أحيانا بمساحيق معادن أخرى كالنحاس والفضة، كما تضاف إليها بعض المواد اللاصقة[3].

(1)- المهدي عنايات، المرجع السابق، ص 107 - 141

(2)- نفسه، ص - ص 150 - 160

(3)- نفسه، ص 85

4- الفن والزخرفة على الحرف والصنائع بالجزائر في العهد العثماني:

الزخرفة هي عملية نقل الأشكال الموجودة في الطبيعة إلى أبدان التحف والعمائر لغاية جمالية بطريقة تتأقلم مع المساحة المخصصة لها وفق قواعد حسابية منتظمة، ظهر الفن الإسلامي وتطور ونضج وبلغ القمّة في دار الإسلام ما بين القرنين 6هـ-12هـ /12م-18م، في كل من المشرق والمغرب والأندلس، وإذا استثنينا الفن الصيني فإن الفن الإسلامي يُعدّ أوسع الفنون انتشارا وأطولها عمرا[1]، استفاد الفنان من كل ما وقع عليه بصره من أجل تحقيق أهدافه الزخرفية، ولم يكتف بكل هذا بل استغل كذلك الكتابة العربية وركّب بين هذه العناصر وزاوج بينها في كثير من الموضوعات[2].

لمزيد من المعلومات حول طرق الصناعة وأساليب الزخرفة، أنظر أيضا سمير بوطيش، الخطوط والكتابات الأثرية على الفنون التطبيقية بالجزائر في العهد العثماني.

(1) - زكي مُحَمَّد حسن، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 01.

(2)- الألفي أبو صالح، الفن الإسلامي، أصوله، فلسفته، مدارسه، دار المعارف، مصر، د.تا، ص111.

صورة رقم 14: حاملة نقود من مدينة المدية (13هـ/19م) محفوظة بالمتحف الوطني زبانة – وهران

الوصف: حاملة نقود مستطيلة الشكل، ذات حجم متوسط مصنوعة من الجلد المكسو بالقطيفة المطرزة بخيوط فضية، يُفتح إلى قسمين يحوي كل قسم من الداخل على جيب، زخرفت من الخارج بزخارف نباتية بطراز الرقش العربي داخل إطار، إضافة إلى وجود كتابة في وسط هذا الموضوع مكررة في القسم الثاني للقطعة.

صورة رقم 15: حقيبة صغيرة من مدينة الجزائر (12هـ/18م) محفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة

الوصف: حقيبة صغيرة شبه مستطيلة مصنوعة من الجلد والقطيفة والخيوط الحريرية، يستعملها الفارس لوضع بعض مستلزماته، مضاف إليها حزام قصير ليثبتها في عنقه كي لا تتحرك وتشتت تركيزه، تعرف هذه الأخيرة باسم الجبيرة، زخرفت بعناصر نباتية بالرقش العربي، منفذة بأسلوب الطرز بالخيوط الحريرية، وهي تحمل من الداخل كتابة.

نماذج من الصناعات الجلدية الجزائريه في العهد العثمان

4-1- الزخرفة النباتية العثمانية:

فرضت الشريعة الإسلامية والسنة النبوية قيودا في تحريم المجسمات والصور الآدمية جعلت طاقة الفنان مركّزة في إتقان تخصصات محددة ليس أمامه إلا إجادتها

والتفوّق فيها، فكانت الطبيعة أساس كل زخرفة ووحي الفنان وإلهامه وخياله[1]، فاتخذ من النباتات عناصر زخرفية يجرّدها ويبعدها عن صورتها الأصلية مشغولة كل الفراغات مدفوعا بغريزة حب الجمال وتجميل كل ما يصنعه ويستعمله، فأخذت هذه الأخيرة أكبر حيّز في عالم الزخرفة في العهد العثماني، وهي تتكون من الأزهار بأنواعها على غرار اللاله والقرنفل والورد والرمان وشقائق النعمان والحوذان والنسرين والنرجس والسوسن وعباد الشمس وغيرها إلى جانب رسوم الأشجار كالسرو والنخيل إضافة إلى الفواكه كالرمان والخوخ، إعتمد عليها الفنان المسلم في جل الأعمال مبدعا في توزيعها وتنسيقها والتأليف بينها.[2]

4-2- الزخرفة الهندسية:

عرف الانسان جمال العناصر الهندسية منذ العصور القديمة واستعملها على نطاق واسع، حيث اتخذ من الخط والدائرة العنصران الرئيسيان اللذان تنطلق منهما هذه الأنواع من الزخارف، حيث يمكن إنطلاقا منها رسم أشكال لا حدود لها من العناصر الهندسية، على أن المتفق عليه أن الزخارف الهندسية أخذت في ظل الحضارة الإسلامية أهمية خاصة وشخصية فريدة من نوعها[3].

استعملت هذه الأخيرة في تزيين التحف والعمائر، وتفوق الفنان المسلم فيها بفضل زاده الوافر بالهندسة التي تحتاج إلى الكثير من الذكاء والصبر والدقة والحسابات، هذه الأخيرة التي كانت سرا من أسرار ذلك التفوق حتى أصبحت أحيانا العنصر الرئيسي الذي يطغى على العمل الزخرفي[4]، وهي تتكون عموما من الخطوط

(1)- حمودة علي حسن، المرجع السابق، ص4.

(2)- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص 74.

(3)- مُحَمَّد الطيب عقاب، الأواني الفخارية الإسلامية، دراسة تاريخية وفنية ومقارنة، الجزائر، 1984، ص 151.

(4)- عادل الألوسي، المرجع السابق، ص 27

بأنواعها المستقيمة والمنكسرة والمنحنية والمضفّرة والأشكال المساحية كالمربع والمستطيل والمعين والمثلث والدائرة والأشكال البيضوية والعقود والأشكال السداسية والمثمنة والأطباق النجمية والأشكال الشبكية والضفائر والنقاط والجامات والأشكال النجمية.

4-3- الزخرفة العمائرية:

يقصد بها تلك الزخارف المستمدة من أشكال عناصر معمارية، الغرض منها زخرفي بحت، ظهر هذا النوع من الزخارف في جل فترات العصر الإسلامي مشتركة مع عناصر أخرى، أما في العهد العثماني فقد شاع هذا النوع من الزخرفة خاصة خلال القرن 12هـ/18م، كالمساجد مع مختلف العناصر المعمارية المشكلة لها من مآذن وقباب ومحاريب وشرافات وعقود وأعمدة وغيرها منتشرة على مختلف الفنون التطبيقية.

4-4- الزخرفة الكتابية:

لا شك أن أوضح علاقة بين الشكل والمضمون في الفن الإسلامي تكمن في النقوش الكتابية، وأن جمال المضمون ذلك كان أكثر أثرا وبُعدا في نفس المسلم من جمال الشكل خاصة إذا كان هذا المضمون يتعلق بالأمور الدينية، كما أن نزول القرآن الكريم باللغة العربية، وباعتبار الكتابة الوسيلة الأساسية التي حفظ بها، أدى إلى إعزاز شأن الخط العربي وإجلاله من طرف المسلمين وزاد من إجلاله الفنان إقتناعا منه وتمسكا به ودفعه إلى رعايته والاهتمام به أكثر[1].

بلغت الزخارف الكتابية درجة سامية من الجودة في الفن الإسلامي لم يبلغه فن أي أمة من الأمم، ولا شك أن السبب في ذلك هو انصراف الفنانين المسلمين إلى التقليل من محاكاة الطبيعة، وتعويضها بالزخارف النباتية والهندسية والكتابية التي مثلت أحيانا بطاقة تعريف للتحفة، وإذا كان إبداع الفنان المسلم في مجال الزخرفة النباتية

(1)- شريفة طيان، المرجع السابق، ص 375

والهندسية قام أساسا من الفنون القديمة، فإنه كان في العناصر الكتابية مبتكرا تماما وأصبحت من أبرز مميزات الفنون الإسلامية.

بذل الفنان المسلم قصارى جهده من اجل تجويد الخط والارتقاء به حتى غزت الكتابة جميع مظاهر حياة المسلمين فزُوقت بها المنتجات الفنية والعمائرية[1]، فلا تكاد توجد مشغولة ليس فيها حضور للحرف العربي وحوّلوا بذلك الكلمة إلى رمز جمالي وبراعة تقنية، ومن هنا ظهرت المنافسة فتعددت الخطوط وكثرت أنواعها مجتمعة في نوعين أساسيين هما خط النسخ والخط الكوفي، كما عمد الفنان المسلم إلى إدخال أكثر من خط في الموضوع الواحد، مما أضفى عليه بهاء وروعة، ودفع هذا الفن إلى التقدم والإبداع، وكانت المنافسة فيه منافسة استكمال وتحسين بدافع الوصول إلى غاية الجمال، كما اهتم العثمانيون من جانبهم في أعمالهم الزخرفية بالخط العربي الذي ورثوه عن من سبقهم من المسلمين وخطى على أيديهم خطوات كبيرة في مساره نحو التطور[2]

4-5- الزخرفة الرمزية:

هي عناصر مستمدة من الحياة اليومية أو من قوى الطبيعة وذات معتقدات دينية، فالرمز هو اللغة الوحيدة التي تُفهم بها معتقدات الشعوب وهي كذلك وسيلة تعبير أكثر عمقا من الكلمات[3]، ولعل أهم هذه العناصر التي ظهرت على الصناعات الجزائرية في العهد العثماني الهلال والسيف والمشكاة والعين والخامسة.

(1)- أوقطاي أصلان آبا، المرجع السابق، ص 307

(2)- عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني، ص 172

(3)- بن كردرة زهية، «خاتم سليمان»، في حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة، الجزائر، 1998، ص 38

4-6- زخرفة الكائنات الحية:

من المعتقدات السائدة والمستمدة من الشريعة الإسلامية تحريم رسم الصور الانسانية والحيوانية، هذا ما يُظهر غيابها في الفن الإسلامي إلا نادرا ولغرض زخرفي محض، ورثها المسلمون من الفنون القديمة ولم يعطوها قسطا وافرا من المساحة والأهمية[1]،

ومن الحيوانات التي شاع استعملها في الفن الإسلامي، والتي كانت لها مكانتها الخاصة في الإسلامكما في الفترة العثمانيةالطيور كالطاووس والببغاء واليمامة والنسر والجمل والثور الأسماك والغزال وغيرها،كان الفنان المسلم يكيّفها ويحورها فقط ليحقق منها أغراضا جمالية بحتة وأن الكثير منها جاءت على أساس التناظر والتقابل[2].

شكل رقم 01: نماذج من زخارف نباتية

(1)- خالد حسين، الزخرفة في الفنون الإسلامية، دار البحار للطباعة والنشر، بيروت، د.تا.، ص 42

(2)- ربيع حامد خليفة، الفنون الزخرفية في العصر العثماني...، ص78

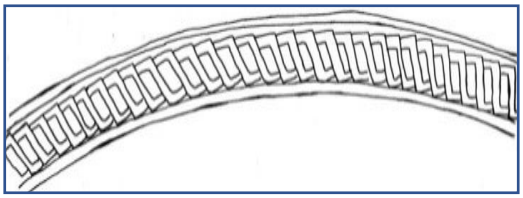

شكل رقم 02: زخرفة هندسية

شكل رقم 03: زخرفة عمائرية

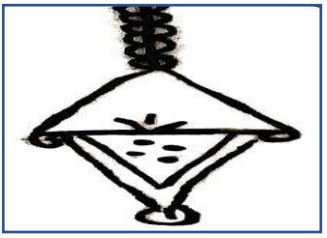

شكل رقم 04: زخرفة رمزية

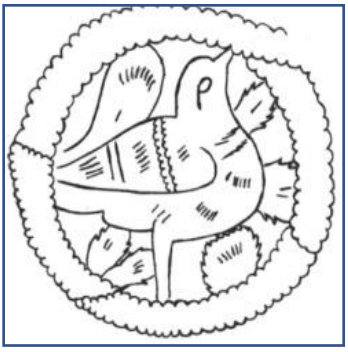

شكل رقم 05: زخرفة حيوانية

شكل رقم 06: زخرفة كتابية

شكل رقم 07: إمضاء على هيئة طغراء

الصناعة النسيجية بالمغرب الأوسط

الدكتور مسعود بلغازي
الدكتور حكيم قدور طاهري
معهد الآثار –جامعة الجزائر2

مقدمة

تعتبر حرفة النسيج من الصناعات العملية على حد قول الدمشقي، وهي من أهم الحرف في حياة الإنسان، ونظرا لحاجته الماسة لبعضها في استعملاته اليومية كالألبسة والأفرشة، فقد زاول هذه الحرفة بدون شك، وهي مرتبطة بمدى توفر المواد الخام حيوانية كانت أم نباتية.

وقد عرفت صناعة المنسوجات رواجا كبيرا في بلاد المغرب الأوسط وهذا راجع إلى توفر المراعي التي تربى فيها الحيوانات التي تشكل مصدرا للوبر والصوف، والمزارع التي هي مصدر للقطن والكتان[1].

1– مفاهيم عامة:

1–1–المغرب الأوسط: هو الإقليم الذي يتوسط المغرب الأدنى والمغرب الأقصى، وإن حركة القبائل الدائمة جعلت حدود بلاد المغرب الأوسط في حالة تقلص وتوسع دائمين مما صعب المهمة على الجغرافيين والمؤرخين في ضبط حدود

(1)– عبد المالك بكاي، **الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن7هـ إلى 10هـ**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2014/2013، ص279.

إقليمه[1]. ويقول ابن خلدون: "المغرب الأوسط هو بلد زناتة وهو الإقليم الواقع بين الزاب شرقا ونهر ملوية غربا وصول إلى ورجلان والصحراء في عهد بني حماد"[2]، أما الإدريسي: حدد المغرب الأوسط خلال القرن 6هـ/12م من بجاية وبلاد بني حماد إلى تلمسان التي وصفها على أنها قفل المغرب الوسط من الغرب[3].

1-2-الحرفة: هي الصنعة التي يرتزق منها الفرد وهي كل ما اشتغل الإنسان به وقد روى عن على بن أبي طالب ﷺ انه قال: إني أرى الرجل يعجبني فأقول هل له حرفة؟ فان قالوا لا سقط من عيني، وحسب ابن منظور فالحرفة مشتقة من الاحتراف أي الاكتساب[4]، وهي وسيلة العيش، وهي قمة الإبداع في العمل الذي يقوم به الإنسان، ينتج من خلاله شيء مادي مثل حرفة الصائغ والحائك والحداد...وغيرها[5].

أما الصناعة فهي عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته، ويكون مما يغير في ذات المصنوع أو في صفته حيث يسمى المصنوع بغير اسم مادته.

ويبدو أن مفهوم الحرفة اعم واشمل من مفهوم الصناعة حيث يدخل في نطاق الحرفة كل عمل يقوم به الإنسان

1-3-النسيج: هو اسم مفعول بمعنى المنسوج وهو عبارة عن جسم مسطح رقيق، يتكون عامة من خيوط متشابكة بعضها ببعض، أو يتكون من مجموعة خيوط

(**1**)- عبد العزيز فيلالي، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط**، دار الهدى، عين مليلة الجزائر 2014، ص 11.

(**2**)- نفسه، ص 12، للمزيد أنظر تاريخ ابن خلدون، باب الفصل الثاني في ذكر مواطن هؤلاء البربر، الجزء6، ص131.

(**3**)- نفسه، ص12.

(**4**)-جمال الدين مُحَمَّد ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء9، بيروت لبنان، ص 43.

(**5**)-فائز هادي علي الحسناوي، **المهن الاقتصادية في العصر البابلي القديم**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير آداب في الآثار القديمة، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2009، ص5.

طويلة يطلق عليها اسم السدة تتقاطع مع خيوط عرضية تعرف باسم اللحمة تقاطعا منتظما، ويختلف المنسوج في مظهره تبعا لاختلاف تقاطع الخيوط وتركيبها[1].

وقد تطور النسيج عبر العصور الإسلامية وفق الأساليب الفنية التي سادت الدول الإسلامية، فكانت المنسوجات في أوائل العصر الإسلامي تصنع وفق الأساليب والطرز التي كانت متبعة عند القبط والساسانيين، إلا أن أسلوبا إسلاميا خالصا بدأ ينمو ويتطور في جميع البلاد الإسلامية[2].

وتعتبر الصناعة النسيجية (الصوفية) من أهم الصناعات المتداولة ببلاد المغرب الأوسط، وهذا لطبيعة البيئة الرعوية وكثرة المواشي بها، وقد ساهمت المرأة بشكل كبير في ازدهارها حتى أن بعضهن اشترطت في عقد نكاحها ممارسة حرفة صناعة غزل الصوف وحياكته[3]، ويكتسي الغزل والنسيج أهمية كبيرة عند الحكام والسلاطين بحيث يشكل العمود الفقري للنشاط الاقتصادي، فمعظم النشاطات التجارية إلا والنسيج و أشكاله جزء من ذلك، فلا يمكن أن نتصور اقتصاد ناجح دون ذلك ولا عيش لناس دونه، فهم يستعملونه في الحياة اليومية[4].

وقد شجع حكام المغرب الأوسط الصناع والحرفيين على مزاولة أعمالهم خاصة إبان الحكم الموحدي[5]، كما اهتم الحكام الزيانيون بأصحاب الحرف والصناعات فشيدوا لهم دكاكين ومحال لممارسة حرفهم وهذا حمو موسى الثاني الذي انشأ دار

(**1**)-سعاد ماهر مُحَمَّد، **النسيج الإسلامي**، الجهاز المركزي للتربية الجامعة والمدرسة والوسائل التعليمية، القاهرة 1977، ص10.

(**2**)-محمود هدية، المرجع السابق، ص16

(**3**)-عادل بديرة، **بادية المغرب الأوسط**، من القرن 4هـ إلى 7هـ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم إنسانية، جامعة مُحَمَّد بوضياف بالمسيلة، 2018، ص 75.

(**4**)- حسن مُحَمَّد، **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، ج1، د.ط، جامعة تونس الأولى، تونس، 1999، ص473.

(5) مُحَمَّد هدية، المرجع السابق ص 16.

الصنعة سنة 1366م[1]، وقد عمل الحكام في بعض الأحيان على مساعدة صناع النسيج من خلال منحهم أجرا اكبر مما يستحقون لغزل القطن حيث كان ثمن القنطار دينار ونصف في حين منحهم بعض الحكام دينارين دلالة على مراعاة أحوال الصناع[2]، يتم غزل الصوف في البيت من قبل نساء البادية، وكان يصنع منه الألبسة مثل البرنوس والحنابل والحايك وغيرها، ولم تكن هذه الصناعة حكرا على فئة معينة فقط[3]، بل شملت جميع شرائح المجتمع سواء فقراء أو أغنياء، فكان الهدف من ذلك توفير ما يلزمهم من ثياب و ستائر و حصائر و قطائف يحتاجونها في المنزل، فمن الطبيعي أن تستحكم لديهم الصنائع و يتفننون فيها[4]. وقد اتصف صناع الغرب الإسلامي والمغرب الأوسط بالدقة والجدية والصبر على مطاولة التعب وتجويد الأعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع[5].

2- المواد النسيجية الخام في المغرب الأوسط:

إنّ طبيعة إقليم المغرب الأوسط، وما تمتع به من خصوبة التربة وتوفر الموارد المائية، فضلا عن تنوع المناخ، مما ساعد السكان على زراعة المحاصيل النسيجية كالقطن، والكتان وغيرها، بالإضافة لانتشار المراعي، مما ساعدهم على تربية الأغنام، الأمر الذي ساهم في وفرة المواد النسيجية(الخريطة رقم 01)، وساعد على تطوير وازدهار صناعة النسيج في المغرب الأوسط.

(**1**)- ابن خلدون (أبو زكريا يحي ابن أبي بكر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد)، **بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد**، تقديم: عبد الحميد حاجيات، ج 2، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص155.

(**2**) - أبي بكر عبد الله بن مُحَمَّد المالكي، **رياض النفوس**، تحقيق بشير البكوش، مرجعة مُحَمَّد العروسي المطوي، الجزء 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ، الطبعة 2، 1994، ص 328-329، محمود هدية، المرجع السابق، ص16.

(**3**)- حسن مُحَمَّد، المرجع السابق، ص 477.

(**4**)- مُحَمَّد الطمار، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، ص218.

(**5**)- محمود هدية، المرجع السابق ص15.

2-1-الصوف: هي عبارة عن مادة مكونة من شعيرات تغطي أجسام الأغنام، وتختلف عن الألياف النباتية في التركيبة الكيميائية، وملمسها اللين والدفء والنعومة[1]، عرفت انتشارا واسعا في بلاد المغرب الأوسط، نظرا لانتشار النشاط الرعوي بالمنطقة، حيث يقول صاحب كتاب الاستبصار إن بلاد المغرب الأوسط "كثيرة الخصب والزرع وكثيرة الغنم والماشية، طيبة المراعي، ..."[2].

حيث تمت تربية الأغنام في العديد من المناطق على غرار البطحاء[3]و ميلة، مازونة، مسيلة وطبنة وقسنطينة وبلاد الزاب، وغيرها من المناطق.[4]

2-2-الكتان: يعتبر الكتان من أقدم الألياف التي استعملت في صناعة النسيج مند أقدم العصور[5]، وهو نبات ليفي يبلغ طول ساقه نحو متر وهي مبرومة ملساء[6]، وهو من النباتات النسيجية التي عرفت انتشارا واسعا في بلاد المغرب الأوسط، خاصة في المناطق التي تمتاز بالتربة الرملية الرطبة التي تغلب عليها الحرارة مع الرطوبة[7].

---

(1)- نفسه، ص44.

(2)- **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية، العراق، ص179.

(3)-حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، الجزء2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة 2، ص18.

(4)- عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص 237.238.

(5) - سعاد ماهر محمد، المرجع السابق، ص13.

(6)- بلال التلمساني، **التداوي بالأعشاب وأسرار الطب العربي**، دار الكتاب الحديث، الطبعة الأولى، الجزائر 2002، ص304.

(7)- محمود هدية، المرجع السابق، ص36.

عرفت زراعة الكتان في بلاد المغرب الأوسط انتشارا واسعا باعتبارها مصدرا مهما للكساء، فزرع في العديد من المناطق منها تبحيرت[1]، وبونة ، وطبنة، والقلعة، توزر ومتيجة، ومقرة، وجيجل وبجاية[2]كما لقيت هذه الزراعة اهتماما بالغا من قبل الحكام المسلمين.

2-3-الحرير: يعتبر الحرير من أكثر خامات النسيج الطبيعية أهمية و شهرة حيث استخدمه الإنسان في ملبسه منذ القدم ، فقد عرفه الصينيون منذ ثلاثة ألاف سنة قبل الميلاد واحتفظوا بطرق غزله ونسجه من خيوط شرانق دودة القز، وقد أدخل العرب تربية دودة القز إلى الأندلس في عصر المرابطين خلال القرن 4هـ/10م ثم ازدهر استخراج الحرير في الأندلس، أما إنتاج الحرير في بلاد المغرب الأوسط ففقد انتشر بمنطقة شرشال، حيث قام أهلها بغرس أشجار التوت لتقتات منها دودة القز، حتى صار الحرير أهم منتج لهم، لان بلدهم طيب لمثل هذا النشاط[3]

2-4-القطن: من النباتات ذات الأصل الهندي، أدخل إلى بلاد المغرب على يد الفاتحين العرب في القرن الثاني الهجري، وانتشرت زراعته بشكل سريع في المناطق التي تمتاز بتربتها الطمبية وغزارة المياه.[4]

(**1**) - حسن الوزان، المرجع السابق، ص14.

(**2**)- بلبشير عمر، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6هـ الى9هـ من خلال كتاب المعيار للونشريسي**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2010/2009، ص216. محمود هدية المرجع السابق، ص 36-38.عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص 237.

(**3**)- مارمول كربخال، **كتاب إفريقيا**، ترجمة مُحَمَّد حجي وآخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984، ص356.

(**4**)- محمود هدية، المرجع السابق، ص ص 33 34

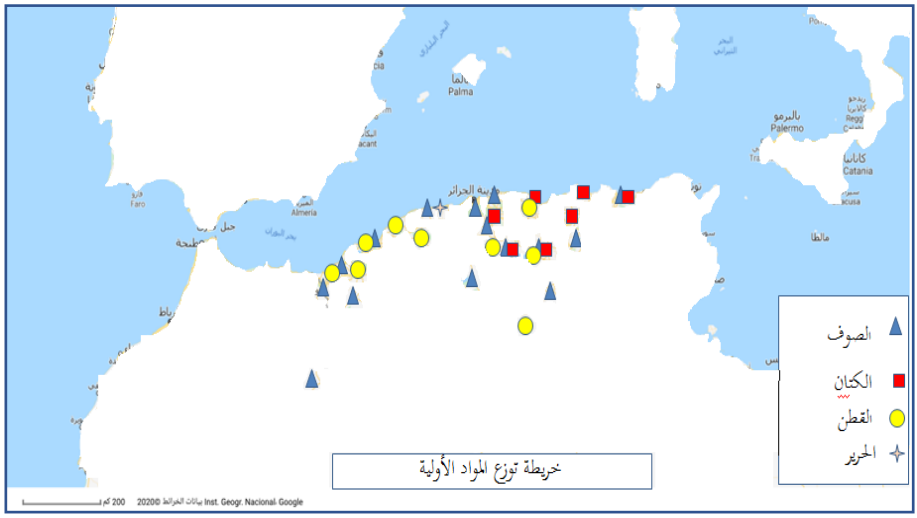

الخريطة رقم 01: توزع المواد النسيجية الخام

وقد عرفت العديد من مناطق المغرب الأوسط إنتاج مادة القطن على غرار ندرومة وهنين[1]، كما عرف في كل من مستغانم والمسيلة وطبنة، وبلاد الزاب وبجاية.[2]

3- صناعة النسيج في المغرب الأوسط:

بلغت صناعة النسيج في بلاد المغرب الأوسط على غرار كافة بلدان المغرب الإسلامي، مرحلة من التقدم كانت بدايتها من القرن الرابع الهجري واستمرت حتى القرن التاسع الهجري، فقد ذكر محمود هدية في كتابه اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط نقلا عن ابن حوقل، بوصفه تقدم صناعة المنسوجات ببلاد المغرب، بأنها فاقت إنتاج أي بلاد أخرى، فتفوقت على كل ما كان يصنع بالمشرق الإسلامي (الخريطة رقم 02).

فنجد أن مدينة هنين وبرشك ومستغانم وندرونة تميزت بالصناعة القطنية[1]، حيث يقول حسن الوزان في ذلك "إنندرومة اليوم مزدهرة لكثرة الصناع فيها،

(1)- عبد المالك بكاي ، المرجع السابق 236

(2)-البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامية**، القاهرة، ص69.

وينتجون على الخصوص أقمشة القطن لأنه ينبت بكثرة في الناحية"[2]في حين اشتهرت بوادي المغرب الأوسط بالصناعة الصوفية وهذا لوفرتها، أما طبنة ومسيلة وقلعة بني حماد ومتيجة، إضافة إلى صناعة الصوف والقطن عرفت صناعة الكتان

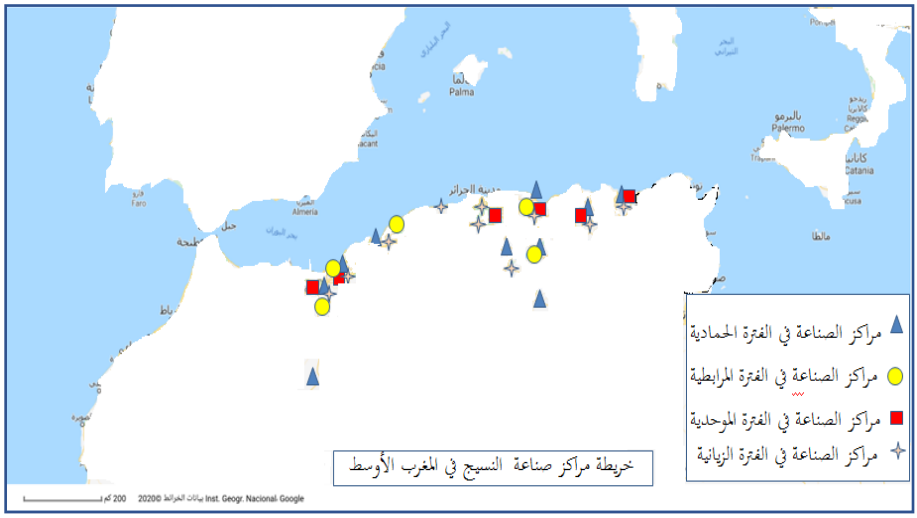

الخريطة رقم02: توزيع مراكز النسيج في المغرب الأوسط حسب الدويلات

رواجا كبيرا بها، فقد كانت مدينة متيجة من اكبر مراكز إنتاج الكتان في الشمال الإفريقي إضافة إلى أكسية قلعة بني حماد ووجدة فقد وصفت بأنه لامثيل لها في الدقة والجودة،[3] كما تميزت منطقة شرشال عن باقي المناطق بصناعة الحرير.[4]

4- صناع النسيج في المغرب الأوسط:

لقد عرف الحرفيون وصناع النسيج نوعا من الاحتقار والازدراء على مر لعصور السابقة، ولكن مع تطور صناعة النسيج في المغرب الأوسط، ارتقت مكانتهم في

---

(1)- عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص236.

(2) - حسن الوزان، المرجع السابق ، ص14.

(3)- بلبشير عمر، المرجع السابق، ص236.

(4)- مارمول كربخال، المرجع السابق، ص356.عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص 238.

المجتمع، وصار الحرفيون والصناع النسيج من أفاضل الناس، حيث قال البرزلي في ذلك "إن الصناع وأهل الحرف شأنهم في ذلك شأن أهل القرى والعلماء.."[1].

–القزاز أو الحرار: القزاز من الخز أي الحرير[2]، وهو لفظ فارسي يطلق على القائم بتربة دودة القز، ويعني ناسج القز وبائعه[3]، أما الحرار فهو صانع الحرير، حيث نال صناع الحرير مكانة مرموقو في المجتمع، وهذا لمهنيتهم ومهارتهم ودرجة إتقانهم لصنعتهم، كما لم تقتصر مهنة القزازة على الرجال فقط بل عملت النساء بها أيضا.[4]

–القطان: حائك وتاجر القطن، وينقسم علمه على مرحلتين الأولى تعرف بالندف وتتمثل في عملية تنظيف القطن وفرده، تحتاج هذه العملية يد عاملة كثيرة لأنها تتم بشكل متكرر حتى تتم إزالة القشرة السوداء وبقايا البذور العالقة، لتأتي بعدها مرحلة الحلج وعزل القطن[5].

–الصباغين: هم القائمين على معالجة الأصباغ، وباعتبار حرفة الصباغة من المهن التي تلوث المكان وذات روائح كريهة، فان الصباغون عملوا خارج المدن وبجوار الأنهار.[6]

–القصار: هو من يقوم بعملية بل وغسل الغزل من الصوف الكتان الحرير والقطن، وتتم هذه العملية عن طريبق وضع قدر مملوء بالماء فوق النار، وعند غليان الماء يتم وضع قع الصابون وتترك حتى ينحل بالماء، وبعدها يضع القصار المادة المراد قصرها، ويقلبها بواسطة قضيب خشبي يوضع بين لفات القماش حتى لا تتداخل مع

(**1**)- محمد حسن، المرجع السابق، ص469.

(**2**) – قاموس معاني الأسماء.

(**3**)- معجم المعاني الجامع، عربي عربي.

(4) – محمود هدية، المرجع السابق، ص 81.

(**5**) – محمود هدية، المرجع السابق ، ص83

(**6**)- نفسه، ص93.

بعضها، وبعد أن تنظف يقوم القصار بإخراج القماش وغسله بماء عذب غلا جيدا.[1]

–الكماد: يستعمل نفس أدوات القصار، ولهدف تغيير أو تخفيف اللون[2]، وعليه فان القصارة والكمادة وظيفتين مكملتين لبعضهما، وقد أشار البعض إلى أنهما حرفة واحدة[3]، في حين أشار بعض الفقهاء إلى أن الكمادين والقزازين يجعلون النشأ في الكمد، وهو ما يوضح استقلالية الكمادة عن القصارة[4].

–الغسال (أطلق عليه في المشرق البابا): وهو الشخص الذي يغسل المنسوجات المقصورة والمكمدة، والثياب المتسخة التي يرتديها أصحابها، وتتم هذه العملية بالأيدي أو باستخدام لوحة خشبية تحك بها الثياب مع إضافة الماء. ويحصل الغسال على عمله عن طريق الخياطين الذين يرسلون له الثياب لغسلها بعد إتمام خياطتها، ومنهم من ينادي في الأسواق والبيوت على الثياب الوسخة.[5]

–الخياط: لقد ارتبطت مهنة الخياط بمهن أخرى منها صناعة الإبر، كما عرفت مهنة الخياطة تطورا كبيرا، حتى أن بعض الخياطين نال المراتب العليا في مجتمعه مثل ابن أبي عمارة المسيلي.[6]

–الحائك: هو من يقوم بنسج الغزل ليصنع ثوبا، ويصف ابن خلدون الحياكة على أنها نسج الغزل من الصوف والغزل، فمنها الأكسية والعمائم من الصوف

(**1**)- نفسه، ص89.

(**2**) – مجد الدين مُحَّد بن يعقوب الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، الجزء1، تحقيق مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف مُحَّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة 8، بيروت لبنان 2005، ص315.

(**3**) – تبصرة الحكام في أصول الأفضلية والمناهج، الجزء2، ص326

(**4**)- محمود هدية، المرجع السابق، ص83.

(**5**)- محمود هدية، المرجع السابق، ص91.

(**6**) – مُحَّد حسن، المرجع السابق، ص483.

للاشتمال[1]، والثياب من القطن والكتان للباس، وقد اعتبرت هذه الحياكة من الصناعات الضرورية حتى انه قيل أن وجودها فرض الكفاية في المجتمع[2]، في حين اعتبرها البعض الآخر من المهن الرذيلة[3]، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: فَلَوْ قَالَ لِآخَرَ: يَا ابْنَ الْحَائِكِ، يَا ابْنَ الْخَيَّاطِ، يُعَيِّرُهُ بوظيفته.[4]

-الصواف: يقصد به بائع الصوف وصانع المنسوجات الصوفية

-الكتان: يقصد به صانع منسوجات الكتان والقائم على غزله ونسجه

الخاتمة

مما تقدم يتبين إنّ الصناعات النسيجية عرفت أهمية خاصة ببلاد المغرب الأوسط وتنوعت بتنوع المواد الخام المشكلة لها، حتى أصبحت مهنة منظمة وظهر بها عدة صناع، وهذا راجع لأهميتها البالغة في حياة الناس سواء كألبسة أو أفرشة.

كما ظهرت به عدة مراكز صناعية تمركزت معظمها في عواصم بلاد المغرب الأوسط والمناطق المحيطة بها (تيهرت، أشير، قلعة بني حماد، بجاية ، تلمسان)، كما ظهرت مراكز صناعية بكل من: شرشال، طبنة، برشك، البطحاء ومستغانم...).نظرا لوفرة المواد الأولية بها.

(**1**)- الاستبصار، المصدر السابق، ص129.

(**2**) – عبد الرحمن ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، مراجعة سهيل زكار، الجزء1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت لبنان 1981، ص516.

(**3**)- محمود هدية، المرجع السابق84.

(**4**) – علي بن أحمد ابن سعيد بن حزم الأندلسي، **الإيصال في المحلى بالآثار**، الجزء12، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ، لبنان، 2003، ص214.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن حزم الأندلسي علي بن أحمد ابن سعيد ، **الإيصال في المحلى بالآثار**، الجزء12، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ، لبنان، 2003، ص214.

- ابن خلدون عبد الرحمن، **مقدمة ابن خلدون**، مراجعة سهيل زكار، الجزء1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1981.

-ابن خلدون(أبو زكريا يحي ابن أبي بكر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد)، **بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد**، تقديم: عبد الحميد حاجيات، ج. 2،المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980.

- ابن منظور(جمال الدين)،**لسان العرب**، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت1988.

-أبو بكر عبد الله بن مُحَمَّد المالكي، **رياض النفوس**، تحقيق بشير البكوش، مرجعة مُحَمَّد العروسي المطوي، الجزء 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ، الطبعة 2، 1994.

-البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة.

- الفيروزأبادي مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب ، **القاموس المحيط**، الجزء1، تحقيق مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف مُحَمَّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة 8، بيروت لبنان، 2005.

- مؤلف مجهول، -**الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية، العراق.

-مارمول كربخال، **كتاب إفريقيا**، ترجمة مُحَمَّد حجي وآخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984.

- الوزان حسن ، **وصف إفريقيا**، ترجمة مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.

-التلمساني بلال، **التداوي بالأعشاب وأسرار الطب العربي**، دار الكتاب الحديث، الطبعة الأولى، الجزائر 2002.

-فيلالي عبد العزيز، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط**، دار الهدى، عين مليلة الجزائر 2014.

-الطمار مُحَمَّد، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية.

– ماهر مُحَمَّد سعاد، **النسيج الإسلامي**، الجهاز المركزي للتربية الجامعة والمدرسة والوسائل التعليمية، القاهرة 1977.

– مُحَمَّد حسن، **المدينة والبادية بافريقية في العهد الحفصي**، الجزء1، سلسلة تاريخ 4. المجلد 37، جامعة تونس الأولى 1999.

–محمود هدية، **اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط**، مؤسسة هنداوي،2017.

– بديرة عادل ، **بادية المغرب الأوسط من القرن 4هـ إلى 7هـ**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم إنسانية ، جامعة مُحَمَّد بوضياف بالمسيلة، 2018.

– بكاي عبد المالك، **الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7–10هـ/13–16م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم العلوم الإنسانية جامعة باتنة، 2014/2013.

–بلبشير عمر، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6هـ الى9هـ من خلال كتاب المعيار للونشريسي**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2010/2009.

– الحسناوي فائز هادي علي ، **المهن الاقتصادية في العصر البابلي القديم**،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير آداب في الآثار القديمة، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2009.

صناعة السكة الجزائرية ودُورُ الضرب في العهد العثماني.

الدكتورة صباح حمزة
جامعة الجزائر2

مقدمة

تعتبر السِّكة شاهداً مادياً لقيام الدول واستقلاليتها، وقد يتجاوز الأمر ذلك بكثير حينما تصبح العملة رمز من رموز الدولة، فمن الأمور المعروفة أن أي سلطة في التاريخ الإسلامي سعت للتأكيد على شرعيتها عبر أمرين مهمين هما الدعاء للأمير والخليفة على المنابر وفي الخطب وإلى ضرب السكة باسمه. والدارس للماضي لا بد أن يستعين بعلم المسكوكات للتعرف على النظم المالية والاقتصادية ومدى تطور الفنون والصناعات فهي بذلك وليدة القدرات الفنية لصانعي ذلك العصر.ويبدو أنّ الدولة العثمانية قد أكدت سيادتها بسك عملتها الخاصة في كل الأقطار التي شملها حكمها منها الجزائر والتي جاءت لا تقل عن السكة التي سبقتها، حيث إن جودة العملة تعكس قوة الدولة والعكس بالعكسوقد اختلفت النقود العثمانية داخل الدولة الواحدة لا بل داخل القطر الواحد، فما هي دور الضرب بالإيالة الجزائرية وما هي كيفية عملها وما هو إطارها الإداري والفني؟

إنّ الجانب الإداري والفني لدار السكة الإسلامية بقي مبهما إلى وقت طويل[1] استعنا بمخطوطة أبي الحسن علي بن يوسف الحكيم الموسومة ب: الدوحة

(1) – صالح بن قربة، **المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية**، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص35.

المشتبكة في ضوابط دار السكة من تحقيق حسين مؤنس وإن كانت تتكلم عن دار الضرب في العصر المريني، إلى جانب بعض المعلومات المتفرقة في كتب التاريخ والتي تحدثت عن المؤسسات المالية كالخزينة والجانب الإداري والفني لدار السكة الجزائرية في العهد العثماني.

1- دار السكة:

أو الضرب خانة كلمة عربية فارسية عرفت في العهد المملوكي حتى العهد العثماني وهي امتداد لدار سك النقود في العصر الإسلامي.[1] وكانت تسمى بدار العِيار عند إنشائها لأول مرة على يد الحجّاج بن يوسف الثقفي[2]، وقد عرفت الجزائر أربع دور ضربٍ منذ الدخول العثماني للجزائر إلى غاية سقوط قسنطينة سنة 1837م،[3] تمثلت في:

2- دار الضرب بتلمسان:

إنّ تلمسان كانت من أوائل حواضر بلاد المغرب التي أنشأت فيها دور الضرب، ولعل أقدم دار ظهرت بها هي تلك التي كانت في عهد الوالي موسى بن نصير (86-96هـ/ 705-714م) إذ وجد فلس مضروب بتلمسين وهو الطوبونيم

(1)- مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة،ط1، 1996م، ص300.

(2)- أنستانس ماري كرملي، **النقود العربية وعلم النميات**، ط2، دار النصر للطباعة، القاهرة، ص40.

(3) -Tolga Akkaya ،**The evolution of money in the ottoman empire**, **1326-1922**، a thesis submhted to the inthute of economic and social sciences in candidacy for the degree of master of arts، Bilkent university ، 1999,p73 .

الأسبق ظهورا من تلمسان، حوالي سنة 86هـ/ 705م، ويحمل أحد أوجه الفلس صورة رجل يعتقد أنها لموسى بن نصير ذاته[1].

وقد استمر وجود دار الضرب رغم أنها لم تكن كرسي المملكة في فترتي المرابطين والموحدين، وورث الزيانيون هذه الدور، لكن أضافوا إليها تقنيات جديدة اقتضاها التطور العلمي الحاصل بخصوص تعميق المعرفة بخواص المعادن وتقنياتها وصهرها وسبكها، وتطور الفنون الزخرفية والكتابية والتي قام عليها أسرة ابن ملاح.[2] أما في عهد البايلربايات فقد ضربت السكة باسم الخليفة العثماني، وعرفت تلك الفترة توتراً بين ملوك بنو زيان واستنجادهم بالإخوة بربروس تارة وخروجهم عن ولاءهم وتحالفهم مع الأسبان تارة أخرى، وتؤكد مذكرات خير الدين بربروس خروج ملوك بنو زيان عن طاعة البايلرباي مما جعل خير الدين يضرب أعناق كل من تسول له نفسه الخروج عن طاعة الباب العالي وضرب السكة بغير اسمه[3]. وقد أبقت سكة هذه الفترة على شكلها ومضامينها وهو طراز السكة الزيانية والتي كانت ذات شكل دائري يتوسطه مربع تلامس زواياه أطراف الدائرة أضيف اسم السلطان العثماني والدعاء له إلى جانب اسم السلطان الزياني، فحسب هازار فقد ضرب ضعف الدينار باسم تلمسان يعود لفترة حكم أبي مُحَمَّد عبد الله الثاني الملقب بالمتوكل على الله والذي حكم في عهد سليمان الأول[4] الملقب بأبي الربيع على السِّكة ما يؤكد أنّ الدولة الزيانية ضربت

(1) – حسنحسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية**، ط1، مكتبة المنار، تونس، 1965م، ص405.

(2)– رفيق خليفي، **حرفيو السك النقدي في المغرب الزياني: أسرة ابن ملاح أنموذجا**، مجلة البحوث الاجتماعية والتاريخية العدد4، جوان2013، الجزائر، ص92.

(3)– خير الدين بربروس، **مذكرات خير الدين بربروس**، ترجمة مُحَمَّد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 2010، ص131.

(4)– سليمان الأول: القانوني بن سليم الأول، عاشر السلاطين العثمانيين بلغت الدولة الإسلامية في عهده أقصى اتساع لها وصاحب أطول فترة حكم من1520 م حتى وفاته سنة1566 م خلفاً لأبيه

أواخر أيامها سكة بأسماء السلاطين العثمانيين[1]. وقد استمرت في إنتاج النقود الزيانية وفق الطراز المحلي مع ذكر السلطان العثماني في عهد البايلربايات (926-996هـ / 1519- 1588م) إلى غاية نهاية القرن 17م، وانضمام تلمسان إلى الخلافة العثمانية نهائيا، لتتوقف دار السكة الزيانية عن العمل وأغلقت أبوابها.[2] (الصورة رقم06)

3- دار الضرب بالجزائر:

إنّ النقود التي كانت تستعمل في إيالة الجزائر في منتصف القرن 12هـ/ 18م،لم تكن محلية كلها بل كانت قسمين: عملة مستوردة وأخرى محلية وهذه الأخيرة كانت تُضرب بدار النقود الواقعة بالقرب من مسجد كتشاوة،[3]والتي كان موقعها قريبا من قصر الداي في الجنينة، (الصورة رقم 01) قبل نقلها من طرف علي خوجة إلى القصبة مع الخزينة العامة وبذلك اتخذت مكان حصين عبارة عن دهاليز مقوسة سيئة الإنارة ويؤدي الى هذه الدهاليز باب في نهاية الرواق منخفض في وضع منحرف بالنسبة للباب الرئيسي للقصر كتب أعلاه عبارة "نصر من الله وفتح قريب يا فاتح الأبواب افتح لنا أفضلها".يقوم على ضرب النقود من طرف صناع يهود تحت رقابة أمين السكة.[4]

السلطان سليم خان الأول وخلفه ابنه السلطان سليم الثاني.(انظر:مُحَمَّد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية،تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، مصر،1981م، ص109.)

(1)-Hazard harry,**the numismatic history of late medivel north africa**,the américan society,newyork,1952,p190 .

(2)- عبد العزيز لعرج، **السكة الجزائرية في مرحلة الانتقال والعهد العثماني**، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 32، العدد2، 2011، ليبيا، ص71

(3)- ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية**، المرجع السابق، ص189

(4)-ناصر الدين سعيدوني، **الخزينة الجزائرية 1800م-1830م**، المجلة التاريخية المغربية، العدد3، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس،1975م، ص23 .

4 – دار الضرب بالمدية:

جاء ذكر دار الضرب بالمدية في حديث صاحب كتاب المرآة حمدان خوجة عن الباي مصطفى بومزراق عقب سقوط مدينة الجزائر في أيدي الفرنسيين، حيث نصب نفسه بايا على بايلك التيطري وجعل من المدية مقرا له حيث قال: "عندما وصل بومزراق مصطفى، باي التيطري الذي سبق أن تكلمنا عنه، إلى المدية وضع مشرعا جنونيا لإعلان نفسه باشا أو رئيسا مستقلا للإيالة، فنظم ديوانه، وعين من بين الأتراك خزناجيا وآغا، وسك العملة".[1] وقد وجدنا عملة بوجو فضية من مجموعة خاصة تعود إلى سنة 1246هـ، ضربت بالمدية.(الصورة رقم08)

5– دار الضرب بقسنطينة:

كان العائز وراء فتحها هو سقوط مدينة الجزائر في أيدي الفرنسيين عام 1830م، أما قسنطينة فلم تسقط إلا بعد ثماني سنوات، كانت فترة كافية لضرب سكة مستقلة بأمر من الباي أحمد والتي جاءت على شاكلة النقود العثمانية الأخرى كما أنها جاءت كدليل للاستقلال الاقتصادي والسياسي للبايلك.(الصورة رقم07)

6– الإطار الاداري لدار السكة :

إذا قمنا بمقارنة الأساليب الصناعية في العصر العثماني ونظيرتها في العصور التي سبقتها كالموحدي والزياني نلمس مقدار التطور الذي لحق دار السكة الجزائرية، بعد تقلد كل سلطان جديد العرش يرسل خط شريف مصحوبا بقوالب ولا يعني ذلك أن العملات كانت تسك بهذه القوالب المرسلة من إستنبول وذلك لأن عملية السك المستمرة تقوم بإتلاف تلك القوالب ، لذلك كانت تصنع على شاكلتها قوالب أخرى، أما القوالب السلطانية فكانت تبقى محفوظة إلى حين تغيير السلطان لترسل

(1)– حمدان خوجة، **المرآة**، تر: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للنشر والاتصال والإشهار، الجزائر، 1975م، ص213.

من جديد وتحفظ في الديوان العالي إلى أنها لم تكن إلا نماذج استرشادية تقوم دار الضرب بمحاكاتها دون تقيد صارم للحروف أو الزخارف.[1]

7- أمين السكة:

أُطلق هذا اللقب على المسؤول السامي في دار الضرب[2]، سمي في المشرق بالمشارف، والمغرب والأندلس بالناظر وتشترط فيه الأمانة والثقة، ومعرفة أصول المهنة من معادن وأوزان والكتابات، تتلخص مهمته في الإشراف على دار السكة من الناحيتين الفنية و الإدارية[3]. حيث يتكلف برعاية ومراقبة عملية ضرب النقود المختلفة وتقدير قيمة المجوهرات بعد وزنها وفحصها بالإضافة إلى كاتب الدولة وأمين السكة يخضع لأوامره أجيران من اليهود أحدهما للتحقيق في النقود المشكوك فيها يشرف على مراقبة سبيكة الذهب قبل تحويلها إلى مسكوكات، ويدعى العيار والآخر هو القائم على عملية الوزن ويسمى الوزان.[4]

8- حاكم الطابع:

يسمى أيضا راقم الطابع أو راقم الخاتم، وهو الشخص الذي يقوم بنقش الأشكال ولا يجوز له نقش أي نص إلا بأمر من السلطان،[5] ويمنع عليه مزاولة عمله

---

(1)- أحمد الصاوي، **النقود المتداولة في مصر العثمانية**، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، القاهرة، ط1، 2001م، ص228.

(2)- Tocchi(E), **Notice sur les poids**, **mesures et monnaies d'Alger**, imprimerie militaire de Dufort cadet, Marseille, 1830 ,p22.

(3)- أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم،**الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة**،تحقيق حسين مؤنس،صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مجلد6،العدد1-2،مدريد،1958،ص50.

(4)- ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2، دار البصائر،الجزائر، 2009، ص165.

(5)- أبو الحسن علي بن يوسف، المرجع السابق، ص57.

خارج دار السكة كما أن الآلات التي يستعملها تبقى داخل جدران الدار في مكان أمين، وعرف في المشرق بالنقاش والمغرب والأندلس بالفتاح.[1]

9- صاحب الطابع:

يسمى بصاحب الخاتم، هو الذي يحتفظ بقوالب السكة، والمسؤول على حفظ الآلات المستعملة في صناعة النقود، كما أوكلت إليه عملية تصليحها وتنظيفها.

10- السكاك:

هم العمال التقنيون الذين توكل إليهم عملية سك العملات على حسب الطلب بعد صهر المعادن وخلطها بالكميات اللازمة، وكذلك مراقبة العملات بوزنها وما إلى ذلك، وقد اشتهرت طائفة اليهود بمزاولة المهنة،كما أُسندت إليهم عملية معالجة النقود بالنار، وتنظيفها وطلائها من جديد، أما العمال الذين يشتغلون في هذا كلهم من اليهود وعددهم 24،[2]فقد ذكر العالم الألماني ج .اوهابنسترايت في رحلته إلى الجزائر أنه يعاقب القضاء التركي كل من يخل بوزن السكة وينفذ الحكم بطريقة غير عادية فكل يهودي أو نصراني ينقصان بوزن العملة تقطع يده ويشنق ويطاف بجثته على ظهر حمار في أرجاء المدينة، [3] وهذا دليل على أن السكاك على عكس الخزناجي حيث ليس بالضرورة أن يكون مسلما بل على العكس تماما. حيث أن يهود مدينة الجزائر عرفوا بصك النقود وصناعة الحلي وترصيعها،[4] وتكمن مهامهم في

(1)- يمينة درياس، **السكة الجزائرية في العهد العثماني**، دار الحضارة، الجزائر، ط1، 2007م، ص65.

(2)- بن صحراوي كمال، **الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في عهد الدايات**، (مذكرة ماجستر)، جامعة معسكر،2007-2008م، ص63.

(3)- ج أوهابنسترايت، **رحلة العالم الألماني ج أوهابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس**، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس،2007، ص39.

(4)- Eisenbth M, **Les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque**، la revue africaine, volume 96, 1952, P129 .

سك العُملات على حسب الطلب بعد صهر المعادن وخلطها بالكميات اللازمة وعلى قدر الكمية المضروبة يُؤجر السكاك ويبلغ عددهم أربعة وعشرين حرفياً.

11-تصفية المعادن:

يمكن تعريف المعدن بأنه عبارة عن مادة صلبة وغير عضوية توجد في الأرض بصورة طبيعية ، يختلف كل معدن تمام الاختلاف عن الآخر.[1]

فكما نعلم أن المعادن سواء كانت عبارة عن فلزات من الطبيعة أو نقود قديمة تكون مزيجا من معادن مختلفة، فنجد الذهب مختلطا بالرصاص والفضة، ولذلك يعمل القائمون على سك النقود على فصل المعادن لتصبح خالصة وتسمى هذه العملية بالتصفية وتكون عن طريق الصهر، وذكرها صاحب الدوحة المشتبكة حيث يصهر المعدن على درجة الحرارة اللازمة ويضاف إليه بعض المواد لتخليصه من الشوائب يفرز الذهب والفضة من النحاس بإضافة الرصاص، أو عن طريق وضعه في الكوجل مصنوع من العظم والجص تصفى فيه الفضة من الرصاص فيكب الخليط بوضعه على النار.[2]، وكانت طريقة التعدين تتمّوضع طبقة حطب تليها طبقة من المعدن وهكذا دواليك، ثمّ توقد النار في الكداس، فينصهر الرصاص. أما الحديد[3]فكان يعالج بفحم الحطب في فرنٍ منخفض على غرار الطريقة القطلونيّة (الصورة رقم02)، ثمّ يُصبّ على شكل قضبان صغيرة ليحمل إلى أسواق بجاية والجزائر.

تحضير السبائك:

تأتي هذه العملية بعد الصهر والتصفية من الشوائب، فتخلط المعادن الصافية وتحدد المقادير من طرف الحاكم، ، ورغم القوانين المالية التي خضعت لها النقود في

(1)- مُحَمَّد إبراهيم خليل، **علم المعادن**، كلية العلوم، جامعة الزقازيق، 2014، ص8.

(2)- أبو الحسن علي بن يوسف، **الدوحة المشتبكة**، ص35.

(3)- محرز أمين، المرجع السابق، ص120.

إيالة الجزائر إلا أن في بعض الأحيان تختلف نوعية المعادن الممزوجة حسب الظروف الاقتصادية السائدة، نذكر على سبيل المثال 100 رطل من النقود كانت قد صنعت بخلط 60 رطلاً من الفضة الخالص و40 رطلاً من النحاس، وفي بعض الأحيان كانت العملة الفضية تصنع من مزج 56 رطلاً من الفضة و35 رطلاً من النحاس ،كما كان يمزج رطل من الفضة بثلاثة أرطال من النحاس، وتعتبر النقود الفضية جيدة إذا صنعت من 60 رطلاً من الفضة الصافية و40 رطلاً من النقود الفضية القديمة[1].

أما النقود النحاسية فكانت تخضع لعملية التصفية قبل صبها ، مما جعل كميتها تنقص بحوالي 50 إذ يستخلص من عشرة قناطير من معدن النحاس، خمسة قناطير من النحاس الصافي لعمل الدراهم الصغيرة، بينما بمزج ما تبقى من خليط النحاس لضرب النقود الفضية.[2]

أما معيار مزج المعادن الثمينة فكان بخضع لقوانين تحدد نسبة المزج وعدد القطع المضروبة للقنطار وكيفية استعمل بقايا المعدن أو إضافة بعض المعادن الثمينة كالفضة والذهب والعملات الأجنبية التي بليت من كثرة الاستعمل.[3]

12- القوالب:

إذا قمنا بمقارنة الأساليب الفنية في العصر العثماني وما سبقها في العصر الإسلامي نلمس مقدار التطور الذي لحق دار السكة الجزائرية من حيث الزخارف والكتابات المحكمة الدقة والتجويد ودون شك أنها كانت نتاج قوالب معينة نقشت عليها هذه الزخارف مقلوبة.

(1)- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص182.

(2)-نفسه، ص 182.

(3)- نفسه، ص181.

وقد حظيت القوالب بأهمية بالغة فبعد تقلد كل سلطان جديد العرش يرسل خط شريف مصحوبا بقوالب الضرب، وكانت تصنع على شاكلتها قوالب أخرى، وذلك لان عملية السك المستمرة تقوم بإتلافها، أما تلك القوالب السلطانية فكانت تبقى محفوظة إلى حين تغير السلطان لترسل من جديد وتحفظ في الديوان العالي ،كما أنها لم تكن إلا نماذج استرشادية تقوم دار الضرب بمحاكاتها دون تقيد صارم للحروف أو الزخارف و دليل ذلك هو وجود عدة نماذج تعود لنفس فترة الحكم مع تغير في ترتيب المضامين وتجويد في الخطوط.[1]

13- القوالب المحفورة:

ذكرها جورج مارسي وأشار أنها تعود لفترة متأخرة من التواجد التركي بالجزائر حسب التاريخ الذي تحمله[2]، وتمتاز طريقة الحفر بأنها تعطينا نقوشا واضحة ذات حروف متقنة كما نجد سطح هذه النقوش خال تماما من أية نتوءات في خامة السكة نتيجة الفقاقيع الهوائية.[3](الصورة رقم04)

الصفائح المطروقة:[4]

ذكرها ابن مماتي في كتابه قوانين الدواوين وتكون بصب المعدن المذاب وبقطعه إلى الشكل المراد تشكيله ووزنه قبل تشكيل الزخارف عليه وإذا لم يكن بالوزن المراد يصهر من جديد،ثم توضع القطعة بين قالبين أحدهما يسمى بقالب السندان أو الوجه والآخر بقالب المطرقة أو الظهر وفي كل القالبين نقوش معكوسة وتوضع القطعة

(1) - أحمد الصاوي، **النقود المتداولة في مصر العثمانية**، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، القاهرة، ط1، 2001م، ص227.

(2)- عبد الرحمن فهمي، **فجر السكة العربية**، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1965م، ص215.

(3)- مايسة محمود داود، **المسكوكات الفاطمية ومجموعة الفن الإسلامي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1991 م، ص137.

(4)- اسعد ابن مماتي، **القوانين الدواوين** ، تحقيق عزيز عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1 ،1991م،ص131.

بينهما وتضرب إلى أن تصبح سكة[1]، ووفقا للقوالب المحفوظة بمتحف الآثار القديمة بالجزائر، فان دار السكة الجزائرية كانت تسك العملة بالقوالب المطروقة[2]، وقد وصف الدكتور عبد الرحمن فهمي النقود المصنوعة بهذه الطريقة وكأنها قد خرجت من دار الضرب في حينها كما أنها تبدو مصقولة وغير مسامية وذو زخارف بارزة.[3](الصورة رقم03)

خاتمة

بعد أن تناولنا موضوع صناعة السكة الجزائرية في العهد العثماني ودُورِ ضربها وإطارها الإداري والفني من حرفيين ونقاشين، إلى جانب مراحل صنعها من جلب المعادن وتصفيتها وصهرها إلى غاية طرقها ونقش الكتابات والزخارف عليها بقوالب مختلفة. فقد خرجنا ببعض النقاط الآتية:

اتخاذ دار السكة الزيانية كدارٍ لضرب السِّكة الجزائرية في بداية العهد العثماني.

– الإبقاء على الشكل والمضمون، وضرب سكة تحمل اسم السلطان العثماني.

– نقل دار السكة الى جانب الخزينة. وبذلك أصبحت دار الضرب بقصر الجنينة الوحيدة لإيالة الجزائر.

– نقل دار الضرب إلى قسنطينة بعد سقوط مدينة الجزائر وضرب السكة بنفس الشكل والمضمون، باسم السلطان محمود الثاني.

ثبوت وجود دار ضرب بالمدية بعد سقوط مدينة الجزائر حسب بوجو فضي يعود لسنة 1246هـ.

–اختفاء اسماء حكام الجزائر من السكة الجزائرية.

---

(1)– مريم بوجمعي، **طرق معالجة المسكوكات المستخرجة من الحفرية**، مذكرة ماجستير،جامعة الجزائر، 2013-2014م، ص81.

(2)– يمينة درياس ، المرجع السابق، ص79.

(3)– عبد الرحمن فهمي، المرجع السابق، ص222.

-الابتعاد عن النصوص الدينية واستبدالها بالعبارات الدعائية والألقاب الفخرية.

-تداول استعمل النقود الفضية اكثر من غيرها من النقود.

وفي الأخير لا يسعنا القول سوى أن السكة الجزائرية هي عبارة عن صناعة ذات أهمية بالغة وحساسة ومهنة لم توكلت إلا لأهلها.

ملاحق: صور وأشكال

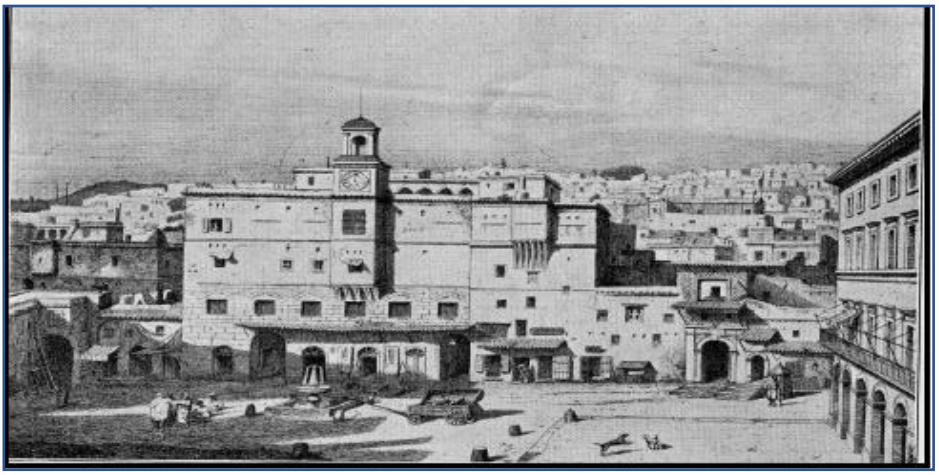

الصورة رقم 01: قصر الجنينة مقر الإدارة العثمانية

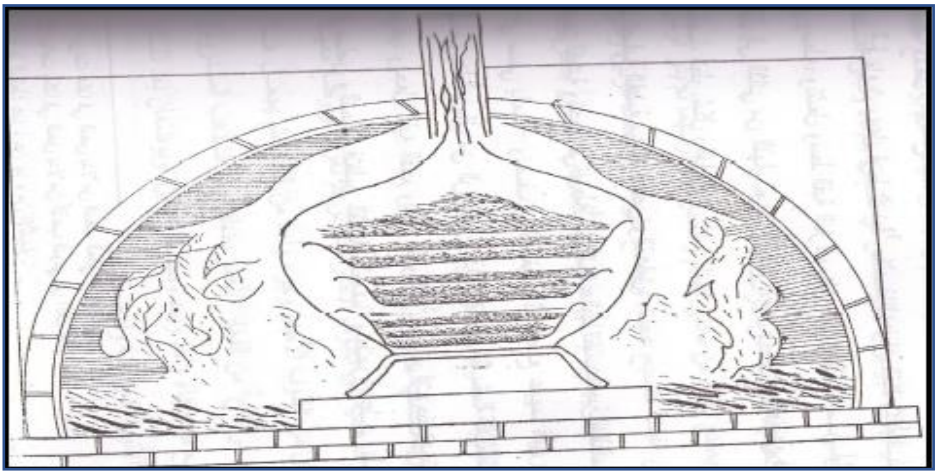

الصورة رقم02: فرن صناعة السكة (فرن آتون)

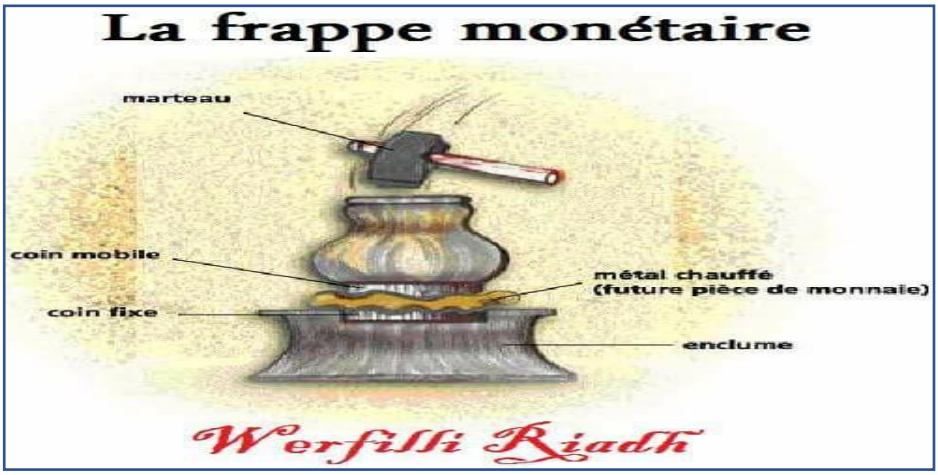

الصورة 03: طريقة طرق السِكة

الصورة04: القوالب المحفورة

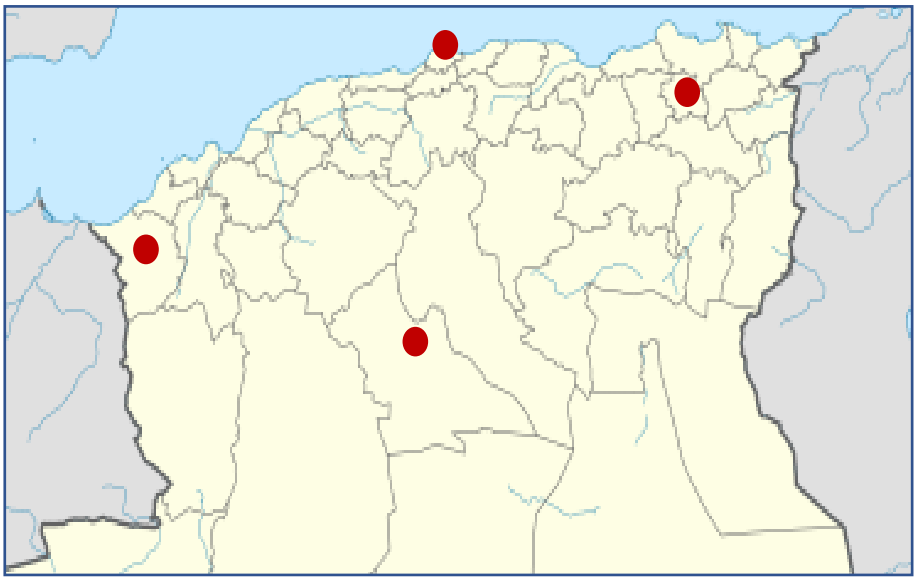

الصورة05: خريطة توضح مراكز ضرب السكة في الجزائر العثمانية.

الصورة06: دينار ذهبي ضرب في تلمسان باسم السلطان العثماني

الصورة07: سكة احمد باي: فلس ضرب بقسنطينة (1247هـ-1831م)

الصورة 08: بوجو جزائري: ضرب بالمدية (1808- 1839)

أنواع العملات المحلية المتداولة

سلطاني ذهبي ضرب في الجزائر

بوجو فضي ضرب في الجزائر

ربع بوجو فضي ضرب في الجزائر

فلس نحاسي مربع ضرب في الجزائر

مواد وتقنية البناء في مساجد المغرب الأوسط

مساجد مدينة تنس نموذجا

الأستاذ الدكتور مُحَمَّد موشموش

جامعة مُحَمَّد بوضياف المسيلة

مقدمة

تختلف مواد وتقنية البناء بالمدن الإسلامية باختلاف البيئة العمرانية، ففي المدن الساحلية اعتمد البناء المسلم على الحجارة والطابية والملاط والآجر في عملية تشكيل البناء، وكذلك على تقنية تتأقلم مع جغرافية وطبوغرافية الموقع المراد البناء عليه.

أردنا من خلال هذا البحث التعريف بأهم المواد التي كانت تستعمل في عملية البناء في المدن الشمالية في العصر الوسيط، وتقنية التشكيل التي عهدها واكتسبها البناء المسلم، مطبقا ذلك على مسجدي سيدي بومعيزة وسيدي بلعباس بمدينة تنس.

1- مواد البناء:

استعملت بمساجد مدينة تنس عدة مواد محلية وتتلخص فيما يلي:

1 -1- الحجارة:

من المواد القديمة التي استعملها الإنسان في عملية البناء، حيث استخدمت بكثرة في عمائر الحضارات القديمة كالحضارة الفرعونية والرومانية والبيزنطية، وهي على عدة أنواع وذلك حسب المنطقة وتضاريسها.

ولقد عرفت هذه المادة بعدة أشكال، حيث أنها تطورت بمرور الزمن وتعاقب الحضارات، فقد أعطيت اهتمام كبير من طرف الرومان والبيزنطيين الذين قاموا بتجسيمها على عدة أشكال وأنواع استعملت في تشكيل عدة عناصر معمارية منها

العقود والتيجان والأعمدة التي تفننوا في صناعتها، كما عبدت بها الطرق والمنشآت العامة.

أمّا عن الحضارة الإسلامية فقد كانت الحجارة من المواد الأساسية التي استعملها في إقامة العمائر المختلفة سواء كانت دينية، أو مدنية، أو عسكرية، فقد استعملت كأساس للجدران وفي رفعها، وفي صنع الأعمدة، والدعامات، والتيجان، ويرجع سبب استعمل الحجارة بكثرة في المسجدين نظرا لتوفرها في مدينة تنس[1] على غرار بقية المدن الإسلامية الشمالية.

من الناحية الجيولوجية والكيميائية فتنقسم الصخور أو الحجارة إلى ثلاث مجاميع رئيسية، الصخور البركانية و الصخور الرسوبية، والصخور المتحولة، ويتم تصنيف هذه الصخور حسب تركيبها الكيميائي والمعدني، وحسب بنيتها فلبلورات الكبيرة ميزة بارزة للصخور التي مرت بتبريد بطيء تدريجي، وعلى سبيل المثال تلك التي توجد في الصخور الجوفية (Plutonic) والديورايت (Diorite) والجابرو (Gabbro)، بينما الصخور المتشكلة نتيجة تبلور الحمم فوق سطح الأرض بفعل البراكين فتكون عادة غير كاملة التبلور ودقيقة الذرات[2]، وفي بعض الأحيان قد تكون زجاجية في بنيتها مثل الحجر الأوبسيدي (Obsidian)، أما الشكل المتوسط للصخور فينتج عن تمدد الثقل (Magma) أو الصخر المنصهر في الكسور، والشقوق للقشرة الباردة عندما تكون عملية التبلور بطيئة و طريقة تركيب البلورات تبدو في بعض الأحيان مرتبطة بأخرى، وتعرف هذه بالصخور السماقية

(1) – للمزيد من التفاصيل حول الإطار الجغرافي والتاريخ السياسي لمدينة تنس أنظر: – إسماعيل بن نعمان، **مدينة تنس، دراسة تاريخية، وأثرية، وعمرانية (3–13هـ/ 9–19م)**، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006 م / 2007 م، ص

(2) – ر.ف. سنيرر، "صيانة الحجر" ، **في كتاب صيانة التراث الحضاري** ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1990م، ص 218 ومايليها.

(Porphyries)، وتتكون الصخور الرسوبية من تفتت الصخور البركانية وتوجد بشكل رئيسي بالقرب من سطح قشرة الأرض وقد تتألف من تراكمات ترابية تنقلت بواسطة الماء والهواء، وتماسكت بفعل مواد لاصقة أو قد تنتج عن تفاعلات كيميائية للعناصر في محلول مع ترسبات مركبات غير قابلة للذوبان مع الكاربونات، أو السليكات، أو الكبريتات، أو ما شابه ذلك.

أما النوع الثالث فيتميز بطبيعة غروية بسبب اشتقاقها من معادن طينية (سيليكات الألمنيوم)، ولكن هذه الأنواع الثلاثة غالبا ما تندرج لتكون صخور رسوبية ذات مكونات وخواص متوسطة.

أ – الصخور الكربونية (الفحمية):

تشكل الصخور الكاربونية حوالي 10 ٪ من الصخور المكشوفة على سطح الأرض، والنوع الشائع منها هو كاربونات الكالسيوم ومثل هذه الصخور تمثل أنواعا غير محددة من ناحية مكوناتها وألوانها ومدى صلابتها وتصنف الصخور الفحمية حسب طبيعة مكوناتها المعدنية الثانوية أو حسب طبيعة ونوع المادة اللاصقة التي تمسك دارتها بعضها بالبعض الأخر بشكل محكم، وتعرف هذه الصخور نوعيا باسم حجر الحلان أو حجر الجيري و تتميز بصفات متعددة منها الرملية، والطينية، والرخامية والجيرية، المغنيسية في تركيبها (Dolomitic) والسليكونية والحديدة..الخ تكون مشتقة أو متكونة من مواد عضوية فإنها قد تسمى تبعا للمادة العضوية وقد تكون قوية متماسكة أو حبيبية أو من صخر الكلسي[1]، وقد توجد أنواع أخرى من مكونات عديدة فمثلا يوجد حجر حلان قوي زجاجي مشتق من تلك الحيوانات البحرية التي تشبه الزنابق (Crinoid) ويؤثر الشكل، والطبيعة، ونسب مكونات الذرات على درجة مقاومة الحجر للتغير و تحديد خواصها فيتألف الرخام من بلورات

(1)- H. Buttgenbach, **Les minéraux et les roches**, 6eed, Paris Dunod, 1935,p 730.

كلسية متراصة تكون صخرا يتميز بكثافة وقوته، وبدون فجوات، ويطلق هذا الاسم أي الرخام على النوع القوى من الحجر حلان الذي له قابلية اللمعان العالي وغالبا ما يستعمل أيضا لوصف بعض الصخور الزجاجية النقية التي عند صقلها، تصبح ذات رونقا زخرفي جمالي.

ب – الصخور الرملية:

تتألف الصخور الرملية من حبيبات المرمر (Quarts) ملتصقة ببعضها بالبعض وتظهر على شكل ذرات في مقطع سطحي وتكون ذات لون أصفر أو أحمر وقد تتماسك هذه الحبيبات بشكل قوي أو هش، وتصنف حسب طبيعة وحجم الحبيبات أو الذرات أو حسب طبيعة المادة اللاصقة فلهذا يمكن العثور على ذرات الكوارتر مع تراب المعادن، مكونة صخورا رملية خضراء اللّون وقد تكون المادة اللاصقة من العقيق الأبيض (Chalecedony) وصلبة جدا[1]، ومن النوع الهشة جدا والضعيفة نجد الصخور الرملية الطينية، والصخور الرملية الحديدية، والتي تكون ذات اللون الأحمر أو بنية، وفي بعض الأحيان خضراء، وتوجد أيضا الأنواع المتحولة التي أعيدت بلورتها بشكل قوي جدا وتكون ضمن مجموعة صخور الكوارتز.

ج – أنواع الصخور الرسوبية الأخرى:

من الضروري الإشارة إلى الصخور المنشقة (Schiste) الناتجة عن تماسك وتصلب الطين الرمادي، والأسود، الأخضر، الأزرق، أو الأحمر وإلى حجر الأردواز (Slate)[2] الناتج أيضا عن نفس المصدر والذي تشقق إلى طبقات كبيرة وكذلك الإشارة إلى الصخور الملحية والتي هي في الحقيقية معادن مثل الجبس (كبريتات

(1) -H. Buttgenbach,OP- cit, p 730.

(2) -G. Brigaux, **Traité du bâtiment**, **la maçonnerie**, Aris, 1978, p194.

الكالسيوم المائية) والإشارة إلى الرخام الأبيض أيضا الذي يتألف من تركيبات متشابهة وكلا نوعان يعتبران ذوي قيمة فنية.

وعموما فقد استعمل بمدينة تنس الحجر الرملي (الصخور الرملية)، وهو حجر يتكون خاصة من السيليست، جزيئاته ملتحمة بواسطة اسمنت صيواني أو كلسي أو طيني ويظهر أنّ البناة استعملوا نوعين من هذه الحجارة، ويظهر ذلك من خلال لونهما:

د- الحجارة الرملية الطينية:

هو سهل للنحت عند إخراجه من المحاجر ليصبح بعد ذلك صلبا، لذا يستعمل بكثرة في البناء، وهو ذو صلابة كبيرة لونه رمادي، وهذا ما نجده في أعمدة المسجد بكثرة في البناء، وهو ذو صلابة كبيرة لونه رمادي، وهذا ما نجده في أعمدة المسجد الجامع، وفي بعض تيجانه، وكذلك الحدارات والوسائد، ومربعات حجرية، استعملت كوسائد، ويحتمل أنّه استعمل في بناء الأساسات[1].

هـ- الحجر الكلسي: تكون المادة الأساسية فيه هي الكلس الملتحم، وهو نوع كثيف صلب، ذو لون يميل إلى الزبادي، واستعمل في أعمدة مسجدي سيدي بلعباس، بالإضافة إلى بعض تيجان المسجد الجامع، ومسجد سيدي بلعباس.

1-2 – الملاط:

يوضع بين مواد البناء لحملها وجعلها كتلة وطبقة واحدة، ويستخدم لرفع الجدران بواد بناء من حجر، وآجر، وخشب، وحديد، كما يوضع بين المداميك لتماسكها، ولاستخدامها في رفع الجدران المبنية من الدبش وهو أيضا ما يطلى به الحائط بعد تمام بناءه، ويوضع لتقوية الحائط وحمايته من الأمطار، وتهيئته للزينة

(1) – عبد العزيز محمود لعرج، **المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية معمارية والفنية**، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999م، ص 657.

والزخرفة[1] ولقد تحدث عنها ابن خلدون في مقدمته حيث قال:"...فمنها البناء بالحجارة أو الآجر يقام بها الجدران ملصقا ببعضها إلى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها فيلتحم كأنها جسم واحد..[2].

ويتكون عموما من مواد طبيعية تتمثل في حبيبات الرمل والطين والماء والتي تعد بطرق مختلفة، ويخلط الكل بنسب متفاوتة بإضافة الجير كمادة لاحمة.

ومن خلال هذا القول يتبين أنّ للملاط دور كبير في ربط وتماسك مواد البناء فيما بينها كما يمثل هذا الأخير المادة الأكثر ضعفا في البناء[3]، إذ يجب أن يكون ذا سمك منتظم يكون الثقل موزعا بين أجزاءه بالتساوي، كما يجب وضع مواد البناء بشكل متداخل منتظم لتفادي تشققها وفقدان تماسكها، وتكمن أهميته فيما يأتي:

- التحامه الجيد مع مواد البناء وسرعته في التصلب.
- مقاومته للضغط الناتج عن الثقل، وكذلك للتأثيرات المناخية.
- تسوية المساحات غير المنتظمة أثناء البناء.
- حماية البناء من الرطوبة لأنه غير مسامي.

ويختلف الملاط حسب المادة التركيبية له إلى نوعين:

- الملاط الطيني:

يتركب هذا الملاط من قاعدة طينية يضاف لها كمية الرمل، وبعض المواد الفخارية، والماء ثم يمزج، وبما أنّ هذا الملاط يستعمل في الجدران المبنية من الطوب فأنّه

(1) - عاصم مُحَمَّد رزق، **معجم المصطلحات العمارة والفنـون الإسلامية**، مكتبة مدبولي 2000 م ، ص 82.

(2) - عبد الرحمن ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق عبد الواحد الوافي، دار النهضة العرب للطباعة والنشر، مصر، 2006 م، ص867.

(3) - عمر الأمين، **مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين (4 هـ- 6 هـ/ 10م - 12م) للفترة الزيرية والحمادية (أشير، قلعة بني حماد، بجاية)**، رسالة ماجستير،معهد الآثار جامعة الجزائر، 2000 / 2001، ص107.

يستبعد استعمله في هذه المساجد، لكونه لا يتحمل التأثيرات المناخية، خاصة لعلمنا أن مدينة تنس شديدة الرطوبة.

– الملاط الجيري:

يتكون من مادة الجير، ويمكن استعملها لمفردها في حالة ما إذا كان سمك الملاط رقيق جدا، وفي غالب الأحيان يضاف إلى الجير مواد أخرى مثل الرمل والتراب الطيني، وبعض القطع الفخارية الصغيرة التي تتماسك جيدا مع الملاط ولها مقومة كبيرة للضغط[1]. أما الجير فلا يستعمل لوحده كملاط، نظرا لجفافه السريع، وعادة ما ينتج عليه تشققات وبالتالي لا يكتسب المقاومة المطلوبة، وليحتفظ برطوبته تضاف له مواد معدنية وعضوية.

ولكي يكون الملاط متماسك جيدا يجب أن تكون كمية الجير فيه تساوي حجم الفراغات الموجودة بين أجزاء الطينية، فإذا كانت حبيبات الرمل دقيقة فإن حجم هذه الفراغات يساوي تقريبا ما يعادل من 18٪ إلى 23 ٪، أما إذا كانت حبيباته كبيرة فإن حجم الفراغات يعادل من 31٪ إلى 35 ٪ [2].

ولا يمكن ملاحظة هذه التقنية في المسجدين محل البحث، إلّا ما يمكن أن نلمحه في بعض الأماكن الصغيرة من الجدران الداخلية للمئذنة التي أصيبت ببعض التعرية رغم أنّها كسيت بالإسمنت في فترة المعاصرة.

1–3– الرخام:

هو حجر كلسي صلب يتكون من بلورات الكلسيت أو الدولوميت[3]التي تنشأ من عمليات التحول الطبيعية الشديدة تحت ضغوط كبيرة في طبقات الأرض

(1)– عمر الأمين، المرجع السابق، ص 126.

(2)-CH. Bazin, **Encyclopédie**, **de l'architecture et de la construction**, vol 5, Paris, ND, p733.

(3)– عمر الأمين، المرجع السابق، ص 202.

السفلية، ويكون أحيانا أبيض اللون كالثلج، وغالبا ما يختلف لونه تبعا لاختلاف ما يتخلله من الشوائب، والتي تضيف إليه كثيرا من الجمال عند صقل سطحه إذ يصبح ناعما ولونه غالبا ما يكون ناصع البياض تتخلله أحيانا لذلك يتكون من نوعين: البسيط الذي يتخذ لونا موحدا[1]، وذو الأوعية الذي تختلف فيه الألوان وتكثر فيه الخطوط غير المنتظمة[2].

أما مميزات الرخام فتتمثل في دقة جزيئاته وصلابته، حيث أنّه مقاوم للضغط الكبير الناتج عن الثقل[3] والذي يقدر بحوالي 300كلغ/سم^2، كما أنّه مقاوم أيضا للظواهر الطبيعية مثل الأمطار والثلوج والحرارة، وهو من المواد الأساسية التي تستعمل في المباني المعمارية بعدة أشكال مختلفة منها كأطر للأبواب وفي الأعمدة والتيجان وفي تكسية الجدران وكنافورة للماء، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "...وربما عولي على الحيطان بقطع الرخام..."، وكذلك في قوله:"...بعد أن توضع قصاع الرخام القوراء المحكمة الخرط بالفوهات في وسطها لنبع الماء الجاري إلى الصهريج...[4]".

وتتواجد هذه المادة في ثلاثة تيجان في المسجد الجامع، والتي يرجح أنّها تعود للفترة الزيرية أو الحمادية.

1-4- الآجر:

هو لفظ فارسي معرب يقصد به طبيخ الطين، وهو الذي يبنى به[5]، ويعتبر الآجر من المواد القديمة التي صنعها الإنسان واستعملها في عملية البناء[6]، وهو عبارة

---

(1) - H. Buttgenbach, OP-cit, p 730.

(2) – عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 118.

(3)-. عمر الأمين، المرجع السابق، ص 202.

(4) – عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة...، ص867.

(5)- جمال الدين ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عامر احمد حيدر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ / 2003م، ج11، ص 24.

(6)- نقولا نقاش، "الآجر"، **دائرة المعارف الإسلامية**، م1، بيروت، لبنان، 1956، ص 77.

عن مادة طينية معالجة يحكم عجنها وتجفيفها، ثم تعرض الطين للحرق في الأفران حتى تتصلب، ويصبح آجر أحمر، وكلما زادت فترة تعرض الطين للنار زادت صلابته وبذلك تصبح مهيأة للاستعمال[1].

وتتطلب صناعة الآجر طينة ذات صفاء لكي تسهل عملية القولبة التي تتم بواسطة قالب خشبي بدون قاع وتكون مقاساته مختلفة، ولكنه يخضع لقاعدة عامة بحيث يكون طول الآجر يساوي ضعف عرضه، وعرضه يساوي ضعف سمكه، وبعدها يجفف ويدخل إلى الفرن مع قطع أخرى من الزليج والقرميد في غرفة الحرق تحت درجة حرارة تتراوح ما بين °800 و°1200، وهي حرارة كافية لتحليل مركباتها الكيميائية وتلاحمها حيث تتحول إلى قطع صلبة ومتماسكة الأجزاء[2]، ومن مميزاتها أنها خفيفة الوزن بسيطة الشكل ولكنها من المواد المفضلة للبناء وخاصة في بناء العقود والحنايا والدعامات، وذلك لأنها خفيفة الوزن في حالة استعملها كعنصر محمول، وصلبة في حالة ما إذا لعبت دور العنصر الحامل.

وكان الآجر من أهم المواد التي استخدمت في بناء العمائر المختلفة ولاسيما في البلاد التي يندر فيها الحجر، ولم ينحصر استخدامه حينذاك في جزء معين من البناء دون الآخر، كما لم يتميز به عهد دون عهد، وظهرت قوالبه بقياسات مختلفة، كانت ذات زوايا أحيانا، ومكورة جزئيا[3]، وكان من الطبيعي أن تغطى المسطحات الآجورية في المباني غالبا بطبقة من الجص أو بالمواد الأخرى للحصول على واجهة بنائية مستوية من جهة، وستر عيوب القوالب الآجرية فيها من جهة أخرى، وقد اقتصر

(1) – عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 10.

(2) – J. Sanvaget, **Introduction à l'étude de la céramique musulmane**, Paris, 1966, p53.

(3)– عبد الرحيم غالب، **موسوعة العمارة الإسلامية**، ط1، دار الطبع جروس بيرة، بيروت، لبنان، 1988 م، ص 29.

استعمل الآجر في العمارة الإسلامية المبكرة على الاستخدام الوظيفي البحت ثم تطور بعد ذلك لعمل الزخارف[1]، وكما تفنن المسلمون في بنائه وتكسيته فعلوا في شكله حسب الضرورة والحاجة، فأول ما صنع كان غير مجوف مستطيلا فقط، لكنه ما لبث أن تكعب واستدار ليساعد على الزخرفة، أما الآجر المفرغ فلم يُعرف إلاّ في وقت متأخر[2].

وبالإضافة إلى الآجر فإنّ القرميد يصنع من هذه المادة ويجمع قراميد، وهو طبيخ الآجر[3] يصنع من طينة متجانسة وذات جزيئات دقيقة تطلى بالطلاء حتى لا تكون مسامية، وذلك لأنه معرض للأمطار على الدوام، كما أنه يشكل بواسطة قوالب معقدة تصنع من الجص، أو الخشب، أو الحديد بأشكال متعددة ومختلفة، ولكنه غالبا ما يكون على شكل نصف أسطواني مخروطي الشكل يوضع عند البناء بالتناوب العكسي أي مقعر ثم محدب تثبت بواسطة الملاط.

أما من حيث استعمله فهو يوضع على شكل كورنيشات في حواف السقوف وكذلك للسقوف المائلة التي تكون بنسبة متوسطة وذلك لتفادي انزلاقها، ونجدها في غالب الأحيان ملونة بالأحمر أو الأخضر.

ولقد استعمل القرميد في تغطية سقوف المسجدين (لا يقل انحدار السقوف المائلة عن 25 كأدنى درجة، ولا يزيد عن 40 كأقصى حد، و إلا يتعرض للانزلاق)[4][4] رغم أنّه لم يبقَ ما يدل على ذلك، إلا ما وجد بمسجد سيدي بلعباس الذي بقي يحافظ على نمط تسقيفه، رغم تغير شكل القرميد في الفترة الحديث (لون القرميد المستعمل في مسجد سيدي بلعباس أحمر)، وقد تم ذلك بشكل جمالوني،

(1) – عاصم مُحَمَّد رزق، المرجع السابق، ص 11.

(2)– عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 29.

(3) – جمال الدين ابن منظور، ج4، ص 24.

(4)- E. Olivier, OP- cit, 1976, p17.

وبنفس الطريقة الموجودة بمسجد الأموي بدمشق، ومسجد قرطبة وهذا راجع إلى الظروف المناخية خاصة الأمطار منها.

1-5- الخشب:

جمع **خُشْبٌ** ما غلظ من العيدان والقسم الصلب من النباتات، وتعتبر هذه المادة ذات أهمية كبيرة منذ القدم، فهي مادة أساسية من حيث أنّها متعددة الاستعملات، إذ أنّها من المواد التي استخدمت بكثرة في العمارة والفنون الإسلامية[1] فمن جهة البناء نجدها كمادة تستعمل في عدة عناصر معمارية، كأن تكون عنصرا حاملا فهي تمثل الهيكل الرئيسي الذي ترتكز عليه التغطية، سواءً في حالة وجود القرميد أو في حالة بناء سطح فوق المبنى، أو نجدها في صناعة عدة أدوات تستعمل في البناء من جهة أخرى فبهذه المادة يتم تشكيل القوالب أو الصقالة وغيرها من الأدوات، كما أنّها تعد كمادة أساسية في عمل المنتجات الخشبية حيث نجده في الأبواب، والنوافذ، والركائز، والسقوف وعوارض الخشبية، كما يظهر ذلك في هذه المساجد، والتي اتخذت كمادة أساسية لجميع الأعمال وهذا التعدد في الاستعمل دليل قاطع على أنّه ذو أهمية بالغة في المباني، وفيه يقول العلامة ابن خلدون مبينا ذلك:"... ومن صنائع البناء عمل السقف بأن تمد الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على حائطي البيت ومن فوقها الألواح كذلك موصلة بالدساتر...وأما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم..."[2]

ويعتبر الخشب من المواد العضوية المقاومة للضغط، ويكون هذه المقاومة حسب نوعية الخشب المستعمل في تلك المجالات المذكورة سابقا، ومن هذه الأنواع

(1)- عاصم مُحَمَّد رزق، المرجع السابق، ص 99.

(2)-عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة...، ص869.

نذكر خشب العرعار والأرز والصنوبر، كما أنه يعتبر كعازل للحرارة[1] خاصة خشب الأرز والسندروس علما أنّهما من النوع القليل بالمغرب الإسلامي.

وللخشب عدة عيوب إذا قطع في فصل غير مناسب، وكدس في أماكن تكثر فيها الرطوبة حيث ينتج عن ذلك فقدان الصلابة والتآكل والتسوس مع مرور الزمن، لذلك كان لابد أن يطلى بطلاء شفاف مثل ما هو عليه سقف مسجد سيدي بلعباس. (**اللوحة رقم:(01)**.

اللوحة رقم (01): نظام التسقيف في مسجد سيدي بلعباس.

2 – طريقة البناء وتقنياتها:

نظرا لعدم وجود شواهد تدلنا على طريقة البناء وتقنيتها بالمسجد الجامع خاصة، فقد جعلنا هذا المبحث بالقياس مع الفترة الزيرية والحمادية.

2 –1– طريقة البناء:

قبل عملية البناء يقوم المهندس المعماري باختيار الموضع أو المكان الذي سيتم فيه إقامة المبنى، وكيفية التعامل معه من خلال المعطيات التي تتوفر في الأرضية، وبعد الانتهاء من هذه العملية المهمة تليها الخطوة الثانية وهي اختيار اتجاه المبني الذي له دور كبير في عملية البناء، ومن أجل ذلك وجب على المهندس أن يقوم بمعالجة نوع

(1)- E. Olivier, **Technologie des matériaux de construction**, T2, Paris, 1976, p154.

التربة ومدى تحملها للثقل عبر مختلف الفترات، وذلك لتجنب الظواهر الطبيعية، واختيار الاتجاه الملائم وتقسيم المساحة الداخلية وتحديد المنافذ الرئيسية والثانوية، كما توضع تبعا لموقعها الطوبوغرافي[1].

وبعد ذلك يشرع في حفر الأساس الذي يعتبر أهم عنصر في أي مبنى، ويكون الأساس مرتبط بالأرضية التي يقوم عليها المبنى، وما تتميز به من شدة المقاومة أو ضعفها، وذلك يؤثر في قوة المبنى وصلابته ودوامه ومقاومته للارتجاجات الأرضية والزلازل، هي أساساته أصلا وطبيعة أرضيته. وتختلف مقاومة الأرضيات بالاختلاف طبيعة الأرض ويرجع هذا إلى نوعيتها من جهة، وعلى تسرب أو عدم تسرب المياه فيها من جهة أخرى[2]، فبالنسبة للأرضيات غير جيدة يكون فيها الثقل الدائم أقل من 1كلغ/سم^2 وهذا ما نجده بمسجد سيدي بلعباس، ويظهر ذلك من خلال كمية الرطوبة التي تصعد على جدران المسجد، أمّا الأرضيات التي تكون نوع ما جيدة فيتراوح فيها الثقل ما بين1 . 3 كلغ / سم^2 والأرضيات الجيدة فيتراوح فيها المقاومة ما بين 4 . 5 كلغ/سم^2 ومن البديهي أن تكون قوة المقاومة كبيرة في الأساسات الأكبر عمقا[3].

ويختار في بناء الأساسات الحجارة الصلبة، ولا جرم أنّ البناء استعمل حجر الصوان لتوفره بواد علالة، ويمتاز هذا الحجر بقساوتة وصلابته، ويلعب الملاط، و الشظايا دور مهما في تسوية وتنظيم المساحات، علما أن سمك الأساس يفوق سمك الحائط بحوالي 20 . 25سم في كلا الجانبين، أما عمقه فيتراوح ما بين 50 . 70سم،

(1)- عبد العزيز لعرج، المباني المرينية.....،ج2، ص 654.

– P. Planat, Encyclopédie de L'Architecture et de la construction, volume 5, Fascicule 2, Paris, ND, p392.

(2)- نفسه

(3) – P. Planat, **Encyclopédie de L'Architecture et de la construction**, volume 5, Fascicule 2, Paris, ND, p392.

وهذا ما يزيد في تحمل الأرضية لثقل المبنى[1]، ولكي يكون الربط جيد بين الأساس والحائط توضع سافة من الحجارة بشكل طولي، وهي تشبه نصف الأعمدة في تقنية البناء الحالي.

ويختلف بناء الأسس حسب انحدار الأرضية، حيث أنّ أساس الأرض المستوية يبنى على مستوى واحدة مثلما نجده بمسجد سيدي بلعباس، وفي الأراضي الصخرية يبنى الأساس بعد حفر وتسوية الصخرة، وهذه التقنية استعملت كذلك في المسجدين السالفين الذكر لكون المنطقة صخرية، وأساسها الحجر الكلسي، وفي الأراضي المنحدرة يبنى الأساس بحجارة ذات أشكال مختلفة الأحجام لتكون صلبة وقوية وتظهر فيه كل السافات أفقية على شكل سلم، كما يتضح ذلك في المسجد الجامع. (**الشكل رقم: 2،1**).

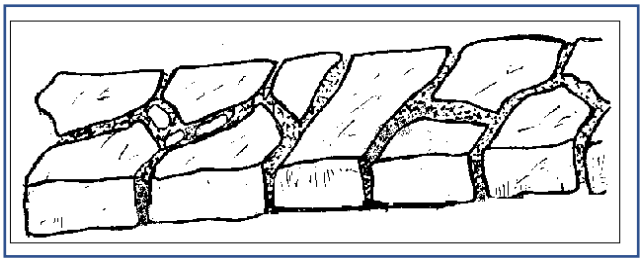

الشكل رقم (1): تقنية البناء بالدبش.

عن:. Olivier (E), OP – cit, p 32

(1) - P. Planat, OP-cit, p392

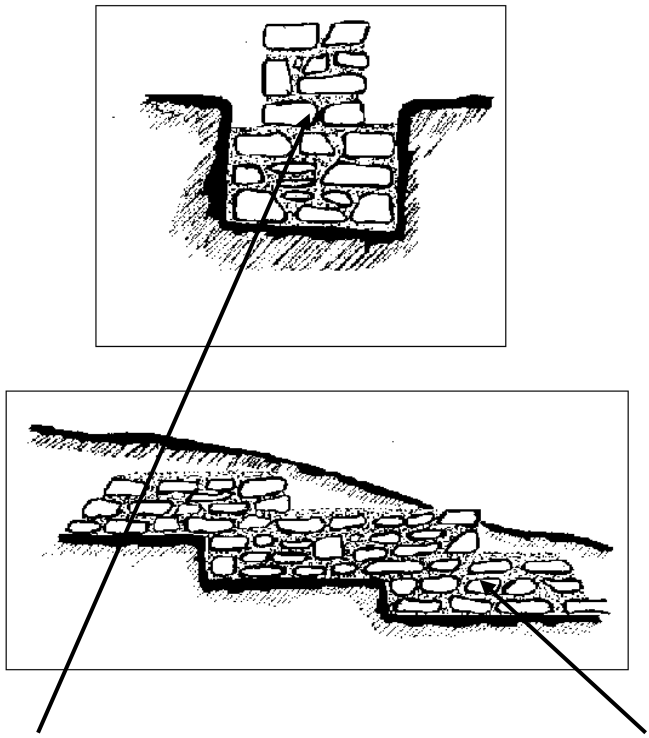

تقنية بناء الأساس على مستوي مائل (منحدر) **تقنية بناء دعامات الأساس**

الشكل رقم (2): تقنية بناء الأساسات.

عن: Olivier (E), OP – cit, p57

ولحفظ الأساس من عوامل الرطوبة، يستعمل ملاط به نسبة عالية من الجير، إلى أن يبلغ الحائط ارتفاع يعادل 0.50م فوق سطح الأرض، بعد ذلك يمكن استعمل ملاط من الطين و الجير[1].

وعند الانتهاء من ملئ الأساس بالحجارة والملاط يشرع في بناء الجدران بالحجارة. أما فيما يخص الجدران الداخلية فهي مكونة من سافات متناوبة من الدبش والآجر والخشب الذي يستخدم في التدعيم، وبناء العقود وذلك في حمله للمواد

(1)- عمر الأمين، المرجع السابق، ص 220.

المشكلة له، ويظهر ذلك في مسجد سيدي بلعباس، كما كان يعتمد في استقامة الجدران على الدقة في النظر والملاحظة، وذلك لعدم وجود خيط المظمار الذي لم يكن معروفا آنذاك، مما فتح ذلك باب الافتراض، وذلك في استعمل لوحة طويلة لمعرفة استقامة الجدران[1]، وعند الانتهاء من رفع الجدران يتم الانتقال إلى وضع السقف باستعمال عدة طرق في ذلك منها التسقيف بالأقبية المتقاطعة أو النصف أسطوانية أو الخشبية أو بالقباب، وبعدها يباشر البناء في تلبيس الجدران بالملاط، وصبغها بالطلاء الذي غالبا ما يكون أبيض.

2 – تقنيات البناء:

تتضمن دراسة تقنيات البناء على مجموعة من المواد التي تستعمل في ذلك وهذا اعتمادا على عدة وضعيات من حيث تصنيفها ومدى ترابط هذه المواد فيما بينها وهي تنقسم إلى عدة أقسام:

– **التقنيات الصغيرة:** وتستخدم فيها الحجارة الصغيرة التي تقل مقاساتها عن 0.30 م[2] وهي تأخذ كمية من مواد البناء، استعملت في سد الفراغات الناتجة عن التقاء الأحجار.

– **التقنيات المتوسطة:** وهي التي تستعمل فيها الحجارة المتوسطة الحجم، حيث أنّ مقاساتها تتراوح ما بين 0.30م و0.75م[3].

– **التقنيات الكبيرة:** وهي التقنية التي تستعمل فيها الحجارة الكبيرة الحجم، حيث يبلغ طولها حوالي 0.70، ويتراوح ارتفاعها ما بين 0.30م و 0.80م[4]، واستعملت في الأساسات.

---

(1) -P. Planat, OP-cit, p392

(2)- JP. Adam, **La construction romaine**, **matériaux et techniques**, paris1984

(3) - IBID.

(4) - IBID.

إنّ تحديد تقنية البناء بهذه المساجد جد معقدة نظرا للتغيرات التي شوهت من ملامح البناء وتقنيته وعلى هذا الأساس أردنا أن نتكلم عن أهم التقنيات التي يحتمل أنّها استعملت بالمسجدين، وتتمثل هذه التقنيات فيما يلي:

2-1- تقنيات البناء بالدبش:

وتتميز هذه التقنية بأنواع مختلفة من حيث تركيب الدبش وطرق نحته، وهذا ما أدى إلى تعدد تقنيات بنائه[1]، وسنقوم بذكر التقنية المستعملة في هذه المساجد على ضوء ما شهدناه في المئذنة. (الشكل: 01).

أ- البناء بالدبش العادي:

يستعمل في هذه التقنية على حالته الطبيعية كما اخرج من المحجرة، لذا يجب أن يكون سمكه يساوي 0.10 م على الأقل أما ارتفاعه فيعادل 0.20 م على الأقل، وعند البناء توضع الحجارة بعد الملاط وتضغط لتتخلل بين الحجارة الأخرى حتى تستقر في مكانها، ثم تحكم بواسطة الطرق عليها، وبعدها تملأ الفراغات ثانية بالملاط والشظايا.

ب – البناء بالدبش المنتظم الموحد:

تختلف هذه التقنية عن سابقاتها من حيث ارتفاع سافاتها المتساوية، والتي تأخذ شكلا أفقيا وواضحا، ويكون لواجهتها شكل متناسق ومنتظم، أما الدبش فيها فيكون ذو زوايا قائمة ومنحوتة بشكل دقيق، كما تتطلب عملية البناء به دقة أكثر في التنفيذ.

ج – بناء بالدبش المنتظم غير موحد:

يكون ارتفاع السافات في هذه التقنية غير متساوي، كما يمكن أن يكون طول واجهة الدبش المستعمل مختلف، أما طريقة نحته فتكون خشنة نوعا ما، إذا ما قورنت

(1)- عمر الأمين، المرجع السابق، ص 223.

بسابقتها، حيث تكون زواياه حادة وغير قائمة، وهي ذات سافات أفقية واضحة، وتتم عملية البناء في التقنيات ذات السافات الأفقية الواضحة، بواسطة مد خيط أفقي، يحدد الاتجاه الأفقي الصحيح.

2-2 – تقنيات البناء بالحجارة المصقولة:

هي عبارة عن حجارة كبيرة الحجم، تبلغ مقاساتها عموما 2×0.6×0.3م وتكون على شكل مكعب مربع أو مستطيل ذو واجهات مسطحة، أمّا التقنيات المنفذة بها فهي لا تخص الحجارة المصقولة فحسب بل تشمل كذلك تقنيات الحجارة المصقولة المزدوجة، حيث غالبا ما تستعمل مع مواد أخرى، خاصة بالعمارة الإسلامية بالمغرب الإسلامي[1]. وتختلف وضعيتها في المنشآت، حيث يمكن أن تشكل مدماكا ركنيا وكذلك على شكل استطالات لتمتين الربط مع المواد الأخرى في البناء.

ويتم وضع هذه الحجارة الكبيرة والثقيلة في مكانها على الحائط بواسطة آلات ورفعات وحبال، وصف لنا ابن خلدون هذه الطريقة بقوله: "...وكذلك في جر الأثقال بالهندام، فإنّ الأجرام العظيمة إذا شيدت بالحجارة الكبيرة تعجز قدر الفعلة عن رفعها إلى مكانها من الحائط، في تحيل لذلك بمضاعفة الحبل بإدخاله في المعالق من أثقاب مقدرة على نسب هندسية تصير الثقل عند معاناة الرفع خفيفا فيتم المراد من ذلك بغير كلفة، وهذا إنما يتم بأصول هندسية معروفة متداولة بين البشر...[2]".

وترجع قلة استعمل الحجارة المصقولة في البناءات لأسباب اقتصادية، حيث يتطلب البناء بها أثمانا باهضة إذا ما قورنت بمواد الأخرى، لذلك نشاهد في العمارة الإسلامية استعمل الحجارة الغير مصقولة (غير مهذب) خاصة بالمغرب الإسلامي.

(1) - G. Marcais, L'Architecture musulman……, p198.

(2) – عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج2، ص 868، 867.

2-3- تقنيات البناء بالآجر:

وهو يستعمل بكثرة في المباني حيث أنه يظهر على شكل سافات منتظمة ومتساوية في طريقة بنائها، وذلك لأن العناصر أو المواد المستعملة لها عدة أشكال ومقاسات موحدة، حيث تلتحم هذه المواد فيما بينها بواسطة ملاط كثيف ذو نوعيات مختلفة حسب غاية البناء والوظيفة.

ويتم الحصول على أشكال وتقنيات مختلفة ومتعددة اذا بنيت بتراكيب متنوعة، غير أن المهم من ذلك هو التداخل الكامل، خاصة اذا بني حائط ذو سمك معتبر، أو يتخذ كدعامة أو ركنا يدعم به البناء كما أنه عازل حراري في نفس الوقت.

إنّه من الصعب حقا أن يعين الباحث عن ثقة ويقين الخصائص المعمارية التي تميز بها المسجد الجامع، وأي تأثيرات عرفها إلا ما يمكن تعليله في نظام رفع السقف والعقود، وذلك كون المسجد الجامع لا يفصح عن دقائق الصنعة، أو الزيادات التي عرفها.

وما يميز هذه الفترة التي شيد فيها المساجد هو استعمل البناة العناصر المعمارية ومواد البناء التي وجدوها في خرائب العمائر القديمة، وهذا منذ بناء جامع القيروان إلى غاية الفترة الزيانية (قاعدة مئذنة مسجد أغادير بتلمسان)، ومساجد مدينة تنس لم تخرج عن هذا النطاق حيث أعيد استعمل الأعمدة، والتيجان التي وفرت على البناة الوقت والجهد. (**الصورة: 1**) (**الشكل :3**).

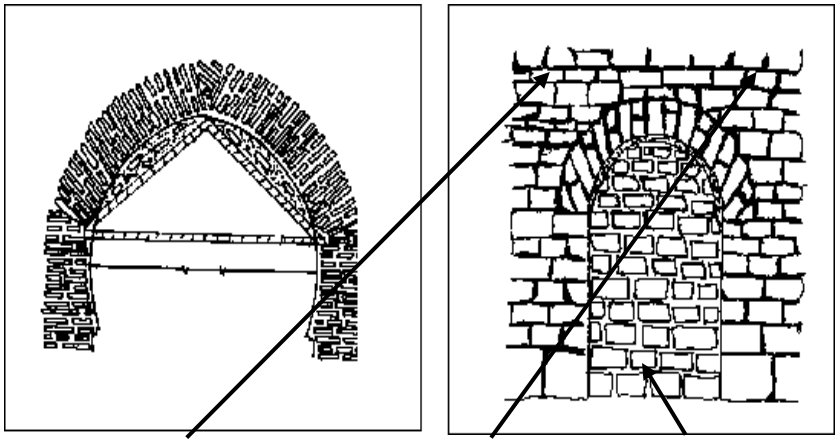

1 . حجارة وملاط 2 . حجارة دون ملاط 3 . تراب مبلل بقليل من الماء

الشكل رقم (3): تقنية بناء العقد

عن: إسماعيل بن نعمان، **مدينة تنس، دراسة تاريخية، وأثرية، وعمرانية (3–13هـ/ 9–19م)**، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006 م / 2007 م، ص499.

الصورة رقم (1): تقنية بناء العقد بمسجد سيدي بلعباس

الحرف والصناعات بالمغرب الأوسط خلال العهد المرابطي (451هـ-524هـ)

الأستاذ الدكتور عبد الغني حروز

طالبة دكتوراه لبنى غشام

قسم التاريخ جامعة مُحَمَّد بوضياف المسيلة

abdelghani.hrouz@univ-msila.dz

مخبر الدراسات التاريخية والسوسيولوجية

للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية

مقدمة

تعتبر الحرفة والصناعة من الأعمال الإنسانية العريقة التي ارتبط ظهورها بظهور الإنسان وحاجته للبحث عن الطرف الموجبة لتحصيل القوت والوسائل التي يمكن استغلالها في ذلك، وظلت الحرف تتطور وتتوسع بسبب تفكير الإنسان في اتخاذ المسكن ووضع اللباس وشكلت الحرف آلية اقتصادية في غاية الأهمية ساهمت في تقديم أشكال متنوعة من الخدمات للمجتمع [1].

ومن هنا يمكن إيجاد مفهوم واضح وشامل للحرفة في شقها اللغوي والاصطلاحي.

(1)- لخضر العربي: الحرف وتنظيمها في مدينة تلمسان الزيانية، مجلة الناصرية لدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد الرابع، جوان، الجزائر، 2013، ص311.

1/ ماهية الحرفة

أ) في مفهومها اللغوي:

الحرفة عند صاحب العباب الزاخر واللباب الفاخر هي: "أن تحيرف الرجل لعياله أي يكسب من ها هنا[1]، وفي لسان العرب: الطلب والاحتيال والاسم حرفة وقيل المحارف فتح الراء يسعى في الكسب والمحارف الشديدة في الكسب[2].

والحرفة بالكسر اسم من الاصراف والاكتساب، وحريف الرجل معاملة[3] ونفي بذلك المسكب والطعمة فحرف فلان من كذا وكذا أي مكسبه منه كأن تكون حرفته الصابغة فهو يحرفها وكل هذا من الحرف والاحتراف أي كسب.

الحرفة وسيلة للكسب من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها ويقال حرفته أي يفعل كذا وكذا، والحرفي هو الشخص الذي يكسب عيشه بالعمل في حرفة بصفة مستمرة ومنظمة.

والحرفة اسم من الاحتراف وهو الاكتساب أين كان[4].

وقد جاء في حديث عمر ﷺ "**لحرفة أحد هو أشد على من عليته**" وقوله ﷺ "**إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا فسقط من عيني**"[1].

---

(1)- الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني(ت650هـ/1252م): العباب الزخارف اللباب الفاخر، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، فصل حرف الحاء، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص92.

(2)- أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور الانصاري الافريقي (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب، ج3، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب محمد الصادق العبيدي، باب الحاء، ط3، إحياء التراث العربي للنشر والتوزيع، لبنان، 1999، ص129-130.

(3)- أبي الفتح ناصر الدين المطرزي (ت 610هـ/1213م)، المغرب في ترتيب المعرب تحقيق عبد الفتاح الحلو مراجعة مصطفى المجازي، ج23، مطبعة حكومة الكويت، 1986، ص133-134.

(4)- التلمساني أبو لحسن علي بن محمد الخزاعي، مختصر تخريج الدلالات السمعية مكتبة السندس، دب، ط1، 1990، ص364.

ب- الحرفة اصطلاحا:

تشغل الحرفة في مفهومها الاصطلاحي مكانة خاصة ومميزة المؤرخ والمفكر العربي وتوضيح ذلك مع العلامة بن خلدون "اعلم أن الصناعة في الملكة أمر علمي فكري بكونه عمليا وهو جسماني محسوس والأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمل ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته. "[2].

بمعنى أن الحرفة هي الصنعة وهذه الصنعة يمارسها الحرفي وتلازمه في حياته اليومية تكون جزء منها ويحمل صاحب الحرفة لقب حرفته.

ويضيف ابن خلدون "وعلى نسبة الأصل تكون الملكة" ويقصد بها هنا أن الحرفة لا تأتي للفرد الصانع حتى ينسجم عقله مع ممارسته ...الجسمية..... المتكررة للفعل مع الإتقان مصحوبة بالجد والمواصلة ومنها ينبثق الإبداع والتميز في الحرفة من قبل محترفها.

ومن هنا يتعدى العلامة بن خلدون إلى التعمق في التحقيق فقوله: "إن الصناع منها البسيط والمركب"[3] وهي لها أن الحرف تنقسم إلى قسمين حرف بسيطة وهي الحرف الضرورية لبناء المجتمع ونشوء الدول وفي فترة لاحقة يأتي الازدهار مع جوانبها الجمالية فتظهر الحرف الخدماتية التي تخفي الفنية الجمالية وتعكس نجاح الدولة ويبرز استقرارها ورخائها عبر ما يتم إبداعه من حرف وهذا العمل يتوجب الوقت لقوله ابن

(1)- سيد مُحَمَّد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاريخ العروس من جوهر القاموس، الجزء 23، تحقيق: عبد الفتاح الحلو مراجعة مصطفى مجازي، مطبعة حكومة الكويت، 1986م، ص133-134.

(2)- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة ط9. دار الكتب العلمية، لبنان، 2006،ص115.

(3)- ابن خلدون، المقدمة، ص315.

خلدون :ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجيال"[1] ومنها نخلص أن الحرفة اكتسابها أمر ضروري فيها يكون القيام الفعلي والحقيقي لأي دولة.

والحرفة هي الطعمة والصناعة التي يرتزق منها وهي جهة الكسب وكل ما اشتغل الإنسان به فإنه عند العرب يسمى صنعة وحرفة لأنه يحترف إليها ويقولون صنع فلان أي يعمل كذا وحرفة فلان أي يفعل كذا[2].

وقد حثنا الإسلام على العمل بشتى أنواعه على أن يكون باب رزق حلال وحرف وضاع بعرق الجبين وما شهد على ذلك آيات من القرآن الكريم التي تحث على الحرف والعمل بقوله تعالى: "فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض"[3].

2- الصناعة

أ- **لغة:** حرفة الصانع، وعمله الصّنعة قال الكفوي كل علم مارسه الرجل سواء كان استدلاليا أو غيره أو حتى صار كالحرفة له فإنه يسمى صناعة[4]

الصناعة بكسر الصاد مشددة وفتح النون ممدودة وهي حرفة الصناع —وهي في عرف العامة: العلم الحاصل بمزاولة العمل مما يتوقف حصوله على المزاولة والممارسة. أما في عرف الخاصة: فهي العلم المتعلق بكيفية العمل ويكون المقصود منه ذلك

(1)- نفسه، ص316.

(2)- حجاب غالب مصطفى الزغلول: الحرف والصناعات في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، كانون الثاني، 1994م، ص13.

(3)- سورة آل عمران، الآية 195.

(4)- حماد نزية، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، ط1، 1429هـ-2008م، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ص282.

العمل سواء حصل بمزاولة العمل، كالخياطة ونحوها أو مالا حاجة في حصوله إلى مزاولة الأعمال كعلم الفقه والمنطق والنحو والحكمة العملية ونحوها[1]

- الصناعة مكلة نفسانية يصدر عنها الأفعال إختيارية من غير رؤي وقفيل العمل المتعلق بكيفية العمل[2]
- الصناعة هي حرفة الصانع وعمله الصنعة[3] ورجل صنيع اليدين وصنع اليدين أي الصناعة حاذق بعمل اليدين[4] وامرأة صناع اليدين أي حاذقة ماهرة بعمل اليدين وامرأتان صناعان ونسوة صنعة والصناع: اللذين يصنعون بأيديهم [5].

ب– الصناعة اصطلاحا: هي عبارة عن كل عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته ويكون مما يعبر في ذات المصنوع مثل الحدادة والصباغة، وفي هذه أمثالها يسمى المصنوع باسم غير إسم مادته وعماد الصانع على يديه يستعملها في صنع الأشياء ويعتمد على ذكائه في تحويل الأشياء إلى أشياء أخرى وهي محور الإنتاج في الحياة الإقتصادية[6]

(1)- مُحَّد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية، ط1، دار الشروق، بيروت القاهرة، 1413-1993،ص234.

(2)- أحمد الشرباطي، معجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجبل، (د ن ت)، 1981، ص257.

(3)- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مرتب ترتيبات أبائيا وفق أوائل الحروف، (د،ط) راجعه مُحَّد ثامر، دار الحديث، القاهرة، 1430-2009، ص258.

(4)- عبد المعطي بن مُحَّد عبد المعطي سمسم: " المنظور الاجتماعية الاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفكاهي" مجلة كلية التربية الأساسية لعلوم التربية الإنسانية، العدد 26، جامعة بابل، نيسان، 2016، ص70.

(5)- إسماعيل بن حماد الجوهري، مصدر سابق، ص259.

(6)- عبد المعطي سمسم، مرجع سابق، ص70.

3- الفرق بين الحرفة والصناعة: يبدو أن مفهوم الحرف أهم ،اشمل من مفهوم الصناعة، فالحرفة هي الصناعة وجهة الكسب[1] ومنه فإن الحرفة هي عبارة كل وجه ينقلب فيه الإنسان وينصرف للكسب، وتشمل التجارة والزراعة والسمسرة الدلال، الخياطة والصباغة والدباغة والوراقة والحدادة...الخ أما الصناعة فهي عملية تحويل المواد الأولية إلى مواد أخرى أكثر فائدة منها وهذا يتطلب استغلال ثروات البلاد الطبيعية من حاصلات زراعة ومعادن وأخشاب وغيرها وتسخريها لخدمة الصناعة كاستغلال اقطن والحرير في صناعة المنسوجات واستغلال في صناعة الحدادة والصباغة وغيرها من هذه الصناعات التحويلية ويمكن أن نطلق عليها إسم الحرفة الصناعية وبهذا المفهوم ندخل في مفهوم الحرفة[2]

4- المهن والحرف الرئيسية قبل العهد المرابطي:

4-1- العهد الزيري:

إن السياس الاقتصادية التي اعتمدها الزيريون تدل على ازدهار الأوضاع في عهدهم من صناعة وتجارة وكثرة الأموال حتى كانوا يصنعون توابيت كبارهم من العود الهندي بمسامير الذهب[3]

وقد تضافرت هذه العوامل فساعدت على قيام الصناعة مزدهرة في بلاد المغرب الإسلامي لكنه ازدهار نسبي إذا ما قورنت بغيرها من المراكز الصناعية الشهيرة في

(1)- محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية، مرجع سابق، ص169.

(2)- عبد المعطي سمسم، مرجع سابق، ص71.

(3)- محمد مرمول صالح ، السياسات الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ص 174-175.

المشرق الإسلامي فإن كانت تنقصها الأرقام للدلالة على هذا الازدهار وكانت هناك عوامل أخرى تقف حجر عثر في عجلة الصناعة[1]

4-2- الدولة الحمادية:

عرف المغرب الأوسط ازدهارا للحياة الاقتصادية عامة والصناعية على وجه خاص خاصة في الفترة الحمادية الممتدة من سنة (408-547هـ/1018-1152م) وذلك باهتمامها، منذ التأسيس بالنشاط الحرفي، وقد ازدهرت بالكثير من المدن والأمصار خاصة العاصمتين القلعة وبجاية نظرا للإمكانيات المعتبرة التي توفرت عليها الرقعة الجغرافية الواسعة للمملكة، فتعددت بذلك الصنائع وترقت الحرف والصنائع وتميزت من موارد صلبة وأخرى لينة وموارد نباتية وأخرى حيوانية.

أ. الأخشاب[2]:

تمثل الركيزة التي تستند إليها الصناعة البحرية إذ يتم تجفيف اللين منها وتحويله أثناء المراكب البحرية ذات الألواح المشرعة، وكان يستعمل أيضا لأدوات الطبخ والنسيج والبنايات وتأثيث المنازل ويرجع ذلك إلى توفير المملكة على مساحات واسعة من الغابات المتنوعة والأشجار[3].

---

(1)- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الإسلامي خلال القرنين الثالث والرابع هجريين التاسع والعاشر ميلادي، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر، ص85.

(2)- مادة الخشب باللاتينية boscus وهي عبارة عن مادة صلبة ليفية تتكون عموما من الساق والجذع والفرع والخشب ما غلظ من العيدان والجمع " خشب" ونفيد ذكرا أن الأخشاب التي تنمو سريعا تكون أخشابها أكثر صلابة إلا أنها تعمر طويلا وميزة الخشب هو توفره بكثرة وحتى بأنواع مختلفة أنظر: boyer (p).procurent politique écommomiques sociologique,n29 ,1953,p2.

(3)- إسماعيل العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر، في عصر بني حماد، مجلة الأصالة، ع19، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1977، ص344.

توفرت المعادن على أنواعها في المملكة خاصة مدينة بوقة ومدينة أية[1]، ومدينة أريس، ومدينة سبتة[2]، مدينة بجاية[3]، ووجد معدن الرصاص في مجانة[4] وغيرها من المعادن.

ب. الموارد النباتية:

لم تقتصر مواد الحرفيين الحماديين على الحديد أو الصوف وحتى الذهب بل تعدتها إلى موارد أخرى القطن والكتان والحرير إذ لهم دور كبير في قيام مختلف الحرف لانتمائهم إلى عائلة النباتات الصناعية وندرجهم في فرع حرفة النسيج وقد يدمجون ببعضهم البعض أثناء عملية النسيج كنسيج الصوف مع الحرير[5] ومن مميزاتهم الوفرة وتعدد الصناعات التي تعتمد عليهم.

نستنتج أن المغرب الإسلامي عاش عصورا كانت من أزهى وأرقى العصور في عهد الدولتين الزيرية والحمادية حيث ازدهرت وتنوعت الصناعات وعرفت رواجا داخليا وخارجيا.

---

(1)- بضم أوله وتشديد ثانيه والهاء، اسم مدينة بإفريقية وبين القيروان ثلاثة أيام... كثيرة الفواكه ونبات الزعفران. أنظر: بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي ديوان المطبوعات، ط2، ص102.

(2)- أبو عبد الله البكري (487هـ/1228م)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامية القاهرة، ص85-86.

(3)- بجاية: تقع شمال المغرب الأوسط وهي مدينة ساحلية عرفت ب saldae الناصرية نسبة لمؤسسها الناصر ابن عباس وهي قاعدة ملك بني حماد، قال فيها الحموي وهي مفتقرة إلى جميع البلاد لا يخصها من المنافع شيء" وهذا يعني أنها تتميز بكثرة ثرواتها الطبيعية وتنوعها، أنظر: ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات، ط2، ص102.

(4)- زكرياء بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص184.

(5)- الزهري، أبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر(ت أواسط القرن6هـ): كتاب الجغرافيا إعتنى وحقق: مُحَمَّد حاج صالح، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد الظاهرة، د ن ت، ص113.

5- أهم الصناعات الرئيسة خلال العهد المرابطي (451-524هـ)

قبل الحديث عن الصناعة في المغرب في عصر المرابطين فإن ذلك يستوجب العودة إلى العوامل المؤثرة في تفعيل حركة النشاط الصناعي وانتعاشها أو إفشالها والميل إلى الركود، ولإماطة اللثام عن النشاط الصناعي في المغرب يجدر بنا إلقاء نظرة ولو وجيزة عن مدى اهتمام سكان المغرب بالحرف والصنائع، ولعامل الوحدة السياسية، والاستقرار الأمني من تشجيع للصناع والإقبال على صناعتهم ولاسيما استفادت الصناع لخبرات بعضهم البعض خاصة وأن الدولة وفرت مجالا أمنا لذلك إضافة إلى عوامل أخرى مشجعة للصناعة كسياسة الدولة الجبائية ورغبة الأمراء المرابطين في الحصول على بعض الأسلحة باعتبارها دولة قائمة على المغازي والبحث فيما بعد عن مواد الترف وتنضم الصناعات في المغرب الإسلامي إلى قسمين الصناعات اليدوية الخفيفة والصناعات التحويلية الثقيلة.

5-1- الصناعات اليدوية الخفيفة

أ. الصناعة النسيجية:

تعد الصناعات النسيجية من بين أهم الصناعات التي أحرزت تقدما كبيرا في عصر المرابطين، وهذا لا يقتصر على المغرب الأوسط فحسب، بل ارتكزت الصناعة النسيجية في المغرب الأقصى أساسا على النسجة الصوفية ثم تليها الأنسجة القطنية وبعض أنسجة الكتان فقد اشتهرت سجلماسة بصناعة الثياب الصوفية التي وصل سعر الثوب منها أكثر من عشرين مثقالا وهذا أنظر لجودة الصوف التي كانت تصنع منه تلك الثياب[1].

ولممارسة حرفة النسيج والحصول على منتجات نسيجية لابد من توفر المواد الخام التي تتمثل في الصوف الذي نحصل عليه من الأغنام وشعر الماعز الذي نحصل

(1)- أبو عبيد الكبرى: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دط، دار الكتاب الإسلامية، د ت ن، ص147.، ص147.

عليه من الماعز، والوبر الذي نحصل عليه من الجمال، والقطن الذي نقوم بوراعته في الأرض[1].

ولقد أشار صاحب الأنيس المطرب إلى وجود هذه الصنعة بقوله: "ألبسة صوف خشنة"[2] وقوله "ومن الفرش."[3]، " كثيرة من ثياب الصوف الرقيقة"[4] .واشار أيضا ..... إلى الأمير يوسف تاشفين لباسه الصوف وكانت عادة المفارقة اتخاذ ثياب الصوف في فصل

الشتاء وثياب القطن والكتان في فصل الصيف[5] ولهذا يشير الزهري بمنطقة افريقية التي يجلب منها ثياب الصوف الغالية[6].

وإلى جانب صناعة النسيج صناعة الحرير حيث ارتبط إنتاج الحرير بزراعة شجرة التوت، وتربية دودة الحرير[7]، ونوه ابن حوقل بأهمية مدينة فاس التي يضع بها الحرير الكثير الغزير[8].

(1)- مرزوق بتة: الحرف والصناعات التقليدية النسيجية بمنطقة المسيلة، ط1، نواصري للطباعة والنشر، المسيلة، الجزائر، (2020م-1442هـ)، ص60.

(2)- ابن أبي زرع الفاسي، علي بن عبد الله بن ابي الزرع الفاسي (741هـ-1340م)، .الانيس المطرب. بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دط، المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص18.

(3)- نفسه: ص98.

(4)- نفسه: ص103.

(5)- نفسه: ص136.

(6)- ابن حوقل: ابي القاسم بن حوقل النصيبي (380-990م)، صورة الارض، دط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص72.

(7)-عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، 1403 هـ 1983م.

(8)- الزهري كتاب الجغرافيا تحقيق مُحَمَّد صلاح صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، دت، ص108

حيث ارتبطت صناعة النسيج وتسويقه بأزياء النساء ذوات المستوى المعيشي المرتفع[1].

ويضاف إلى جانب هذه الصناعة حرفة الغزل، حيث انتصرت مهمة غزل الكتان والقطن والصوف بين النساء اللواتي كانت لهن خبرة في إعمال الغزل حيث تضمن بشرائه نوع من الرماد الجيد ليبيض الغزل وكانت لعدم جودة هذا الرماد أثر في رداءة الغزل فكان الكتاب يباع بالقنطارى أو بالرطل وعرفت منه أنواع كالكتان المغزول الأسمر، والكتان الأبيض الذي يقوم الرجال بشرائه من الحوانيت وقد مثلت حرفة الغزل دخلا لمحترف فيها حيث كانوا يعيشون منها يتقوتون من فضلها[2].

نستخلص من خلال ما سبق ذكره أن الصناعة النسيجية كانت مزدهرة في بلاد المغرب الإسلامي وذلك لحاجة السكان لها من لباس وثياب وأغطية وستائر ولقد كانت الملابس تنسج من الصوف أو القطن وحتى الحرير رغم غلاء أثمان هذا النوع من القماش.

ب. الصناعة الفخارية والخزفية:

- **الصناعة الفخارية:**

لقد أبدع سكان المغرب في صنع الأدوات الفخارية التي يحتاجونها في الاستعمال المنزلي[3] مثل القلال وعرف محترف صناعتها بالقلال وصنعوا الجرة والزيرة والأباريق والكينران، والكؤوس والأقداح والأطباق وصنوا الكوانين لمواجهة برد الشتاء،

(1)- جمال أحمد طه: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، مرجع سابق، ص170.

(2)- نفسه: ص ص 172-173.

(3)- عادل بديرة: بادية المغرب الاوسط في العصر الوسيط (دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرها على السلوك والذهنيات) من ق 04 هـ- 7هـ/10م-13م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تحت إشراف مفتاح خلفات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 1438هـ-1439هـ/2017-2018م، ص76.

وصنعوا القنديل وربما هو المصباح الذي ذكره الشماخي وصنعوا القدور كانت الحاجة أيضا لصنع الخوابي لخطط طعامهم وقد أشار الخشني إلى وجودها[1] ولأهمية هذه الصناعة حرص أصحاب الحبسة على مراقبتها، فيذكر الجرسيفي: "يجب أخذ الإذن من طرف أصحاب اشراب (الطين) المأخوذ لصنعه من طرف الصناع وعدم المبالغة في اختلاط المعادن بالصنع"[2].

وإلى جانب الأواني الفخارية كان الصناع ينتجون نوعا من المفصص (الفيسفساء) ونوع من الزليج المدهون بالألوان المختلفة ويفرشون به البيوت، ويزينون بالرخام منازلهم ويستغلونه في برك المياه ويزخرفون به القبور، كما يستخدمون القرميد في عمل السقوف[3].

وتتضح لنا من خلال ما سبق ذكره أن الصناعات الفخارية كان لها في بلاد المغرب الإسلامي في العصور الوسطى خاصة خلال العصر المرابطي، كثر أصحاب هذه الصناعات وكثرت الأواني الفخارين بجمع الأغراض سواء المنزلية لحفظ الطعام أو الأكل أو للتزيين أو حتى للبيع، فقد كان لها سوقا يسمى باسم أصحاب هذه الصنعة الفخارين.

- **الصناعة الخزفية:**

لم تذكر لنا المصادر الكثير عن هذه الصناعة فالإشارة خفيفة غير أن المعروف أن هذه الصناعة كانت موجودة، ويمكن اعتبار الخرف المعماري يصنع من القرميد والآجر الذي عثر عليها في بلاد المغرب الأوسط نموذجا لصناعة الحرف أما المقاييس فكانت كالتالي:

---

(1)- جودت عبد الكريم: مرجع سابق، ص118.

(2)- الجرسيفي عمر بن عثمان بن عباس: (عاش 6هـ-12م) ثلاث رسائل في الآداب والحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي لآثار الشرقية القاهرة، 1955م/ ص124.

(3)- عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي، المرجع السابق، ص245.

مقياس القرميد الكبير لصناعة الخزف 380مم طولا والقاعدة 178مم و110 مم والسمك 14 مم أما مقاييس القرميد الصغير فكانت 350مم، والقاعدة 165 مم والسمك 15مم[1].

واستعمل أيضا في الخزف في صناعة الأواني المنزلية، وهذا ما لاحظناه عند مبارك الميلي في قوله: فكانت تصنع بهذه المملكة.. وأواني الزخرف والطين والمقصود من المملكة المغرب الأوسط خلال العصور الوسطى[2] وتعتبر مقصورة محراب مسجد لجامع بتلمسان تحفة زخرفية رائعة الجمال تفوق زخارفها كل زخرفة مغربية[3] وقد أشار المقدسي عن مواد البناء في قوله: "مواد البناء الحجارة والآجر والخزف"[4].

يلاحظ أن هذه الصناعة كانت تستعمل في جميع المجالات في مواد البناء أو التزيين على المساجد والمدارس والمستشفيات وقصور السلاطين ومنازل الأثرياء وكانت تستعمل أيضا في الأواني المنزلية.

ت. الصناعة الخشبية:

عرفت بلاد المغرب الأوسط في عصر المرابطين انتشارا واسعا للصناعات الخشبية وذلك لوفرة المادة الخام[5] وما يميز صناعة الأخشاب فيها ابان الحقبة المرابطية هي كثرة الإنتاج وتنوعه، نظرا لتوسع مجالات استخدامه سواء كان ذلك لضرورة

(1)- جودت عبد الكريم: مرجع سابق، ص116-117.

(2)- مبارك بن مُحَمَّد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط، دار الغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، بيروت، لبنان، د ت ن، ج2، ص76.

(3)- مُحَمَّد حسين مُحَمَّدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، 1997، ص68.

(4)- المقدسي: مرجع سابق، ص224.

(5)- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص330.

عسكرية أو نهضة معمارية أو لأغراض أخرى[1] ولقد أشار إليه صاحب الانيس المطرب لأنواع الخشب المستعمل في هذه الصناعة (وخاصة خشب الأرز) حيث قال: "وكثرة خشب الأرز عندهم، وهو أطيب خشب الأرض"[2].

وقد كانت من مصنوعاتهم الخشبية الموائد والكراسي وصنعوا الأبواب وأقفالها والقباقيب ويبدوا أنها كانت تصنع للأثرياء من أخشاب مستوردة وصنعوا المغارف والملاعق والعود الذي يقطع عليه اللحم واللوح الذي يمد عليه الكعك وكانت تصنع من الخشب الصلب كالبلوط واللطم والزيتون والبقس والضاب فصنعوا المهاريس كما صنعوا الصحون والكؤوس الخشبية والأقفاص، وصنعوا السهام والأقواس من شجر الزان واستعملوا أيضا الخشب في صناعة المراكب والسفن[3].

وكانت تصنع أيضا التحف بقصد الملاعب لأعياد مثل الزرافات الخشبية وما شابهها وصنعت أيضا الخيول الخشبية الجواري في القصور[4] اضافة إلى ذلك ازدهار الصناعة الخشبية في المحاريث وعجلات العربات وعجلات أخرى كبيرة للطواحن أو لرفع الماء، وأيضا صناعة المكاييل الخشبية بكبل القمح والفلاة الأخرى[5].

ولقد عرفت الصناعة الخشبية في بلاد المغرب الإسلامي عدد من الصناع فكان منهم النشار والخشاب والأخير هو النجار[6] فيذكر الدرجيني في قوله: "ومن الصناع

(1)- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، دار دار صادرات، بيروت، ج2، ص52.

(2)- ابن أبي الزرع الفاسي: المصدر السابق، ص58.

(3)-جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص ص 116-117.

(4)- عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي، المرجع السابق، ص234.

(5)- جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص216 مدينة فاس في عهد المرابطين الموحدين.

(6)- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص117.

الثلاثة الخشاب هو الذي يحسن قطع الخشب والنشار يشقها وينشرها والثالث يركب والثالث يركب الألواح ويسمرها فيها ويصلح من الأدوات"[1].

ولقد ازدهرت الصناعة الخشبية في المغرب الأوسط لوفرة الخشب فيها فإن الإدريسي يذكر بخصوص بجاية "أن الخشب في أوديتها وجبالها كثير الوجود" وحاجة السكان لمثل هذه الصناعات سواء في الجانب العسكري الذي يتمثل في الصناعات الحربية أو الجانب المعماري والبنائي خاصة السقوف، ومنابر المساجد، وحتى الأدوات والأثاث المنزلي إضافة إلى الأدوات الزراعية أما عن الصناع فنجد الخشاب والنشار والنجار ولكل منه عمله الخاص به.

لقد كانت لهذه الصناعة أهمية كبيرة في المغرب الإسلامي من طرف أصحاب هذه الصنعة أو الدولة القائمة في ذلك الوقت.

ث. صناعة الطب:

يعد عصر المرابطين من أزهى عصور الطب في حضارة المغرب الإسلامي إذ برز عدد كبير من الانطباع الذين شاعت شهرتهم واختصوا بمهنة التدريس الطبي[2].

وكان هناك اختصاصيون المستشفيات سواء في الجبر أو في التمريض ومن مهرة أطباء المغرب الإسلامي نذكر ابي علا زهير[3] الذي كان ينسخ الأدوية لمن يستفتيه المرض، وابن رشد وابن طفيل[1].

---

(1)- الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد (ت670هـ): طبقات مشايخ العرب تح: ابراهيم طلائي، دط، مطبعة البحث، قسنطينة، د ت ن، ج2، ص398.

(2)- أحمد متفكر: الطب والأطباء بمراكش عبر العصور، ط1، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال مراكش، المغرب، ط1، 2016، ص9-10.

(3)- أبي العلا بن زهير: هو أبو العلا بن أبي مروان عبد الله بن مُحَمَّد بن مروان مشهور بالحذق والمعرفة وله علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب واطلاعه على حقائقها وكان له نوادر في مداوته المرض ومعرفة أحوالهم توفي ودفن في اشبيلية ينظر: ابن اصيغة موقف الدين أبي العباس أحمد بن القاسم

فقد تبوأ أبو العلا مكانة عظيمة في دولة المرابطين من خلال توليه الخواص وكتاب الأدوية المفردة وكتاب الإيضاح بشواهد الافتضاح وبعد وفاته أمر الأمير علي بن يوسف بجمع كتبه ونسخها ذلك في عام 526هـ ورث ابنه مروان علوم الطب من والده ونبغ في المجال ولم يكن في زمانه من يماثله أو ينافسه وكانت له حضوة لدى المرابطين ومن الأطباء الذين برعوا في عصر علي بن يوسف أبو عامر مُحَمَّد بن أحمد بن عامر البلوي، وله في الطب كتاب سماه الشافا، وأبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن سعيد السعدي وغيرهم[2].

لقد كانت بلاد المغرب تشتهر ببعض النباتات التي تستعمل في علاج بعض الأمراض[3] تساعد في صناعة الأدوية مثل: الفرغار والعشاري والزنم الذي يصلح لمعالجة الأمراض التناسلية والجنسية، وجب العروس المستخدم في علاج الصداع ووجع الأسنان وغيرها[4].

ومما يؤكد اهتمام دولة المرابطين بالطب وجود منصب يعرف برئيس الصناعة الطبية وهو منصب هام يقابل ما نطلق عليه اليوم اسم وزير الصحة إذا كان فيها يبدو المسؤول الأول أمام الأمير في صناعة الطب وما يتعلق بها من الأدوية والعقاقير.

بن خليفة بن يونس السعد الخزرجي (ت776هـ، 1374م)، عيون الانبياء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دط، دار المكتبة، الحياة، بيروت، د ت ن، ص517.

(1)- إبراهيم القادري بوتشيش :المغرب والاندلس في عصر المرابطين ،ذهنيات –المجتمع–الاولياء ،ط1،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان ،1993 ،ص101.

(2)- علي مُحَمَّد مُحَمَّد الصلابي: الجوهرة الثمينة بمعرفة دولة المرابطين، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، القاهرة، 1442هـ-2003م، ص225.

(3)- جودت عبد الكريم: مرجع سابق، ص113.

(4)- جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص113.

أحمد الصلابي: مرجع سابق، ص226.

لقد ازدهرت صناعة الطب في بلاد المغرب الإسلامي خاصة في صناعة الأدوية سواء كانت في الغذاء أو من نبات أو حتى من مصادر حيوانية وقد برز في هذا المجال أطباء اختصاصيين كانوا مهرة في إتقان هذه الصناعة سواء كانوا من الخاصة أو العامة فظهرت ببلاد المغرب لإسلامي مدارس طبية وقام أمراء المرابطين ببناء المستشفيات لعلاج جميع أنواع الأمراض ذلك العصر.

5-2- الصناعة التحويلية والثقيلة:

5-2-1- الصناعة الغذائية والصناعة الزراعية:

أ. الصناعة الغذائية:

من المعروف أن الإنسان لا يستطيع العيش من دون الغذاء، الذي يعتبر أساس العيش فلقد صنع الإنسان غذاءه بنفسه، وهذا ما نجده عند سكان بلاد المغرب الإسلامي الذين تفننوا في الصناعة الغذائية، وذلك راجع إلى توفر بلاد المغرب الإسلامي على الموارد الزراعية كالحبوب والفواكه والزيتون، وتوفره على ثروة حيوانية كبيرة (البقر، المواشي، الإبل، الدواجن، الأسماك، النحل) ومن الأغذية المصنعة في بلاد المغرب الإسلامي نذكر:

- **الطحن وصناعة الخبز:**

تتوفر المصادر على وجود الكثير من الإرحاء [1] خاصة بالطحن في المغرب الإسلامي حيث كانت توجد فئة الطحانين الذين يقومون بطحن القمح والشعير للأهالي، كما كانوا يقومون بالطحن لأصحاب الأفران أيضا[2].

(1)- الإرحاء كانت هذه الارحاء تبنى بالحجر وتعتمد على الطاقة الحركية للماء وهو ما يفسر وجودها على ضفاف الأنهار وذلك لأن خروج الماء بقوة تدفق عالية يمكن من إدارة عجلات الأرحية كما كانت هناك أنواع من الأرحية تحركها الدواليب ببطئ كبير، ينظر: المقديسي ، مصدر سابق، ص125

(2)- يحي بن عمر: (289هـ/901م) أحكام السوق، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب وفرحات الدشراوي، تونس، 1975، ص93.

كان سكان بلاد المغرب يتقدمون بأوعية مملوءة بالقمح والشعير حيث يقومون بالطحن في حضور أرباب الأوعية ويبدو أن الإرحاء قد شهدت ازدحاما عليها أيضا لدرجة كان الطحان فيها يخرج الناس على الرحى لزحامهم كان أصحاب الأرجاء يأخذون أجرا مقابل إتمام الطحن ويبدو أنه كان عهلينا لهم تحدده لنا المصادر[1].

أما الخبز فكان الحصول عليه على طريقتين الأول في المنازل والمرأة هي التي تتولى صناعته، والطريقة الثانية يصنع من طرف الرجال في الأفران، وهناك طريقة ثالثة وهي أن النساء يحضرن العجينة في البيت ثم يبعثن مع الصبيان للطهي[2].

ونجد أنه من طحن القمح والشعير إلى دقيق صنعوا به سكان المغرب غذاءهم حيث حضروا عصيدة الشعير والترید وذكر المقري أكلة يطلق عليها الكسكوسون تحضر من الدقيق "هذا الطعام يعتاده المغاربة ويشتهونة[3] وملاحظة أن هذا الطعام هو كسكس اليوم بلغتنا وهذا الكسكس الذي يخلط بالسمن والقديد والبصل ويقدم إلى الضيوف في المراسيم والاحتفالات[4].

(1)- جمال أحمد طه: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2008، ص.184

(2)- الونشريسي: مصدر سابق، ج8، ص322.

(3)- المقري: أحمد بن مُحَمَّد المقري التلمساني ت 1041هـ-1631م: روزضة الأسس العاطرة الأنفاس في ذكر ما لقيته من أعلام، الحضارتين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1403هـ 1983م، ج5، ص258.

(4)- عيمور سكينة، ريف المغرب الأوسط في القرنين (5-6هـ/11-12م) دراسة اقتصادية واجتماعية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف: إبراهيم بكير بحاز، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة2، 1434هـ-2013م، ص170.

5-2-2- الصناعة الزراعية:

ازدهرت بلاد المغرب الأوسط بحاصلاتها الزراعية المتنوعة والوفيرة وذلك راجع إلى نشاط الفلاحين ووجودهم فانتشرت البساتين والمزارع ويظهر ذلك من خلال إشارات الرحالة المسلمين، حتى أن أبي زرع يذكر أنه في سنة 380 هـ (كان الزرع لا يوجد من يشتريه لكثرته وكان الحراثون يتركونة... ولا يحصدونة) [1] وهذا يدل على وفرة الزرع في بلاد المغرب الإسلامي.

وكذلك فإن التطور العمراني وتزايد السكان في المدن وما يتبع هذا من انشغال للمجالات الاقتصادية الأخرى، قد أوجد مستهلكين جدد ولم يعد الفلاحون ينتجون للاستهلاك المحلي مثلما هو الشأن في المجتمعات القبلية، بل أصبحوا يتوسعون في الإنتاج لسد حاجيات المدن وأن انفتاح باب التصدير هذا إلى المدن قد أسهم في الازدهار[2].

ج. صناعة استخراج الزيوت:

تتعدد المحاصيل الزراعية التي كانت تستخلص منها الزيوت في المغرب الإسلامي لتشمل محاصيل الزيتون وثمر الأرغان والسمسم والكتان والجوز، غير أن استخراج الزيت من محصول الزيتون يأتي في صدارة باقي الثمار والحبوب، وكانت صناعة الزيت من الزيتون حسب ما ذكر ابن الحاج الاشبيلي تتم إما بواسطة العصر أو الطحن أو الغلي[3].

(1)- ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص63.

(2)- جودت عبد الكريم: مرجع سابق، ص26.

(3)- ابن حجاج الاشبيلي: المقنع في الفلاحة، ص54-55.

ونجد أحد المؤرخين يشير إلى استخراج الزيت من ثمر الفرقى وذلك بعد عصر قشره ، استعمل في طهي الطعام وإنارة السروج ليلا[1].

وكانت المعاصر في المغرب الإسلامي كالمطاحن تدور بالماء بدواليب الحمل، وأن نوع الزيت يدل على كيفية استخراجه منها، زيت الماء هو أفضل الزيوت، وزيد البد وهو متوسط والزيت المقلي وهو الأدنى ومن المرجح أنها كانت تخزن في جرار أو زيار وخوابي. [2]

وأشار عبد الواحد المراكشي (ت ق ن 7هـ – 13م) عن الزيتون المطبوخ وزيته يكون سعره أقل من معصور، وأشار إلى اختلاف جنس الزيتون وذكر أن ويت المغرب من أطيب الزيوت. [3]

وإلى جانب صناعة الزيت من عصر الزيتون، اشتهر سكان المغرب الإسلامي بصنعة أخر هي تلميح الزيتون، وكانت العملية تقوم على: شق كل حبة زيتون إلى نصفين ثم جعلها في وعاء من الخزف، وتنثر عليه شيء من الملح، ثم يترك فيه يذوب ذلك الملح فيه، ثم يحول إلى وعاء آخر[4] ويؤكل هذا الزيتون المملح مع الخبز كوجبة غذاء حتى ليوم كامل.

د. صناعة الخمور:

يذكر بن حوقل بخصوص العاملين في مرسى الخرز في صيد المرجان "أنهم يكثرون الأكل والشرب والخلاعة ولهم بها مكاسب وافرة ويبذون نبيذ العسل فيشربونه

(1)- سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والاندلس، ص16. ما يمكن ملاحظته عدم ذكر مصدر المعلومة.

(2)- جودت عبد الكريم: مرجع سابق، ص112.

(3)- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تح: حبيب مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، د م ن، 1997، ص288.

(4)- قطوس بن اسكوستيكة (عاش في القرن 3هـ، 9م): كتاب الزرع، تح: جواري الطرابلسي، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة قرطاج، تونس، 2010م، ص211.

من يومه ويسكرهم الأسكار العظيم ويعمل من الصدع ما لا يعمله نبيذ الذرة وغيره من الأشربة"[1].

ومن كلام بن حوقل نستنتج أن صناعة الخمور كانت منتشرة بأنواعها في بلاد المغرب الإسلامي والتي منها نذكر: الكرم، العنب، الذرة، الشعير، العسل.

لقد كان لظاهرة بيع الخمور المنتشرة في أسواق المغرب[2] من بين الأشياء التي عمل المرابطون في بداية أمرهم على محاربتها على أساس أنها مخالفة للشرع لاسيما وأن الشعار الذي قامت عليه دولة المرابطين هو الحكم بين خاصة الدولة والكثير من عامتها[3] وهذا ما يدل على وجود صناعة قائمة على إنتاج الخمر.

وبالعودة إلى كتب الفتاوى والنوازل لم نج أي إشارة يؤكد فيها الفقهاء موقفهم من هذه الصناعة وكل ما وجدناه يتعلق ببيع الكرم لمن يعصرونها خمر ومتوقف الفقهاء فيها لم يبلغ أبعد من الكراهية[4].

وكان الخمر يصنع حسب ما ذكره الّإخوة من العنب والتمر والشعير ويضيف ابن حوقل إليها الذرة، ويضيف إليها ابن الآبار التين وقال عريب بن سعيد أن الشراب كان يصنع في أفريل من الورود والبنفسج وفي ماي من التفاح والخشخاش وفي جويلية من التفاح والاجاص وفي أوت من الرمان والخشخاش[5].

(1)- ابن حوقل: صورة الأرض، ص77.

(2)- الإدريسي صفة المغرب ص195.

(3)- انظر عن ذلك مثلا: أبو بكر بن إبراهيم صهر علي بن يوسف وادمانه على شرب الخمر: ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، مج1، ص220.

(4)- ابن رشد: فتاوى ابن رشد، ص ص 1281-1282.

(5)- جودت عبد الركيم: مرجع سابق، ص113.

ج. تجفيف الفواكه:

قام سكان المغرب الإسلامي بتجفيف الفواكه فجفف العنب إلى الزبيب[1] وأشار البكري إلى تجفيف التين ومادام الناس قد جففوا التين، فالأرجح أنهم جففوا بعض الفواكه مثل المشمش وممن قام بهذه العملية "النباذون" وذلك ليواصلوا صنع النبيذ من غير موسم الفواكه. [2]

وإلى جانب التجفيف كانت الفواكه تستعمل في صنع المعاجين والربوب(الرب) مثل معجون ورب السفرجل وغيره فذكر أصحاب كتاب الاستبصار أن جيجل " منها تحمل الفواكه والعنب والرب إلى مدينة بجاية[3].

5-2-3- تصنيع المنتوجات الحيوانية:

جاء في لا كتاب الله جل شأنه: "﴿**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون**﴾[4]وبالفعل كانت لها منافع عديدة كانت جلودها تشعل في صناعة القرب وتوضع تحت المحطة وغير ذلك ويستفاد من حليها ولبنها ويصنعون منها الجبن ويستخرجون الزبدة وكان يستفاد من صوفها وشعرها ووبرها في صناعة الملابس والخيام والأعطية، واستعملت الحيوانات للعمل والنقل والركوب وفي الأعمال الزراعية وكانت تعتبر مالا فمنها المهر ومنها الدية[5].

إن انتشار الثروة الحيوانية في بلاد المغرب الإسلامي متمثلة في الأبقار والمواشي والإبل والماعز والدواجن والأسماك والنحل ساهمت في توفير مواد غذائية وأكل سكان

(1)- عيمور سكيبة: مرجع سابق، ص170

(2)- البكري: المغرب، مصدر سابق، ص80.

(3)- جودت عبد الكريم: مرجع سابق، ص111.

(4)- سورة الأنعام: الآية05.

(5)-جودت عبد الكريم: مرجع سابق، ص65.

المغرب الإسلامي اللحم سواء المطبوخة في الأكل أو الشواء على الجمر وقاموا بتجفيف اللحوم بما سمي القديد الذي يطهى في المرق[1].

وأشار الغبريني (ت714هـ-1246م) إلى ذلك بقوله "إن سكان المغرب أكلهم اللحم والسمك"[2].

5-2-4- صناعة البناء:

تعتبر مهنة البناء من أهم المهن إلى جانب الحراثة والحياكة وكانت تتم بتضافر وجهود عدة مهنيين، الحجار والبناء وصانع القرميد والطوب والمهندس[3] وقد تزايد هذه المهنة بسبب اتساع الحركة العمرانية وتطورها.

وهذا ما أشار إليه العلامة بن خلدون: "هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل سكن والمأوى لا بد أن في المدن، وقد يحتاج الصناعة أيضا عند تأسيس الملوك وأهل الدول والمدن العظيمة والهياكل المرتفعة[4]

حيث ازدهرت هذه الحرفة في العهد المرابطي فشهد المغرب الإسلامي توسعا كبيرا في البناء والعمران فكان البناؤون يقومون ببناء عدد كبير من المساجد والمدارس والقناطر والبيوت الخاصة وكذلك الدكاكين في الأسواق ونشطته بناء الحصون والأسوار الدفاعية ومن المنشآت العسكرية قصر تزركين الذي كان يقيم فيه ولي

(1)- ابن أبي الزرع الفاسي: مصدر سابق، ص172.

(2)- أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت714هـ-1246م): عنوان الدراية عرف العلماء من المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979، ص127.

(3)-اخوان الصفا: مصدر سابق، ص284.

(4)-ابن خلدون: المقدمة، مصر سابق، ص338

المرابطين التي كانت تنزل بها جيوشهم كما تعد إنشاء الحصون، حتى أن حصنا بني في ليلة واحدة فسمي ببرج ليلة[1].

5-25- الصناعات المعدنية والحربية:

أ. الصناعة المعدنية:

عرفت الصناعات المعدنية بالمغرب الإسلامي خلال عصر المرابطين تطور كبير وفرة المادة الخام وكثرة الطلب عليها وفي مقدمتها معدن الملح الواقع بمنطقة تاتنال البعيدة عن سجلماسة مسيرة عشرين يوما الذي يستخرج منها كغيره من المعادن والجواهر من عمق قامتين أو أقل من ذلك أو أقل من ذلك والعمل بهذا المعدن متصل ليلا نهارا كما يوجد معدن آخر يستخرج منه الملح في موطن بني جدالة وتحديدا بمنطقة تسمى أوليل على شاطئ البحر المحيط[2].

وإلى جانب استخراج معدن الملح هناك بعض الصناعات المعدنية الأخرى القائمة على معدني الحديد والنحاس، فاشتهرت منطقة أغمات بصناعة بعض الآلات الحديدية التي كانت تصدر إلى السودان[3].

بالإضافة إلى معدن نحتس الذي كان متوفر في بلاد المغرب الأوسط فذكر البكري أن على "هذه المواضيع كلها من جبال كتامة معادن النحاس" وقد استعملت هذه المادة في صناعة الكثير لا من الأدوات المنزلية فقد صنعوا المهارس وحسب قول

(1)-إبراهيم القادري بوتشيش: مخطوط نوازل بن الحاج مصدر جديد في مجال القروي بالمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين منشور ضمن كتاب البلادية المغربية عبر التاريخ، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الرباط 1989)، ص55.

(2)- حسين مؤنس: نصوص سياسة عن فترة انتقال من المرابطين إلى الموحدين 5250هـ-1440م-، ط1، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد الطاهر، 1420هـ-2000م، ص113.

(3)- جودت عبد الكريم: مرجع سابق، ص ص 123-124.

ابن البيطار، فكانت تصنع هذا النحاس وذكر الدباغ أن هاشما أبا عمر "كان عنده مهراس من نحاس من تركة أبيه" وبالاضافة إلى أن صناعة الطناجير.

يشير الإدريسي إلى أن بلاد المغرب الإسلامي بها النحاس الخالص الذي لا يعد له غيره من النحاس لمشارق الأرض ومغاربها وهو نحاس حلو، لونه البياض[1] وأشار علي حسن علس حسن إلى الصدف الثمين ومعدن الحديد ولتوف وهذه المعادن ظهر ما يعرف بالصناعة المعدنية التي بدأت خلال العهد المرابطي وازدهرت في العصر الموحدي خاصة أن المعادن المكتشفة ساعدت على مضاعفة الإنتاج.

حتى أصبحت بلاد المغرب الإسلامي مركز للصناعات المعدنية[2] لقد كان المرابطون يأخذون الذهب من السودان وهذا الأخير متوفر بكثرة ولتطور هذه الصناعة في العهد المرابطي ظهرت دور لسك العملة القائمة على معدني الذهب والفضة[3] وأشار صاحب الأنيس إلى أن الامير المرابط يوسف بن تاشفين في سنة 437هـ بدل السكة في جميع عملة وكتب عليها اسمه[4].

ولقد كان للذهب استعملات متعددة فبالإضافة إلى صناعة نقود ودنانير فقد كانت تصنع منه الحلي للنساء من أقراط وأسوار وعقود ودبابيس تزين الصدر وخواتم وخلاخيل وصنعوا منه بعض الأواني مثل الأباريق والأقداح والكواز[5].

وعلى أية حال فإن استعمل الذهب في الصناعة كان محدودا مقتصر على الأثرياء فقط في حين أن عامة الناس لا يقدرون على اقتنائه.

(1)- الإدريسي: مصدر سابق، ص 74-75.

(2)- حسن علي حسن: مرجع سابق، ص255.

(3)- عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي، مرجع سابق، ص251.

(4)- عيسى بن الب\يب: مرجع سابق، ص334.

(5)- بن أبي زرع الفاسي: مصدر سابق، ص143.

ب. الصناعة الحربية:

اهتم المرابطون بالحصون والقلاع ولذلك انتشرت في المدن والثغور وزاد اهتمامهم بالتحصينات العسكرية في زمن علي بن يوسف الذي أكثر من الثورات العدائية المناهضة لدولة المرابطين ومن أروع آثار المرابطين في المغرب الإسلامي أسوار مراكش حيث بدأ الأمير يوسف في بناء سور المدينة 520هـ وكمل بناء السور عام 522هـ[1].

لقد ازدهرت الصناعة الحربية في بلاد المغرب الإسلامي وأشار صاحب الأنيس إلى وجود الرماح والسهام والمجانيق والرداعات والدروع والنبال والسيوف فوصف الرماح بالذوابل والسيوف بالقواطع[2].

أشار بن خلدون إلى صناعة الأساطيل فقال: "عدد أسطول المرابطين في المغرب والأندلس بلغ مئة قطع، أما الأسطول الموحدي كان أكثر عدد من الرابطين[3] إذ أن عبد المؤمن لمال استعد إلى غزو الأندلس سنة 522هـ-1126 أنشأ مئتي قطعة وكان الجيش يدعم الأسطول الحربي يبلغ عدد سفنه سبعين قطعة[4].

لقد ازدهرت وتطورت الصناعات الحربية في بلاد المغرب الإسلامي، ومن أبرز المدن التي اشتهرت بالصناعات الحربية والتي كانت تصنع بها الأسلحة هي بجاية في المغرب الأوسط وفاس ومراكش في المغرب الأقصى، وكانت هذه الصناعة متنوعة الأسلحة المحتاج لها ذلك العصر، وكان أثر السيوف والمجانيق والرداعات...إلخ وقد كان العصر المرابطي والموحدين أكثر العصور انتشارا للأسلحة يعود ذلك إلى الحاجة

(1)- علي محمد الصلابي: مرجع سابق، ص208.

(2)- ابن ابي زرع الفاسي: مرجع سابق، ص233.

(3)- ابن خلدون: العبر، مصدر سابق، ج12، ص457.

(4)- عز الدين أحمد موسى: الموحدين في المغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411هـ، 1991م، ص235.

ماسة لهذه الأسلحة من جهة أخرى كثرة الصناع في ذلك العصر وتوفر المغرب الإسلامي على المعادن بجميع أنواعها.

5-2-6- صناعة الورق

كانت صناعة الورق في المغرب الإسلامي من الكتان والقطن [1] وصناعة الورق على حد قول العلامة ابن خلدون -من توابع العمران واتساع نطاق الدولة حيث التآليف العلمية والدواوين[2]. وقد حرص الناس على تناقلها في الآفاق ونستنتج من خلال كلام ابن خلدون أنه كلما تطور وتقدم العمران قويت الدولة وازدهرت صناعة الورق وازدادت الحاجة إليه وما يدل على كثرة صناعة الورق في بلاد المغرب الإسلامي نجد الكثير من الإشارات ويشير التنكي على صناعة الورق والكاغط المطوي [3]

وأشار المقري في قوله " وحكى أن بعض المغاربة كتب إلى الملك الكامل ابن العادل بن أيوب رقعة في ورقة بيضاء، وإن قرأت في ضوء السراج كانت فضية وإن قرأت في الظل كانت حبرا أسود" [4]

وهذا ما يدل على وجود الورق في المغرب الإسلامي واتقانهم لصناعة الورق الكاغط وتميزها عن الأماكن الأخرى في الجودة والجمال.

نستنتج أن بلاد المغرب الإسلامي ازدهرت بها الصناعات النسيجية والصناعات الغذائية وحتى صناعة البناء والطب ونجد الصناعات المعدنية وصناعة الآلات الحربية إضافة إلى ذلك صناعة الورق والخشب ويعد تطور هذه الصناعات من

---

(1)- عز الدين موسى: النشاط الاقتصاد ، مرجع سابق، ص223.

(2)- إبن خلدون: المقدمة: مصدر سابق، ص335.

(3)- أحمد بابا التنبكتي: (ت963هـ-1036م)، نيل الإبتهاج، تح: حسن حسني عبد الوهاب، دط، دار العربية للكتاب، ليبيا، 1981، ص614.

(4)- المقري: مصدر سابق، ج4، ص ص 226-227.

إلى المادة الخام في بلاد المغرب الإسلامي وبذلك من تنوع المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية وتوفر بلاد المغرب على أنواع المعادن منها الحديد والذهب والفضة وتوفرها على أنواع الخشب والتي منها الأرز وازدهار الكتابة والقراء وتطور صناعة الورق.

حيث أن أهل المغرب الأوسط لم يغفلوا على صناعة البناء التي تمثلت في القرميد والجبس... الخ ولم يهملوا الجانب الطبي الذي كان بحاجة إليه في أيام المرض والأوبئة فتطور وتنوع الأدوية بفضل مجهودات الأطباء

كانت لبلاد المغرب الإسلامي نشاطا صنائعي وعرف رواجا وازدهارا في المغرب الأوسط في العهد المرابطي حيث شمل جميع الحرف والصناعات.

خاتمة

يتضح لنا من خلال الدراسة الدور الذي لعبته الحرف والصناعات في بلاد المغرب الإسلامي وهذا يدل على درجة تطور ونمو مجتمع المغرب الإسلامي خاصة من خلال هذه الحرف التي زاولها.

حيث شهدت بلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة تنوعا حرفيا حيث نجد الفرانين والجزارين والقصابين من الحرف ذات أهمية وذلك لحاجة الإنسان إلى الغذاء إنه أساس الحياة ومن أهم الحرف التي يحتاج المجتمع في حياته اليومية حرفة الحياكة والنسيج وترتبط بتوفر المادة الخام من أصل حيواني بالصوف والجلود أو أصل نباتي كالكتان والقطن، ولها ارتباط وثيق بحرف أخرى، كالقزازة والصباغة لقد كان هذه الحرف ذات أهمية لا تقل عن أهمية والدباغة وهذه الأخيرة من أصعب الحرف أنها تحتاج إلى جهد ومهارة وذلك من خلال دبغ الجلود التي كانت تقام خارج المدينة وذلك لتجنب الروائح الكريهة.

وهناك حرف أخرى والتي منها البناء والهندسة ولأهمية هذه الحرفة كان يحسب لها حساب في بلاد المغرب الإسلامي وذلك من خلال براعتهم واختراعهم فهي تعبر على التوسع العمراني وتقدمه وتطوره، وإلى جانبها نجد الأطباء فكانوا مهرة في عملهم وكانوا خدام للسلاطين والأمراء، كما انتشرت حرفة أخرى هي العطارة وذلك لاهتمام سكان بلاد المغرب بالتزين والنظافة.

وانتشرت حرفة أخرى حيث نجد الحداد وعمل الفخار والتجار والفلاحة، فهي تعتبر من الحرف الضرورية البسطة لكسب القوت .

لقد ازدهرت في بلاد المغرب الإسلامي خلال العهد المرابطي جملة من الصناعات التي كان لها ارتباط وثيق لمواد الخام مثل الثروة الحيوانية، وتنوع المحاصيل الزراعية وتوفر المغرب الإسلامي على أنواع المعادن مثل الحديد والنحاس الذهب، الفضة وتوفره على أنواع المعادن وكانت هذه الصناعة مقسمة إلى قسمين وبفضل

المواد الخام ظهرت الصناعة اليدوية الخفيفة ومنها الصناعات النسيجية والفخارية والخزفية والصنعة الخشبية وصناعة الطين على غرار ظهور الصناعات التحويلية الثقيلة منها: الصناعة الغذائية والزراعية وصناعة البناء والصناعة المعدنية والحربية وظهور صناعة الورقات والكاغط لاهتمام الأمراء بذلك.

إن ازدهار العديد من الحرف في بلاد المغرب الإسلامي خلال العهد المرابطي هي أهم ما يدل على مدى درجة تطور ونمو المجتمع من خلال الحرف التي زاولوها وظهرت الأسواق حيث كان يطلق عليها باسم الحرفة أو الصنعة مثل سوق الدباغين...إلخ، حيث كانت لهذه الحرف ضوابط وعدة شروط كانت تفرض على أصحاب الحرفة عند إنشاء الحوانيت الخاصة بهذه الحرفة ومن الشروط الأولى لإنشائها أنها لا تضر بالساكنة، وكانت حوانيت الحرفيين التي يزاولون فيها حرفهم المختلفة تقام إما في داخل أسوار المدينة أو بخارجها.

وكان يعين القاضي أو المحتسب أمينا للحرفة ويكون مسؤول عنهم ويحل مشاكلهم التي كانت تنشأ بينهم.

أما عن الصناعة في لا تختلف أهميتها عن الحرف فهما متداخلان، وكان لهما انتشار كبير في عهد المرابطي دون إبعاد مجالات الحياة الأخرى، الدينية والثقافية والسياسية والفكرية.

وفي الأخير نقول أن موضوع الحرف والصناعات عامة يمتاز بالتشويق والاتساع وهو جدير بالدراسة سواء من الناحية المعرفية أو الناحية التاريخية وذلك نظرا لتنوعه وأهميته في جميع النواحي.

مستدرك
عن
الجزء الأول

العلوم المساعدة للتاريخ ودورها في الدراسات التاريخية الإسلامية.

الدكتور طارق بن زاوي.

أستاذ محاضر أ

جامعة مُحَّد بوضياف المسيلة

tarek.benzaoui@univ-msila.dz

مقدمة

إنّ المقبل على دراسة التاريخ يجب أن تكون بضاعته مقبولة على أقل تقدير في مختلف مجالات العلوم والتخصصات الإنسانية والأدبية ، فالباحث في التاريخ مجبر أن يكثر من القراءات المتفرقة وأن تتشعّب اهتماماته، فلا يحصر نفسه في زاوية معينة تجعله ضيّق الأفق قليل المعرفة قاصرا عن إدراك طبيعة الحوادث التاريخية وفهم كنهها، فيكون حظه من التاريخ كحظ كثير من القصاص الذين عرفتهم الأمة الإسلامية في قرونها الأولى والذين كانوا يجمعون الناس حولهم و يقصون عليهم قصصهم وأخبارهم التي لا يعلم مصدرها غالبا، فيتلقفها العوام وتختلط حينها الحقائق بالأكاذيب .

إذا فالتخصص في التاريخ لا سيما الإسلامي منه يعني الإلمام ولو بشكل عام بعلوم كثيرة تدفع بالمتخصص إلى التحكم فيما هو مقبل عليه من دراسة وبحث وإلى البروز والنبوغ، وبالعمل الجاد والمتواصل تحصل له ملكة علمية تؤهله لتحقيق المسائل التاريخية الشائكة وبسط القول فيها، ومن تمّ الاقتراب من الوصول إلى الحقيقة التاريخية، وهذا ما تهدف إليه الدراسات الجادة بصفة عامة.

وبناء على ما تقدّم حاولت من خلال هذه الأسطر الموسومة بـ: "**العلوم المساعدة للتاريخ ودورها في الدراسات التاريخية الإسلامية** "، أن نجيب على إشكالية أساسية مهمة وهي إلى أي مدى يمكن أن ينعكس علم من العلوم المساعدة

الكثيرة على نوعية البحوث التاريخية لا سيما ما تعلق منها بالتاريخ الإسلامي، والوصول بها إلى مستوى عالٍ يفتح لكاتبه أبواب التألق والإبداع في سماء الكتابة التاريخية الأكاديمية الرصينة، وينتهي بها إلى كشف أسرار الكثير من الحوادث التاريخية الغامضة؟

أولا: اللغة العربية وغيرها.

بحكم انتمائنا للأمة العربية ولبلد عربي يعتمد اللغة العربية كلغة رسمية يتوجب على الباحثين جميعهم التحكم في لغتهم الأم تحكما تاما، فلا يتصور باحثا تاريخيا عربيا لا يتحكم في قواعد اللغة الأساسية، فالتحكم في اللغة العربية أمر لا مناص منه لكل شخص سلك طريق العلم بغض النظر عن تخصصاته العلمية، فهو أمر يدخل في تكوين شخصيته، ويبرز مدى تعلقه بأصوله ووطنه وتاريخه.

ولا يكفي لمن يرغب في التخصص أو الانشغال بموضوع معيّن أن يقتصر على اللغة الأصلية الخاصة بذلك الموضوع، بل عليه أن يكون ملما بفقه اللغة " **Fhilolohy** "، والذي يعد أيضا علما مساعدا ضروريا لدراسة التاريخ، لأنّ اللغة تتطور وتتغير معانيها ومعاني بعض مفرداتها من عصر إلى آخر، فلا بد للمؤرخ إذا أن يفهم النصوص التاريخية الخاصة بالعصر الذي يدرسه بدقة تامة، ويستطيع الباحث في هذا المجال أن يعتمد على المعاجم اللغوية الموثوق بها[1]، وهي كثيرة ومتوفرة، ولعل من أشملها وأهمها لسان العرب لابن منظور مثلا.

وإذا أراد الباحث دارسة التاريخ القديم والقيام بأبحاث أصلية تعتمد الأصول الأولية في هذا الميدان وجب عليه أن يدرس كيفية قراءة النقوش القديمة، وهذا ما يسمى بعلم قراءة الخطوط القديمة "**Palcography** "، وهو أيضا من العلوم المساعدة المهمة للتاريخ لاسيما دراسة الحضارات القديمة الكبرى، مثل قراءة الخط

---

[1] د/عبد الواحد ذو النون طه، **أصول البحث التاريخي**، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م، ص 44.

المسماري الخاص بحضارة وادي الرافدين، والخط الهيروغليفي الخاص بحضارة وادي النيل، والخط المسند الخاص بكتابات الدول العربية الجنوبية في شبه الجزيرة العربية، والخطوط اليونانية والرومانية القديمة[1].

وقد يجد الباحث في التاريخ الإسلامي نفسه مضطرا إلى الرجوع إلى بعض المخطوطات[2] المحفوظة في أماكن متفرقة والتي لم تعرف طريقها للنشر بعد، فمِن به أن يحسن التعامل مع هذا النوع من المصادر، ولعل تمكنه من إتقان قراءة المخطوط الذي يكون غالبا مكتوبا بخط عربي قديم يختلف باختلاف المنطقة التي نسخ فيها يفتح له المجال واسعا للاستفادة منه بشكل جيد.

ثانيا: العلوم النقلية.

تعتبر العلوم النقلية أو العلوم الشرعية مهمة جدا في الدراسات التاريخية الإسلامية لاسيما ما تعلق منها بالسيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم وتاريخ المذاهب والفرق والملل والنحل، ولعل علوم الحديث أكثر العلوم الشرعية ارتباطا بالدراسات التاريخية.

وعلم الحديث وضع المنهجية التي سلكها العلماء الأولون لإثبات الحديث وتنقيته من الدخيل بما وضعوا من موازين منضبطة وما سلكوا من سبل تجمع بين المنهج السليم والأمانة العلمية الواضحة[3].

---

(1) نفسه، ص ص 44-45 .

(2) المخطوط: هو كل كتاب قديم كتبه المؤلف بخط يده أو كتب بخط أحد تلاميذه و لم يطبع (د/ مُحَمَّد قاسم الشوم، **منهجية البحث وعلم المكتبات و تحقيق المخطوط**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2007م، ص 181).

(3) د/مُحَمَّد علي الغامدي، **علم الحديث وعلاقته بعلم التاريخ**، مجلة الجامعة الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، مجلد24، 2016م، ص 115.

ويعد علم السير ومعرفة الرجال وتاريخهم من أهم علوم الحديث التي لا يستغني عنها طلاب الحديث فضلا عن أئمته و علمائه، وذلك لكونه تُعرف به أحوال الرواة و منزلتهم، و قد أولى علماء الحديث في القديم والحديث علم التاريخ عنايتهم التامة، فتفننوا في التصنيف فيه، و إنّه من نافلة القول أن نذكر بأنّ من أشد العلاقات بين العلوم توطدا العلاقة بين علم التاريخ وعلم الحديث، حيث أنّ الذي يبحث في علوم الحديث (من جرح و تعديل و طبقات و غيرها) يحتاج إلى التاريخ بشكل ملّح جدا لكي يضبط الكثير من الأشياء المتعلقة بتاريخ الرواة وحياتهم، كما أنّ علم التاريخ يستفيد من علم الحديث في تصحيح الآثار التي ترد في كتب التاريخ، كما أنّ مصطلح الحديث كان له أثره في منهج نقد الرواية في علم التاريخ، ويعدّ علماء الحديث أول من نظّم نقد الروايات التاريخية[1].

ويعتبر الإمام البخاري (ت 256 هـ/869م) أمير المؤمنين في الحديث صاحب أهم مصدر في الحديث عند أهل السنة و الجماعة من المحدّثين السابقين الذين عنوا بالكتابة التاريخية الخادمة لعلم الحديث، وكتابه التاريخ الكبير من أهم الكتب التي تُعنى بالجرح والتعديل وتاريخ الرجال، وأما الإمام الحافظ الذهبي (ت 748 هـ/1374م) فيصنف في مرتبة عالية ضمن كوكبة المحدثين الذين عنوا بالتاريخ، وكتبه تملأ رفوف مكتباتنا في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه، والذهبي في كتبه مثال للمؤرخ الناقد، فلم يكن جمعه للأقوال والأخبار لتكثير الأوراق و تسويد الصحائف، وإنما كان تصنيفه وجمعه جمع الناقد الجهبذ الذي يسبر الروايات ويمحص الأخبار ويبيّن الراجح من المرجوح[2]، ولا يبتعد عنه من حيث جودة الكتابة التاريخية رواية و

(1) نفسه، ص ص 117-118.

(2) د/مُحَمَّد عيساوي، **النقد التاريخي عند علماء المشرق الإسلامي خلال القرن 8هـ/14م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة علوم، إشراف: أ.د خالد كبير علال، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2014-2015م، ص 198.

دراية قرينه الإمام ابن كثير (ت 774 هـ/1372م)، وكتابه القيّم البداية والنهاية من أهم المصادر في دراسة تاريخ الإسلام لاسيما في المشرق الإسلامي.

كما أنّ الإلمام بمختلف العلوم الشرعية الأخرى وعلى رأسها العقيدة ومعرفة أصول الفرق الكلامية والفقه وأصوله وغيرها تدفع بالباحث إلى توجيه اهتماماته لدراسة المواضيع التاريخية التي لها علاقة مباشرة بهذه العلوم، فيقبل عليها من غير إدبار ويقدم من غير إحجام، فيحيط بموضوعه ويدرك كنهه ويفك أسراره ويكشف غموضه، ومن تمّ يرتقي بكتاباته وأبحاثه إلى مستوى راقٍ يؤهله لأخذ مكانته ضمن المؤرخين المشهود لهم بالكفاءة العلمية والروح النقدية.

ويوضح لنا أحد الباحثين المحققين الحاجة الماسة للمؤرخ المتصدي لكتابة التاريخ الإسلامي للعلوم الشرعية بقوله: " إنّ ربط التاريخ الإسلامي بمختلف العلوم الشرعية أمر لا بد منه، لأنّه تاريخ عقيدة وشريعة يختلف عن تاريخ بقية الأمم، وإنّ أي مسألة تاريخية قد ترتبط بمسألة عقدية أو شرعية، وقد تجد لتلك المسألة أصلا في العلوم الشرعية الأخرى كعلم العقائد والتوحيد والفقه وأصوله "[1].

ولا يفوتنا أن نذكر بما جنته المدرسة الإستشراقية على التاريخ الإسلامي من جرائم في شكل افتراءات وأباطيل حاولت تسويقها في سوق النخاسة التاريخي البعيد عن الإلتزام بالمعايير العلمية والموضوعية ، وقد جمعوا شتات هذه الأباطيل من مصادرنا المتنوعة ولم يعملوا فيها ما دعوا إليه هم قبل غيرهم من ضرورة التقيد بالمناهج العلمية النقدية الحديثة والتحلي بالموضوعية التامة، وما جاءت به كتاباتهم في أغلبها لا تفاجئ الباحث المسلم المدرك لحقيقة عمل هؤلاء، فكثيرون منهم متشبعون بروح العداء للإسلام الحنيف، و أعمالهم لا تخرج عن إطارها الذي يعلمه الآن العام والخاص وهو إطار الصراع الحضاري والديني بين الشرق المسلم والغرب النصراني الممتد عبر تاريخنا الإسلامي منذ بداية الرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى

[1] نفسه، ص 165.

التسليم إلى يومنا الحالي، و الأمثلة على تجني هؤلاء المستشرقين على ديننا وتاريخنا كثيرة جدا وخاصة ما ارتبط بالسيرة النبوية العطرة وتاريخ الصحابة الكرام، ولم يعدم المسلمون ردودا على هؤلاء بينوا فيها عوراتهم وفضحوا من خلالها كذبهم وقذفوهم بسهام الحق من أدلة عقلية ونقلية فأصابوهم في مقتل، ومن الردود والمؤلفات العلمية الممتعة والمفيدة في هذا الباب كتاب المحقق شوقي أبو خليل الموسوم بـ: " الإسلام في قفص الإتهام "، فقد أحسن مؤلفه في وضع فصوله وأجاد في بيان شبه المستشرقين، وأفضل من هذا وذاك ردوده على دعاوى الحاقدين بأسلوب بسيط وبأدلة قوية، والكتب في هذا الباب كثيرة تدل على أنّ المسلمين قديما وحديثا دافعوا عن دينهم وعقيدتهم بالحجة العلمية الدامغة.

وما يؤسف له حقا أنّ بعض المسلمين ممّن تتلمذ على يد هؤلاء المستشرقين تبنى أطروحاتهم وأفكارهم وراح ينشرها ويدافع عنها، فنشطوا لأجلها وبذلوا في سبيل ذلك أعمارهم وسوّدوا صحائفهم مرتدين لباس البحث العلمي داعين للتجديد والتنوير، فلبّسوا على كثير من المسلمين عامتهم وخاصتهم ممّن لم يتحصّن بالعلوم الشرعية النقلية، فكانت النتيجة تحقيق ما رامه كبراء المدرسة الإستشراقية الغربية من انسلاخ حضاري وضياع فكري وتيه علمي، وآخر دركات هذا المستنقع الآسن من الأفكار الهدامة الدعوة لنبذ أصول الإسلام والانعتاق منها شعارهم في ذلك تجديد الخطاب الديني وعصرنته.

فعلى المؤرخ المسلم الحاذق الذي يريد التصدي للكتابة في تاريخه أن لا يفصل بين الدراسات التاريخية والدراسات الشرعية، فهما كجناحي طائر لا يمكنه الطيران إذا فقد أحدهما، وبسبب الفصل بين الدراسات المشار إليها آنفا أتيحت الفرصة لعدد غير قليل من الذين لم يتلقوا قدرا كافيا من علوم الشريعة للكتابة في التاريخ الإسلامي،

و من تمّ جاءت كتاباتهم صدى للدراسات الإستشراقية وتحمل كثيرا من لوثة الانحراف الفكري والغزو الثقافي[1].

ثالثا: الجغرافيا.

تعتبر الجغرافيا من أكثر العلوم ارتباطا بعلم التاريخ ، فإذا كان التاريخ يدرس الأحداث والأفعال الإنسانية الخاصة بالأمم والأفراد عبر الزمن، فإنّ الجغرافيا تدرس الحيّز الجغرافي الذي تقع فيه نشاطات هذا الإنسان عبر العصور، ولذا فإنّ دارس التاريخ مضطر دائما إلى تحصيل معارف جغرافية كافية لتحديد مواقع الحوادث من حروب وثورات وهجرات ، وكذلك إثبات أسماء المواقع والأمكنة[2]، وقد تحكمت الجغرافيا في ظهور الحضارات في مواقع محددة، كما منعتها الظهور في مواقع أخرى، وتحكمت في اتصالها وصدامها وتفاعلها في أقاليم اختارتها الجغرافيا ولم يخترها التاريخ ولا الإنسان[3].

ولقد لعبت الجغرافيا دورا هاما في أحداث التاريخ عبر مختلف الحقبات، فمثلا عاق البحر تقدم القائد المغولي تيمورلنك نحو أوربا الشرقية بعد هزمه السلطان العثماني بايزيد الأول في موقعة أنقرة سنة 1402م، وكانت قسوة الشتاء ثلوجه عاملا هاما في فشل هجوم نابليون بونابرت على روسيا سنة 1812م، كما تكررت نفس الأمور لهتلر القائد الألماني في الحرب العالمية الثانية، وكانت غابات فيتنام وأدغالها ووديانها وجبالها عاملا حاسما في هزيمة القوات الأمريكية[4].

---

(1) مُحَمَّد بن صامل السلمي، **منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه**، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة(مصر)، ص 221.

(2) د/مُحَمَّد عبد الكريم الوافي، **منهج البحث في التاريخ والتدوين عند العرب**، منشورات قان يونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، 2008م، ص 71.

(3) د/محمود الحويري، **منهج البحث في التاريخ**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ص 181.

(4) د/ مُحَمَّد عبد الكريم الوافي، مرجع سابق، ص ص 72-73.

وارتبط تاريخ العديد من الأقطار بموقعها الجغرافي، فتاريخ مصر على مرّ العصور تأثر بموقعها على ضفاف النيل وبسواحلها المطلة على البحرين المتوسط والأحمر، وكان لموقع مصر وتحكمها في طريق التجارة بين الشرق والغرب عبر البحرين (حتى قبل حفر قناة السويس) أثره في ثراء دولة المماليك الحاكمة فيها، ولما اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح وتحولت التجارة مؤقتا إليه تأثرت بذلك دولة المماليك، وكان هذا العامل الجغرافي من أهم عوامل ضعفها وسقوطها[1].

ولذلك فإنّ المطّلع اطّلاعا جيدا على علم الجغرافيا بتخصصاتها المختلفة وفي مقدمتها الجغرافية الطبيعية والسياسية يجد نفسه في رواق جيد يوصله بخطى ثابتة إلى ما يهدف إليه من دراسة علمية هادفة، ولن يجد الباحث عنتا في أن يخوض غمار الغوص في أعماق المواضيع المرتبطة بصورة الأرض.

رابعا: علم الآثـــار.

لا يمكن للباحث في الآثار أن يكون بعيدا عن التاريخ فهو يرتبط به ارتباطا وثيقا، وعلم الآثار يبحث عن مخلفات الماضي وبقاياه الأثرية واستخراجها من باطن الأرض بالأساليب العلمية المتبعة في التنقيبات ودراستها لاستخراج الدلالة التاريخية عن أحوال الماضي، فالبحث عن الآثار أو التنقيبات هو في الحقيقة البحث عن مادة التاريخ الأولى، أي عن أصوله وموارده، وهي أولى المهام التي يضطلع بها المؤرخ الباحث[2].

ولنقل أيضا إنّ علم الآثار يدرس ماضي الإنسان على ضوء المخلفات القديمة والنادرة ومحاولة تفسيرها واستنباط الحقائق التاريخية منها، وهو علم يفحص هذه المخلفات لمعرفة تاريخها ولتحديد الحضارة التي أنتجتها والأغراض الدنيوية التي

(1) د/ شوقي الجمل، **علم التاريخ نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ص 86.

(2) د/عبد الواحد ذو النون طه، مرجع سابق، ص ص 55-56.

كانت تستخدم فيها، فهو يكب على دراسة المخلفات الأركيولوجية المتباينة من أطلال المدن والقصور والمعابد والمسلات والمدافن والأساليب القديمة للري والأدوات الحجرية والفخارية والمعدنية والمنشآت المدنية والعسكرية والسدود والقناطر والطرق وغيرها، فلقد سجّل القدماء في كثير من الأحيان على هذه المخلفات شيئا من تاريخهم ومعتقداتهم ونظمهم وانتصاراتهم العسكرية، ومن تمّ فإنّ مكانة الآثار في التاريخ لا يكاد يضاهيها أي مصدر مكتوب في هذا المجال[1].

وتكمن أهمية دراسة علم الآثار في دراسة ماضي البشرية من حقيقة أنّ الشواهد الأثرية هي أقل عرضة للتلف والفناء من غيرها من الشواهد التاريخية، وأكثر من هذه قدرة على مقاومة عوامل الطبيعة وعوادي الزمن ومن عوامل التخريب المتعمد والحرق والإفساد الذي يحدثه العابثون بشواهد ماضي الأمم، غير أنّ أمثال هؤلاء الجهلة قد ينجحون أحيانا في طمس المعالم الأثرية[2].

وقد حدث هذا التخريب المتعمد الهمجي في بلادنا، فقد عمد المستدمر الفرنسي الصليبي الإرهابي منذ تدنيسه أرض الجزائر الطيبة إلى تدمير طمس الكثير من المعالم الحضارية الإسلامية في كثير من مدننا وإضفاء صبغة غربية عليها، وذلك بهدف قطع صلتها بماضيها وفصلها عن أمتها العربية الإسلامية، و في القابل فإنّ الفرنسيين الهمجيين لم يمسوا الآثار الرومانية إطلاقا بل حافظو عليها واعتنوا بها و درسوها، وهم بذلك يهدفون إلى إضفاء الشرعية التاريخية على احتلالهم الجزائر، زاعمين أنّ شمال إفريقيا كانت أرضا رومانية صليبية نصرانية اغتصبها واحتلها العرب المسلمون فيجب أن تعود كما كانت.

و في سياق التأكيد على أهمية علم الآثار في كشف الحقائق التاريخية يجدر بنا أن نذكر المثال التالي الذي يؤكد زيف ادّعاءات المستشرقين بتحريف القرآن، فقد

---

[1] د/ محمّد عبد الكريم الوافي، مرجع سابق، ص 66.

[2] نفسه، نفس الصفحة.

اكتُشِفت أقدم مخطوطة قرآنية في العالم عام 2015م في جامعة برمنغهام البريطانية، وأحضر تلك المخطوطة للجامعة هرمز منغنا الشهير بألفونس منغنا (1878-1937)، وهو لاهوتي وباحث ومستشرق كلداني، وتضم تلك المخطوطة صفحتين من القرآن الكريم من سورتي الكهف وطه، مكتوبتين بالخط الحجازي، استخدم الخبراء في علم المخطوطات الفحص الإشعاعي بواسطة الكربون المشع، وتبيّن أن عمرها يبلغ نحو 1370 عامًا، واستنتج العلماء أن المخطوطة قد دونت في الفترة ما بين 568م(أي قبل الهجرة النبوية بسنوات و645م (24هـ)، وكانت بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام بين عامي 610م و632م، وهذا يعني أن المخطوطة دونت من قبل شخص عاصر النبي مُحَمَّد ﷺ وعاش معه، أو خلال 70 عاما من البعثة على أقصى تقدير، وهو ما يجعلها من أقدم نسخ القرآن في العالم، وتعتبر المخطوطة جزءًا من مجموعة مينجانا للمخطوطات الشرق أوسطية، وتحتفظ بها مكتبة كادبوري للأبحاث في الجامعة، وقد صرح البروفيسور ديفيد توماس، أستاذ الأديان في جامعة برمنغهام، لصحيفة "وول ستريت جورنال (The Wall Street Journal) " بأن المخطوطات القرآنية، خاصة تلك التي تمتلكها جامعة برمنغهام الأقدم في العالم بأسره، تعد دليلًا دامغًا على أن القرآن بنسخته الحالية هو نفسه الذي كان يتداوله أصحاب النبي مُحَمَّد ﷺ ويحفظونه، وأنه لم يتعرض للتحريف"[1].

ومن نقائص المناهج الدراسية في أقسام التاريخ في جامعاتنا إهمالها لعلم الآثار وعدم إيلائه أهمية تذكر، فلا يكاد الطالب يعرف عنه شيئا، وإدراجه كمقياس في السنة الأولى جذع مشترك علوم إنسانية لن يفيد الطالب في شيء، بل الواجب على المجالس العلمية والهيئات المشرفة على المناهج الدراسية الجامعية إدراج مقاييس علمية متخصصة نظرية وتطبيقية باقتراح من أساتذة علم الآثار، فيجمع الطالب بين العلم

[1] رابط المقال:

https://www.aljazeera.net/arts/

النظري المتحصل عليه من المصادر المختلفة ونظيره الماثل أمام أعينه في أرض الواقع من مخلفات مادية أثرية متنوعة، وحينها ندفع بالتاريخ إلى مستوى أرقى يعود بالفائدة الجمة لا محالة على الدراسات التاريخية بمختلف تخصصاتها.

خامسا: علم النميات (المسكوكات).

تعد المسكوكات أو النقود وثائق تاريخية لا يمكن الطعن فيها بسهولة، وهي مهمة في إعانة المؤرخ على الوصول إلى الحقائق التاريخية لأنّها بما تحمله من كتابات ورسوم و علامات تقدّم مادة أساسية يمكن أن تخدم الباحث في ضبط الأسماء و التواريخ و تعطي فكرة عن الأحوال التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والدينية للفترة التي يُؤرخ لها، كما يمكن أن يستخلص من النقود معلومات ثمينة عن الأحوال المعيشية والأسعار وأسماء الملوك والحكام ودور الضرب التي سكت فيها هذه النقود، كذلك يمكننا أن نحكم على أهمية التبادل التجاري بين الأمم من خلال العثور على المسكوكات القديمة في مناطق مختلفة من العالم، فعلى سبيل المثال إنّ العثور على كميات وفيرة من النقود العربية في أماكن بعيدة كبحر البلطيق واسكندنافيا يعد دليلا ملموسا على قيام تجارة واسعة النطاق بين العالم الإسلامي وهذه المناطق النائية[1]، ويمكن أن نستفيد من المسكوكات الإسلامية في جوانب متعددة من تاريخنا وتحديد الكثير من المسائل التي نصت عليها المصادر المدونة[2] .

وقد يحدث العكس تماما، فقد تبيّن العملة أخبارا وحقائق تاريخية غير تلك المشتهرة في الكتب والمدونات التاريخية، ومن الأمثلة على هذا أنّ السكة المضروبة في أيام عبيد الله المهدي أول خليفة فاطمي في بلاد المغرب تثبت أنّ اسمه عبد الله وليس عبيد الله، وحسب القطع النقدية المنشورة والمدروسة فلا توجد قطعة واحدة بصيغة

(1) د/ عبد الواحد ذو النون طه، مرجع سابق، ص 49.

(2) نفسه، ص 50.

التصغير[1]، وإنما مؤرخو المغرب من أهل السنة هم من روجوا لاسمه بهذه الصيغة فأصبح معروفا بها في تاريخنا الإسلامي.

سادسا: علوم مساعدة أخرى.

وهناك الكثير من العلوم المساعدة التي تساعد المؤرخ في عمله ومنها علم الوثائق ، وهو الذي يُعنى بدراسة الوثائق ونقدها وتحديد أزمانها، والوثائق في اصطلاح المؤرخين هي الكتابات الرسمية مثل الأوامر والقرارات والمعاهدات والاتفاقيات والمراسلات السياسية والكتابات التي تتناول مسائل الاقتصاد أو التجارة أو عادات الشعوب ونظمهم وتقاليدهم أو المشروعات أو المقترحات المتنوعة التي تصدر عن المسؤولين في الدولة أو التي تقدم إليهم أو المذكرات الشخصية أواليوميات[2] .

ويتصل بعلم الوثائق دراسة علوم أخرى خاصة بالأختام والرنوك التي تمهر بها الوثائق، وكان لمعظم الحكام والأمراء والخلفاء المسلمين أختام خاصة بهم عليها شعارات وعبارات معينة تميزها عن غيرها، وكانوا يستعملونها في توقيعاتهم على الوثائق والسجلات التي يختم بها[3].

وعلم الاقتصاد من أشد العلوم لزوما للمؤرخ وأصبحنا ندرس تاريخ الإنسان الحضاري على أنه تدرج من الالتقاط إلى الرعي إلى الزراعة إلى الصناعة وهكذا، وأصبحنا نقيس حضارة الإنسان بمدى استغلاله لما تقدمه له البيئة من إمكانيات، ومدى تغلبه على العقبات التي تعترض طريقه في سبيل تذليل حياته وسد احتياجاته، ورغم التطور الذي حدث في الحضارة البشرية فليس من شك في أنّ الشؤون

(1) صالح بن قربة، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حمّاد**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 283.

(2) د/ عبد الواحد ذو النون طه، مرجع سابق، ص 46.

(3) نفسه، ص 47.

الاقتصادية قد عادت من جديد لتفرض نفسها كعامل قوي فعّال يؤثر في علاقات الشعوب وفي تحركاتها[1].

وكذلك الأدب فهو وثيق الصلة بالتاريخ، و هو تعبير عن عواطف الإنسان وأفكاره، وهو يصور أحلام البشر وأمانيهم وواقعهم ويرسم جوانب مختلفة من حياة الأفراد والجماعات، وقد دأب كثير من المؤرخين على كتابة أبحاثهم بأسلوب يتم على حساب الوضوح في الكتابة، ويقدموا الروايات التاريخية ضمن إطار خال من الطلاوة، والواقع أنّ المؤرخ الذي يكتب تاريخا لا يستمتع به أحد يعتبر مؤرخا رديئا بقدر ما يبعثه من ملل، فهو بحكم مهنته مسؤول عن تدوين حوادث الماضي وأن يبتعث الجو الذي وقعت فيه تلك الحوادث[2]، ودراسة الأدب بوجه عام توسع مدارك الإنسان وتجعله أقدر على الفهم والإستيعاب[3].

خاتمة

من خلال ما سبق ذكره ندرك أنّه لا مفر للباحث من التحكم بوجه عام على أقل تقدير في كثير من العلوم المساعدة التي تكون بمثابة السند القوي الذي يشدّ به ساعده ويقوي به عزيمته، ويستمد منه الشجاعة العلمية في اختيار مواضيع بحوثه دون خوف من عدم بلوغ الغاية أو عجز عن الوصول إلى المصادر أو شك في عدم القدرة على الوصول إلى المعلومة أو استصعاب لما قد يلاقيه أثناء سعيه في أبحاثه.

ويزداد هذا الأمر تأكيدا للباحث في تاريخ الإسلام خاصة، إذ أنّ المسؤولية الملقاة عليه تكون أكبر، فكثير من البحوث التاريخية ترتبط بالدين الإسلامي الحنيف، ولا فاصل بين الأمرين إلا خيط رفيع لا ينقطع إذا كان الطالب يحسن الإحاطة بعلوم الشريعة من عقيدة وحديث وفقه وأصوله وعلوم اللغة وغيرها، وهذا من شأنه أن

(1) د/شوقي الجمل، مرجع سابق، ص 89.
(2) د/محمود الحويري، مرجع سابق، ص 195.
(3) نفسه، ص 196.

يوصل الباحث المؤرخ إلى درجة يتميز من خلالها عن أترابه ممّن حُرم ناصية هذه العلوم وكانت بضاعته فيها مزجاة.

الفهرس

تقديم الكتاب.....5

أ.د عبد الغني حروز

المؤسسات الثقافية التعليمة 7

أ.د مطروح أم الخير

الحرف والصناعات في العهد الحمادي..... 65

أ.د عبد الحق معزوز

واقع الحرف والصناعات التقليدية بالجزائر وسبل المحافظة عليها 97

أ.دة محمودي ذهبية

استخدامات الرخام في الألواح التذكارية بمدينة الجزائر خلال العصر العثماني 123

أ.د سعيد بوزرينة

الحرف والصنائع في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي. 151

د إلياس حاج عيسى

حرفة التجليد والتذهيب من خلال كتاب " صناعة تسفير الكتب وحل الذهب" 185

أ.د فيصل نايم

الحرف والصنائع بالجزائر في العهد العثماني..... 209
د سمير بوطيش
الصناعة النسيجية بالمغرب الأوسط 278
د مسعود بلغازي
د حكيم قدور طاهري
صناعة السكة الجزائرية ودُورُ الضرب في العهد العثماني..... 292
دة صباح حمزة
مواد وتقنية البناء في مساجد المغرب الأوسط..... 310
أ.د محمد موشموش
الحرف والصناعات بالمغرب الأوسط خلال العهد المرابطي..... 330
أد عبد الغني حروز
ط.د لبنى غشام
العلوم المساعدة للتاريخ ودورها في الدراسات التاريخية الإسلامية. .. 362
د طارق بن زاوي.
الفهرس 376